د. منصوري عبد الحق

حياة المعوق

بين تحديات الواقع وآفاق المستقبل



حياة المعوق

بين
تحديات الواقع وآفاق المستقبل

د. منصوري عبد الحق

الطبعة الأولى
1433هـ - 2011م

رقم الإيداع القانوني:5266 -2011 :dépôt légal
ردمك: ISBN 978 - 9947-907-89-4

دار قرطبة للنشر والتوزيع

قطعة 68، طريق المنديرين. المحمدية - الجزائر
TEL 0550 136 500
Email: darkortoba@hotmail.com

للنشر و التوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ آية كريمة.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ آية كريمة.

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له» حديث نبوي شريف.

مقدمة

إن قوة الأمة وشموخها واستقلاليتها وفرض هيبتها لا بد أن تكون ذاتية و لا تخضع فيها لغيرها. و حتى تكون كذلك لا بد من إيجاد العنصر البشري الصالح الذي لا يرى معنى لحياته و لا عنوانا لها إلا من خلال الإخلاص في الدفاع عنها والتفاني في خدمتها. و لا يبدأ فشل الأمة إلا حين تعجز عن توفير هذا النوع من البشر. فلا تكون قوية بما تملكه من أسلحة و مصانع و مستشفيات و مرافق حضارية متطورة أخرى. هذه جميعها لا تزيد عن كونها بضاعة يمكن إنتاجها أو استيراد الخبرة التي تساهم في إيجادها، بل إن اقتصاد السوق بوجهيه القانوني وغير القانوني يوفر اليوم فيها اختيارات متنوعة و مثيرة و منافسة.

إن قوتها تكمن في قدرتها على رفع التحديات و مواجهة التهديدات و في فرض وجودها و الدفاع عن مصالحها ، و في قدرتها على إيجاد الحلول المناسبة لما يعترضها من صعوبات و مشاكل ، و في إبداع الطرق والوسائل التي تدفع مسيرتها التنموية في اتجاه تطوير إمكاناتها و تجديد حياتها. و هذا لا يحدث عفويا، ولكن يظهر نتيجة للمساهمة المباشرة والفعالة للعنصر البشري القوي.

وعلى هذا الأساس يتحول إعداد هذا الأخير بالمواصفات المطلوبة إلى عمل استراتيجي يستدعي الإتقان لما يترتب عنه من آثار مصيرية ، كما أن الاستثمار في توفيره بالكم و النوع يعتبر من أنجح الاستثمارات، و أن المكاسب والإنجازات وراءه و بوجوده محققة و مضمونة.

وما يمكن ملاحظته و معاينة آثاره في واقع الشعوب أنه كلما كانت أمة حريصة على رفع مستوى أفرادها، كل أفرادها، و تحسين أداءهم و تطوير مساهمتهم، كانت أقدر على ضمان العيش الكريم للجميع ، و استطاعت أكثر من

غيرها فرض وجودها القوي و صيانة مهابتها بين شعوب العالم و أممه. و في المقابل كلما زاد عدد أفراد الأمة القاصرين و غير المؤهلين و المهمشين ، أثر ذلك سلبا في قوة و سرعة حركة المجتمع التنموية. إذ يصبح ضمن الأمة فئات من أفرادها يعيشون عالة على فئات أخرى .. بحيث أن الجهود المبدعة والمخلصة التي تبذلها الشرائح العاملة لا تعطي ثمرتها بصورة طبيعية نظرا لأن الآثار الطيبة لتلك القوة المحركة تمتصها البطالة و العجز و الانحراف التي تتميز به نسبة معتبرة من أفراد المجتمع.

وما أسهل و أيسر على الأمة أن تجد الحل الأمثل الذي يخدم الجميع و لا يستنزف الطاقة و الجهد و ذلك حين تنطلق في سياسة ترمي إلى تأهيل أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع. و سلاح كل واحد منهم يكون الإعداد الجيد الذي يضمن له الاستقلالية وحرية المبادرة والقدرة على تحمل أعباء نفسه بنفسه، والانتقال بها إن أمكن، إلى مستوى خدمة غيره و التعاون معه لرفع مستوى الأمة في جميع ميادين الحياة و مجالاتها.

إنها الصفات الأساسية التي تصنع من الفرد مبدعا و ترتقي بالأمة من مستوى الاستهلاك السلبي إلى مستوى المساهمة و الإنتاج. و حينئذ لا ينتظر الأفراد من مجتمعهم أن يوفر لهم الشغل و يمنحهم فرص الحياة بطريقة سلبية تواكلية، و إنما ينطلقون أحرارا في هذا الكون الفسيح يفجرون طاقاتهم وقدراتهم و يصنعون حولهم الحياة الراقية و يحركون عجلة مجتمعهم في اتجاه السمو و العلو و العزة و الكرامة يقودهم في ذلك كله الإيمان بالذات العميق والرأي السديد و القناعة الراسخة و النظرة الواقعية المتفائلة. و إذا استطاع المجتمع إعداد هذا النوع من الأفراد و تزويدهم بهذه الطاقات شحنهم بهذه المعاني فنكون حينئذ أمام المجتمع القوي الذي لا تقهره أحداث الحياة و ظروفها، والمجتمع الغني الذي لا يخشى الفقر، و المجتمع الواقف الثابت الذي لا يخشى من السقوط.

مع ذلك يوجد في كل مجتمع أفراد يعجزون بحكم طبيعتهم وخصائصهم عن خدمة أنفسهم فضلا عن خدمة غيرهم. و الأمة التي تحترم نفسها لا بد أن تضمن لهم الرعاية الكاملة و تتيح لهم دوما فرص العيش الكريم. من ناحية أخرى، يجب ألا تتجاوز هذه الفئة نسبة معينة بين أفراد المجتمع ، و إلا عجز هذا الأخير عن القيام بشؤونه حيث يصبح ما تقدمه الفئة العاملة و النشطة من مبادرات وما تبذله من جهود، كما أسلفنا، لا يكفي لضمان التكافل العام.

من هنا وجب الحرص على تحرير الطاقات ، كل الطاقات ، التي يمكن استغلالها و الاستفادة منها بحيث لا تبقى في المجتمع من الفئات العاطلة سوى تلك التي يكون العجز فيها طبيعيا و خاصية من خصائصه مثل الأطفال الذين لم يكتمل نموهم الذين لا غنى لهم عن التربية و التعليم و الإعداد ، و الشيوخ الذين أصبحوا غير قادرين على مزاولة العمل لضعفهم و تلاشي قواهم. تُضاف إليهم فئات المعوقين الذين لا يملكون، بسبب إعاقتهم، القدرة على التحرر بوسيلة لكسب العيش و شق الطريق داخل المجتمع و التطلع لتحقيق أهداف يرسمونها بأنفسهم أو يعملون على إدراكها بتخطيطهم و وسائلهم.

غير أنه لا ينبغي أن نحدد مصير الفرد من خلال إعاقته و لكن من خلال الإجابة على الأسئلة الحاسمة التالية:

" إلى أي حد يمكن أن يستغني عن خدمات الآخرين ؟ "

"ما هي الوسائل والطرق والسياسات التي يمكن أن تحرره من التبعية للآخرين؟"

"هل بإمكانه تعويض العجز الذي تسببت فيه الإعاقة بوسائل أخرى؟"

"ماهي المساهمات التي يمكن أن يقدمها المجتمع له كي يتمكن من إسعاف نفسه والاندماج في خدمة المجتمع من حوله؟".

إن الأمة التي تعرف كيف تقرر مصيرها و كيف تحافظ على كيانها ينبغي أن

تعمل جاهدة لتقليص من نسبة المصاريف التي لا تعود عليها بالأرباح والفوائد. وتحاول أن تضاعف من مصادر الاستثمار و مصادر الدخل. و من أنجح السياسات في توفير الأموال تحرير الطاقات و فتح المجال واسعا أمام كافة شرائح المجتمع. و حتى النفقات التي يمكن أن تخصص لهذه الفئة من المعوقين لا يجب أن تقدم للاستهلاك المباشر و لكن في سياق استثمار للمستقبل سواء تعلق الأمر بتأهيل و تكوين أو بتوفير رؤوس أموال للتنمية و ذلك حتى نسير في الاتجاه الصحيح الذي يحقق استقلالية الفرد، الاستقلالية التي تزيده عزة و كرامة وتشحن عزيمته وتحرره بالتالي من ذل التبعية وكل صور التسول المهينة.

في فصول الكتاب الثلاثة محاولة لتقديم إجابات على بعض هذه التساؤلات بهدف الوصول إلى تصور متكامل حول، لا أقول طريقة التكفل بفئات المعوقين، ولكن طريقة التكفل بالمجتمع من أجل الاستفادة من الطاقة البشرية التي يتوفر عليها و استغلالها استغلالا أمثل يعود بالخير والنفع على الجميع.

يتناول **الفصل الأول** منه الحديث عن الإعاقة وبعض الآثار الناجمة عنها وكيفية تقويمها من قبل المعوق نفسه ، و العوامل التي يمكن أن تتدخل في بناء نظرة إلى الذات أكثر إيجابية تستوعب الإعاقة و تنطلق بالفرد في آفاق الإبداع والابتكار، و في الحياة النشطة .. حياة تنتعش فيها تطلعات الأقوياء الذين يصنعون الأحداث و لا ينتظرون حدوثها، بعيدا عن حياة الانزواء التي تدفع إليها بصورة طبيعية بعض المفاهيم و بعض الأفكار التي تتحول بسهولة إلى قناعات مؤثرة في حياة الفرد المعوق فتكبله و تجعله حبيس إعاقته و سجين ريبه وخوفه و تردده حتى تنطفئ بسببها كثير من مواهبه و تتبخر معها كثير من أحلامه و آماله.

في **الفصل الثاني** محاولة لتتبع حياة أصحاب الإعاقات داخل المجتمع والبحث في الأساليب التي ينبغي أن يعتمدها هؤلاء لشق طريقهم بين أفراده

وداخل مؤسساته، و كيف يتعيـن عليهم التعامل مـع هذا الواقـع الديناميكي والمتجدد بآليات مرنة و متكيفة، و عدم تأسيس هذه العلاقـات على الروتينيـة النمطية أو على المألوفـات العرفيـة. فهـذه حسب نتائـج التجربـة الملموسـة والمتكررة تكون أسرع فتكا بعامة أفراد المجتمع فضلا عن أصحاب الإعاقات، واعتماد بدلا من ذلك التنويع في الأساليب و في المواقف بما يسمح بالتجاوب مع تنوع الحياة من حولهم.

في **الفصل الثالث** وقفة قصيرة مع بعض المفاهيم التي لها علاقة مباشرة بالموضوع و التي، كما سنـرى، هي جـزء من الإشكـال المطـروح مـن حيث تحديدهـا اتجـاه البحث و مضمونه. في **الفصل الرابع** سـوف نلتفت إلى المجتمع ونبحث في الدور الذي يجب أن يضطلـع به تجاه هذه الشرائـح البشرية، و في طبيعة المشاكل التي تتسبب فيها النظرة التي ينظر إليهم بها و طريقة استجابته لحاجاتهم الخاصة، علما بأنه ظـل إلى اليوم يتعامـل معهم مـن خلال سياسـة تعترف بوجودهم شكليا ولكنها لا تمنحهم عمليا فرصة للانطلاق والتكفل الذاتي بشؤونهم. كمـا أنها لم تساهم في التخفيف من حالـة الإحبـاط و الحرمان التي يعانون منهـا و التي مست مظاهر حياتهـم كلهـا فزادتهـم بذلك غبنا و تعاسـة وشقاوة. و هـي سياسـة لا يمكن تأجيل مراجعتهـا أكثر ممـا حصـل. فعدد المتضررين منهـا في تزايد، و الواقع الذي لا يعبـأ بوجودهـم يأكل أعمارهم و لا يرحمهــم.

إن الكاتب لا يريد هنا سوى تسجيل مقترحات يستند في عرضها إلى مـا انتهى إليه البحث ومـا أفادتـه التجربة في بعض المجتمعات و مـا يتماشى مع منطق الأشياء و مع الذوق السليم ، دون أن يكون قصده التجرؤ على اقتراح أو وصف حلول مفصلة لمشاكل تعايشها هذه الفئة في هذا الواقع أو ذاك . ذلك أن معاناة الأفراد لا حصـر لصورها و تجلياتهـا. و في الوقت الذي يعيش كـل فرد وجهـا معينـا منهـا يختلف عـن سائـر الأوجـه الأخرى رغـم وجـود مظاهـر العيش

الضنك المشتركة بين فئات المعوقين، يكون من الصعب تقديم حلول مثلى تتناسب مع كل احتياجاتهم . لذلك تجنب الكاتب التقيد المباشر بالواقع الذي يعيشه كل فرد و فضّل البحث في الآليات التي تؤثر سلبا و إيجابا في حياة هـؤلاء ومناقشة الأوضاع العامة مناقشة تسمح لكل فرد أن يسخر نتائجها لتقويم وضعه الخاص و القيام بالاختيارات التي تساعد على إصلاحه، كما أنها فرصة للكاتب أن يستثير بها ردودا من الذين يجدون المعاناة أنفسهم، والتي قد تعرفه بحقيقة ما يجري فيستكمل بالعناصر المفقودة تصوره حول هذه الشريحة.

هذه المبادرة تشبه في الحقيقة المغامرة ، بل هي كذلك خاصة بالنسبة لمن لا يملك البضاعة الوافرة و الزاد الضروري مثله . و ما كان ليُقدم عليها لولا شعوره بمأساة إنسانية يكاد الصمت يكون مطبقا حولها، صمت قاتل ظل يغطيه زخم النشاط الهامشي و ضجيج الشعارات الجوفاء، شعارات ترفع عناوين براقة عن فئات المعوقين كما ترفع الأصوات عالية في أيام معدودات من كل سنة تخصصها لذكراهم مثل ذكرى المآسي التي مرت بأمتنا، و هي في كل ذلك لا تقدم لهؤلاء شيئا يخفف من المعاناة الدائمة أو يرفع من الأعباء الثقيلة التي فرضت عليهم مواجهتها. و ما يستلفت الأنظار أن عدد هؤلاء كبير، إذ أصبحوا في مجموعهم يشكلون نسبة معتبرة من مكونات المجتمع البشرية. وهذا العدد مرشح للارتفاع سنة بعد سنة . فهناك آلاف من الأفراد يجرون معهم آلافا أخرى من ذويهم وأقربائهم، كلهم يتألمون و باستمرار يتعذبون و حالتهم في كل يوم جديد تزداد سوءا، و لا يوجد في الواقع القائم ما يؤشر على قرب نهاية هذه المأساة. هذا ما أثار الرغبة في تقديم على عجل تصور لا ندعي أنه سيضع حدا نهائيا لهذه الأوضاع القاسية، و لكن نأمل أن يُحدث نقلة نوعية في حياة هؤلاء وأن يحرك الوضع على نحو يبعث على التفاؤل والأمل من جديد. و يمكن تلخيص هـذا التصور في حاجة هؤلاء لفتح المجال واسعا أمامهم و رفع العراقيل التي تواجههم، و منحهم فرص تذوق طعم حياة الإبداع و المشاركة في

صياغة واقع أمتهم، كل حسب طاقته، بدلا من تركهم يعيشون على الصدقات والتبرعات التي تكرس أوضاعهم و تزيدهم تبعية لغيرهم، و لا تقدم حلولا دائمة لمشاكلهم. و هو ما سوف نحاول أن نفصل فيه و نوضحه في فقرات هذا الكتاب، آملين أن نسد به ثغرة و نوطد به الجسور التضامنية و الأخوية بين أفراد المجتمع في اتجاه بناء القوة الدافعة التي يستفيد منها الجميع. لكنه اتجاه يقوم أساسا على الاعتراف لكل واحد من أفراد هذا المجتمع بوجوده المتميز والمستقل يرعى له مكانته و يحفظ كرامته.

أما جوهر ما يرتكز عليه هذا التصور من افتراضات، والتي هي بالنسبة للكاتب تشبه القناعات ، **فيمكن إجماله في العناصر التالية:**

1- بمساعدة المعوق على تطوير قدراته الخاصة وبقدر تفعيل إمكاناته الذاتية يتحرر من التبعية إلى الغير.

2- ترسيخ القناعة لدى المعوق بإمكانية إحداث هذا التغيير عملية حاسمة في تجاوز الحواجز والصعوبات.

3- ثورة فئة المعوقين على واقعهم لا تنطلق من فراغ و لا تستغني عن الوعاء الاجتماعي الذي يحتضنها.

4- تحسين الأوضاع يتحقق تدريجيا بالمحافظة على المكاسب مهما كانت تبدو بسيطة و متواضعة، و بالعمل على توجيه الآثار المترتبة عنها بصورة طبيعية لصياغة واقع جديد.

الفصل الأول
كيف ينظر المعوق إلى نفسه؟

تمهيد

إننا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن مصير المعوق مرهون بطبيعة و نوع النظرة التي ينظر بها إلى نفسه. إن هذه النظرة هي بمثابة المحرك. فبقدر ما تحمل من معاني القوة والصمود و تتغذى بحسن الظن و الأمل و الطموح و تتطلع إلى ما هو أفضل وأسمى وأعلى، يكون الفرد في مواجهته لحقائق الواقع جلدا و راسخ القدمين، و ثابتا لا يعرف اليأسُ طريقا إلى نفسه مهما كانت الصعوبات و العقبات التي تقف حيال إنجاز ما يصبو إليه. وبقدر ما تتشبع بمعاني الضعف والاستكانة وتغزوها موجات الخجل و الخوف تكون مواقف الفرد مترددة ومتذبذبة و عاجزة عن إحداث التغيير المطلوب في حياته. كما أنها تنتهي عادة إلى خيار الاستسلام والقبول بأمر الواقع في قنوط و انهزامية.

إن أول ما يحتاج إليه الفرد المعوق، قبل أي أمر آخر، هو مراجعة و تصحيح النظرة التي ينظر بها إلى نفسه، والطريقة التي يقدر بها إمكاناته وما يستطيع القيام به وما هو عاجز عن فعله. لا بد أن تحدث نقلة نوعية على هذا المستوى التصوري والتي ينجم عنها بالضرورة صياغة فلسفة جديدة في حياة هذا الفرد. فهي، في تقديرنا، البداية التي يتأسس عليها كل إصلاح. وبدونها لن يتحقق شيء يُذكر مهما تحسنت الظروف المحيطة به ومهما كانت الإصلاحات القانونية وطريقة المعاملات التي يحظى بها داخل المجتمع الذي يعيش فيه.

إن التغيير الذي يمكن أن يحدث ثورة في واقع هذه الفئة ينبغي أولا أن ينطلق من ذواتهم فيشمل المفاهيم التي اكتسبوها و أفكارهم و قناعتهم و أحاسيسهم ومشاعرهم و عاداتهم وكل ما ألفوه من أساليب وطرق العيش. وهو ما سوف نحاول تفصيل الحديث حوله في الفقرات الموالية و إبراز الخصائص المميزة للنظرة إلى الذات التي نأمل أن تحقق التغيير المنشود في حياة هؤلاء الأفراد الذين طالما فرض عليهم أن يعيشوا خارج حلبة الصراع الاجتماعي والحضاري.

الشعور بقيمة الذات والرضا بها

إن الإنسان الذي ينظر إلى نفسه بعين الرضا يعيش حياة مطمئنة غير مضطربة. و لا يعني ذلك الاستسلام و الخضوع و إنما هو التسليم بأمر الواقع ومعطياته الذي يدفع صاحبه إلى المواجهة و يساعده على التحرك و الانطلاق.

هذا الشعور يجعله على استعداد دائم للحفاظ على ماء الوجه و الدفاع عن كرامته، كما يقوي عنده الرغبة في العمل دوما على تشريف نفسه و التظاهر بما يرفع من شأنها. إنها عزة النفس التي لا قيمة لوجوده إلا من خلال صيانتها. فهو لا يريد لها طريق المذلة والمهانة. وأثبت الباحثون، من جانبهم، وفي دراسات ميدانية عديدة أن الفرد الذي يحمل تقديرا عاليا عن الذات و يسجل احتراما كبيرا لنفسه يعتبرها ذات قيمة و أنه جدير بالوجود[1]، و يشعر بالقدرة الذاتية حتى أنه لا يتردد في تصنيف نفسه بين أصحاب الكفاءات[2]، زيادة على أنه يحمل شعورا قويا بالانتماء و الانتساب إلى الجماعة[3]. و لذلك فقد لاحظ الباحث **سارفنت Survant** عن الطفل الذي تكوّن لديه مفهوم إيجابي حول نفسه ما يلي:

1- لا يقلقه الاحتكاك بالجديد ، و لا يجد أي حرج في مباشرة المواقف الجديدة.
2- لا يجد صعوبة في بناء صداقات جديدة داخل الأوساط التي يتواجد فيها.
3- يُقبل على تجريب الوسائل الجديدة دون خوف أو تردد.
4- متعاون مع غيره إلى درجة بعيدة.
5- يستطيع التحكم و ضبط سلوكه بكل مسؤولية.
6- يبدو في ظاهر أحواله أنه فرد سعيد.

---

[1]- Coopersmith ,1967 ; Rosenberg, 1965 ; Felker,1974
[2]- White , 1959 ; Diggory , 1966
[3]- Maslow, 1954 ; Felker , 1974

و لا حظ في المقابل أن الطفل الذي يحمل تقديرا منحطا عن الذات:

1- لا يدخل في النشاط الجديد من تلقاء نفسه إلا ناذرا.

2- يعتمد كثيرا على الغير في التوجيه والمساعدة المباشرة.

3- ناذرا ما تأتي المبادرة منه.

4- قليل الكلام و لا يبدي رأيا و لا يسجل ملاحظة و لا يفصح عن أفكاره.

5- يعاني من حالة إحباط تترجمها ردود أفعاله المختلفة[4].

إن أول واحد يتعين عليه رد الاعتبار إلى الإنسان المعوق هو هذا المعوق نفسه. فإذا نظر إليها بعين التقدير والإجلال، فإنه سوف يستأنس بها وسيحرص على تحقيق و تكريس هـذا الحكم في صـور عملية و في مشاريع ميدانية قصد إقناع نفسه بأنه عند مستوى تقييمه الذاتي[5]. و هذا بدون شك يسهل عليه عملية التكيف. و من الآثار التي تنتج عن هذه العملية، دفع أفراد بيئته إلى التجاوب معه واحترامـه ورد الاعتبـار لشخصـه. فإذا كـان يحتقـر نفسـه و لا يرعى لهـا حرمـة وأنـه، فضـلا عـن ذلك، مقتنع بعجزها وفشلها، فإن ذلك يصرفـه عـن بذل الجهد، ويؤثر في الطريقة التي يعيش بها داخل المجتمع، ويكون أفراد المجتمع على استعداد أكبـر للتجـاوب مـع قناعتـه فيعاملونـه على أساسهـا. و في أحسن الأحـوال سـوف ينظرون إليه كما ينظر هو إلى نفسه.

من هنا تظهر أهمية مفهوم الذات الذي يحمله الفرد في تحديد سلوكه و ما يستثيره هذا الأخير من استجابات من قبل أفـراد مجتمعـه. فليس مـن حقـه أن يطالب الآخرين باحترامـه و تقديره و التعامل معـه مـن خـلال هذه المكانـة في الوقت الذي تشبع هو بقناعة راسخة و مترجمة في أقواله و أفعالـه بأنـه الفاشل والعاجز الذي لا يستطيع فعـل شيء يُذكر. إننـا فـي مثل هـذه الظـروف لا ننتظر

---

[4]- Survant, 1972 , p.94

[5]- Casey, M, Casey .P (1997) " Self esteem as an aid to acquiring conflict management skills " pp.160-166.

من المجتمع أن يصحح نظرته و يراجع مواقفه تجاهنا من تلقاء نفسه، و إنما نحتاج إلى تسجيل حضورنا العملي القوي الذي لا يسمح للمجتمع أن يتعامل معنا بما لا يرضينا وبما لا يعبر عن حقيقة ما نحن عليه، و لا يحول دون أن نجسد ما نرغب فيه وما نصبو إليه. بدون هذه الصحوة الفكرية ويقظة الضمير، التي يجدد الفرد بواسطتها الإيمان بنفسه والثقة بقدراته والتفاعل الكامل معها، لن تكون هناك بداية لحياة تنتعش فيها معاني الاستقلالية و الرغبة في تعاطي المبادرة الحرة كأسلوب استراتيجي في هذه الحياة والسير بالتالي في درب تحقيق الأهداف و الأخذ بالأسباب الموصلة إليها.

الإيمان بالذات و إمكاناتها

إن مصير الإنسان المعوق، كما مر بنا في الفقرة السابقة، لا ينبغي أن يضعه في يد غيره، فتلك مغامرة لا يعرف كيف ستنتهي. إن الطريق الأسلم هو أن يظل متحكما في هذا المصير لا يقبل أية مساومة حوله لأنه يعلم يقينا أنه لا أحد من أفراد المجتمع يغار عليه مثل ما يغار هو على نفسه، و أنه لا أحد منهم يعرف ما تنطوي عليه نفسه أفضل من معرفته هو بذلك. فمن غير المعقول أن يجازف بحياته بهذه السهولة، و يتركها تحت تصرف الآخرين الذين لا يملكون في أحسن الظروف أكثر من الإشفاق عليه، و مواساته ماديا و معنويا، و الوقوف له سندا. وهي في العموم وسائل لا تتيح له أن يبتعد كثيرا عن الوضع الذي هو فيه. إنه يحتاج إلى تنمية القناعة والإيمان بقدراته الذاتية. وهي موجودة لا شك في ذلك و لا ريب وتنتظر فقط من يكتشفها ويتعرف عليها ويطورها قصد توظيفها والاستفادة منها.

إنها الصخرة الصلبة التي يمكن أن يقف عليها ثابتا، و راسخ القدمين دون خوف أو تردد. وبترسيخ الوقوف على هذه القاعدة يستطيع أن ينطلق في تحقيق طموحاته، متحديا كل أنواع الصعوبات، و غير مبال بالعقبات و الحواجز التي تقف في وجهه والتي قد تدفعه ضرورة مواجهتها إلى المزيد من البحث

والتنقيب في الذات، و بالتالي التعرف على المخبوء من استعداداتها و قدراتها. وبذلك يزداد اعتزازا بالنفس و لا يخشى من طلوع شمس الغد لأنه أصبح مقتنعا بأنه يملك ما يستطيع أن يشحن به وقته من مساهمات وإبداعات. بل قد يشعر عندئذ بضيق الوقت الذي أصبح لا يتسع للمشاريع الكثيرة التي تنتظره والتي يحرص على إنجازها.

إنها حياة القلوب التي تنبض من جديد والتي لا مكان فيها للانشغال بالإعاقة ومظهر العجز و الضعف أو للشعور بالخوف و الريب و الشك. فكلها مظاهر ولّت و اختفت و لم تعد موجودة في واقع الفرد العملي. كل ذلك قد يحدث و زيادة إذا وقر في القلب إيمان بالنفس و يقين بقدرة الإنسان على تحسين أوضاعه بنفسه. و هي سنة من سنن الحياة التي لا تتغير و لا تتبدل و لا تتخلف آثارها " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ "[6]. و لن يتحقق لهذا الفرد أي تجديد في حياته و أي تطوير في الاتجاه الأفضل إذا ظل ينتظر أن تتغير الظروف من حوله، وعلق كل آماله على ذلك وحده، ولم يحاول أن يلتفت إلى نفسه ويفكر فيما يستطيع فعله بنفسه ويشرع في المحاولة دون انتظار[7].

إن المسألة التي يجب ألا تغيب عن ذهنه هي أن مثل هذا التغيير يحدث بفعل فاعل و ليس من مصلحة هذا الفرد و أمثاله أن يتخلف عن المشاركة في إحداث هذا التغيير المنشود. و ذلك حتى لا يصبح مصيره يتقرر في غيابه وبدون مساهمته. فهو أكثر معرفة بمشاكله و أقدر من غيره على التعبير عن احتياجاته الحقيقية. والتغيير إذا لم يكن له فيه مشاركة مباشرة لا بد أن يبقى في الأساس تغييرا جزئيا غير قادر على رفع كل صور الحرج التي تواجهه وتواجه هذه الفئة من أبناء المجتمع. كما أن ذلك يضفي على وصاية الآخرين عليه نوعا من المصداقية الاجتماعية لتُصنف مع الوقت ضمن الأفعال الضرورية. و هذا من

[6] - سورة الرعد ، الآية 12

[7]- Loughlin , K " Learning to change: New Dimensions" pp.54 61

شأنه أن يبقي شريحة كاملة في تبعية مطلقة تعيش منطوية على ذاتها و بعيدة عما يجري في الواقع حتى ولو كان الواقع لا يخدمهم و لا يراعي مصلحتهم كما يقدرونها، و لا يملكون سوى قبوله بحُلوه و مُره دون أن يكون لهم رأي فيه. فقد تركوا قضيتهم "يعبث" بها غيرهم بسبب أنهم آمنوا بغيرهم و كفروا بأنفسهم وكل ما تنطوي عليه من استعدادات و مؤهلات. فتركوا المبادرة الإيجابية التي كان من الممكن أن تتحول إلى نافذة أمل. حصل هذا بعد أن يئسوا من تغيير أوضاعهم بأنفسهم وسلموا أمرهم لغيرهم مستسلمين خاضعين. فتجاوب معهم المجتمع باستيعابهم ضمن فئات العاجزين الضعفاء، و كرس بسياسته تلك إبعادهم من حياة النشاط و حياة التجديد و الإبداع، و هو بذلك لم يزد عن تأكيد ما استقر في قلوب هؤلاء المعوقين وتعزيزه.

الإيمان بقدرته على تسخير الموجود لتعويض المفقود

من الدواعي الدافعة لانطلاقة المعوق في اتجاه حرية المبادرة واستقلالية القرار بقوة وحزم أن ينظر إلى ما يملكه من قدرات وما اكتسبه أو ما يمكن أن يكتسبه من مهارات و يستفيده من كفاءات على أنها كفيلة بتعويضه ما افتقده بسبب وجود الإعاقة.

وبالرغم من أن عملية التعويض التي نريد أن نركز عليها هنا لا تعني إحلال عضو مكان عضو آخر أو حاسة ما مكان حاسة مفقودة إذ أن هذا لا يمكن أن يحدث. ولكن المقصود هو أن النقائص في وظائف الإنسان المصاب بإعاقة يتم تعويضها تلقائيا. والتعويض لا يتطلب تغييرا في الوظائف أو تحويلا في الأدوار و المهام وإنما يوجه أساسا نحو الاستغلال الأقصى لما هو متوفر أصلا وما هو مستطاع. فبالنسبة للإعاقة الحسية يكون التعويض حسيا من نوع ما يسمح باستخدام واستغلال المعلومات والتنبيهات عن طريق الحواس غير المصابة.

ونظرا لأهمية عملية التعويض في الحياة الشخصية الخاصة و الحياة

الاجتماعية العامة، يصبح من مهمة التربية تنميتها بغرض استغلالها المباشر من قبل مؤسسات التربية ذاتها وكذلك من أجل تحضير الأفراد لمواجهة مختلف التحديات والتكيف مع مختلف الأوضاع.

وبما أن اللجوء إلى تعويض النقائص المترتبة عن وجود إعاقة لا يمكن أن يكون سوى نسبيا في آثاره الإيجابية بحيث أن المعطيات التي تأتي طبيعيا عن طريق حاسة البصر و السهولة التي تنتقل بواسطتها إلى الفرد لا يمكن لعملية التعويض أن توفرها وتوفر معها كل هذه الخدمات بكل هذه الإيجابيات حين يتم الاعتماد على حاسة أخرى. أمام هذا الوضع يفضل، قبل اللجوء إلى عملية التعويض و الارتكاز عليها وحدها، محاولة استغلال إلى الحد الأقصى بقايا الأعضاء المصابة بالخلل. فيكون غير معقول البدء باللجوء إلى العمليات غير المباشرة وأحيانا المعقدة و غير الكافية، بينما توجد مسالك أخرى مباشرة بالرغم من أنها محدودة وهي قابلة للاستغلال. فإذا كان الكفيف و الأصم يتميزان على التوالي بالبصر المحدود والسمع الناقص، فليس بالضرورة أن ذلك يعني بالنسبة للجميع أن الاستقبالات الحسية بواسطة الحاستين منعدمة. و بما أن المصدر الأصلي لا زال يقدم الخدمة الطبيعية للفرد وبالطريقة المباشرة و يمده بجزء من المادة الضرورية التي تمكنه من إثراء تجربته الإنسانية و طويرها- مهما كانت تلك المادة المقدمة محدودة أو ضئيلة وناقصة- فليس من الحكمة الاستغناء عنه. وعملية التعويض في هذه الحالة يجب أن تبدأ بصورة عادية من نقطة العجز الفعلي.

وهكذا، بدلا أن يدخل المعوق في تأملات فكرية حول الضعف أو العجز الذي يعاني منه بسبب تلك الإعاقة فإنه يركز تفكيره حول ما هو متوفر لديه و ما هو في حوزته من إمكانات طبيعية و مكتسبة، و كيف يستطيع أن يسخرها إلى حدودها القصوى لمواجهة متطلبات العيش داخل المجتمع، و تعويض مظاهر العجز و القصور التي ترتبت كآثار طبيعية عن الإعاقة القائمة. و هو أمر

معروف في أوساط علماء التربية الذين يؤكدون دوما على إمكانية استغلال الفرد الطاقة التي يتوفر عليها و يغطي بها مظاهر العجز جزئيا أو كليا[8]. ويحدث في الغالب أن ينشغل الفرد بمظاهر عجزه الطبيعية و لا يحاول أن يتجاوزها. وكل مشاريعه المستقبلية يحدد شكلها وطبيعتها بما يتماشى مع وجود الإعاقة و لا يحاول أن يفكر فيها بمعزل عنها. لذلك نجده في النهاية لا يطمح كثيرا و لا يسطر سوى الأهداف المتواضعة التي لا يستطيع من خلال بلوغها إحداث النقلة النوعية الضرورية في حياته. بعبارة أخرى فإنه حين يضع موضوع الإعاقة في المنطلق يقوم في واقع الأمر بتحديد سقف المحاولات التي يكون بإمكانه مباشرتها. و كان في وسعه أن يركز على ما يطيق فعله وما يستطيع إنجازه عمليا، و له بعد ذلك أن يحدد لنفسه من الأهداف ما يشاء لأنه يعرف معرفة يقينية أن تلك الأهداف تقف في متناوله كما أنه يملك القدرة المطلوبة للوصول إليها. و من الملاحظ أنه عندما يبدأ الفرد في الالتفات إلى ما هو في حوزته و يسلط الضوء على مواطن القوة التي يتمتع بها فإنه يشعر كأنه يكتشف نفسه لأول مرة و كأنها بالنسبة إليه ولادة جديدة. ذلك أن قدراته الذاتية أصبحت من وجهة نظره في مستوى لا يمكن الاستهانة به. إنها صحوة فكرية تدعو إلى الإيمان بالذات و الإيمان بالقدرات الموجودة. هذا الإيمان عندما يرسخ في أعماق النفس سرعان ما ينسيه مظاهر العجز التي طالما تمركزت حولها حياته العامة و الخاصة مما جعله يتحول لفترة زمنية ممتدة إلى مجرد عنصر تابع ينتظر الخدمة و المساعدة من غيره و على غير استعداد ليقدم و لو مساهمة بسيط. و يشبه في ذلك الجيش الذي ما زال في يده السلاح الذي يستطيع أن يرد به كيد عدوه و هجمات خصمه، و لكنه ألقى السلاح من يده قبل أن يجرب نفسه لأنه اقتنع بأنه لا يملك وسائل السيطرة على هذا العدو، و فضل أن يستسلم له ويذوق طعم ذل الهزيمة. و كان في مقدوره أن يسخر ما عنده من إمكانيات

---

[8]-Maurice Reuchlin.Traité de psychologie appliquée: diagnostic des handicaps et réducation pp.20-30

ويدافع عن نفسه في وقت كانت فيها فرص الانتصار متساوية مع العدو.

ولعل التأمل في حقيقة الشخصية الإنسانية يجعل الفرد يتعرف على جوانب منها كان عنها في واقع أمره محجوبا طيلة الفترة التي ظل يحمل هم الإعاقة و لا يفكر إلا فيها و لا يخطط إلا من خلالها. من ناحية أخرى خروج الفرد من القوقعة التي فرضها على نفسه بقناعته الجديدة يساعده على استكشاف الفرص التي تعرضها حياة المجتمع الواسعة. و من خلال هذا الاحتكاك فإنه ينمي أذواقا، ويطور اهتمامات، و يراجع مواقف، و يصحح أخطاء، و يرقي رغبات لا يرى نفسه فاقدا لوسائل إشباعها إذا أقنع نفسه بالقيام بالمحاولة. فبإيمانه الراسخ أن ما حباه به الخالق جل و علا أكثر من أن يُحصى، و بحُسن استغلال بعضه فقط يستطيع تغيير وجه حياته، و السير بها في الاتجاه الذي يزيده عزة و كرامة. كل ما هو مطلوب منه ألا يركز في تأملاته فقط على مظاهر العجز التي يعرفها ولكن ينبغي كذلك أن يسبح بهذه التأملات في الأبعاد الفسيحة و الشاسعة التي تتمركز فيها مواطن قواه والتي هي كفيلة بقلب الموازين في حياته.

ولعل البعض يرى في هذا التوجه دعوى مضللة لفئة المعوقين لتشجيعهم على تبني سياسة الهروب إلى الأمام و عدم أخذ بعين الاعتبار حقائق الواقع، خاصة و أن ثمن المغامرات من هذا النوع يفوق ما يستطيع هؤلاء تقديمه. كما أنه يكفيهم معاناة ما يجدونه، على أن نورطهم في تجارب مؤلمة أخرى تأتي على البقية الباقية من معنوياتهم وآمالهم. وهذه التخوفات مبررة في الظاهر، ذلك أن المعوقين ليسوا في حاجة إلى ما يتسبب لهم في المزيد من الجرح والأذى و أن انطلاقتهم المتعثرة لا يمكن أن نضع لها في طريقها عقبات إضافية من شأنها أن تزيدها تعثرا. لكن من ناحية أخرى، عندما نتأمل في الأسباب التي تؤجج مثل هذا القلق و مثل هذه المخاوف، نجد أنها تشبه في طبيعتها الدوافع التي تجعل الأم تواصل عملية احتضان طفلها و الإبقاء عليه قريبا منها حتى ولو أصبح يملك من القدرة و من التجربة و من التأهيل ما يسمح له أن يقف على

رجليه و يتحمل بعض المسؤولية و يقوم ببعض الاختيارات و يباشر إشباع بعض الحاجات في إطار تحقيق الذات. فلو بقيت هذه الأم تتعامل مع طفلها بنفس هذه المشاعر و لم تتمكن من تجاوز مخاوفها فهل ستستطيع أن تدفع به إلى المدرسة لكي يتعلم، و هل ستستطيع أن تتركه يتحرك في المجتمع الواسع و العميق لاكتساب كل ما يساعد على تحقيق توافقه مع الآخرين، و على بلورة الدور الذي يتهيأ أن يؤديه داخل هذا المجتمع، و يصل بذلك إلى الاستقلالية المنشودة. لكن نسأل هذه الأم هل يرضيها أن يبقى طفلها و قد تقدم به السن يعيش عالة على الآخرين و لا يجد الاستعدادات اللازمة و الوسائل الضرورية التي تكفل له مواجهة تحديات الحياة التي هي مستمرة و متجددة و متطورة و لا تتوقف. وما هو شعورها عندما تراه و قد استوى عوده و اكتمل نضجه و أصبح عنصرا فعالا في المجتمع له مساهمات كبيرة و يؤدي وظيفة جليلة. لا شك أنها تفرح و ينشرح صدرها لرؤية ولدها يتبوأ هذه المكانة بين الناس. و لكن الوصول إلى ذلك تطلب منه تضحيات و احتاج فيه إلى أن تتحكم الأم في عواطفها الجياشة تجاهه بما سمح له بخوض غمار الحياة و طرق أبوابها بكل عزم و شجاعة مسترخصا من أجل إدراك المُبتغى كل نفيس و غال و متحملا المشقات والمتاعب بكل صبر واحتساب.

إننا حين نتحدث عن ضرورة التفات الفرد المعوق إلى ما هو بحوزته من طاقة و قدرة، و عدم تسجيل الاعتراف بوجود إعاقة كمقدمة للدخول في الحياة السلبية المنطوية و المنزوية، أليس هذا هو بعينه الالتفات إلى الواقع و التعامل مع حقائق الواقع. فما هو حاصل أن الفرد لم و لن يقصر في الاعتراف بوجود الإعاقة، وأنى له ذلك و كل شيء في محيطه يذكره بها و بآثارها. و لكننا نريده بنفس هذه الدرجة أن يعترف في حواره مع نفسه[9] بوجود ملكات و قدرات

[9]-Bazerman, M.H ,Tenbruskel ,A.E , W.Benzoni, K (1998).Negociating with yourself and losing :Making decisions with competing internal preferences.pp.225-241

يمكن أن يسخرها في اتجاه يعاكس الآثار السلبية للإعاقة ويعطيه إمكانية لتطوير حياته و الخروج بها من الحيز الضيق الذي فُرض عليه أن يعيش فيه إلى آفاق أوسع تتغذى بالآمال و بالإنجازات والأعمال. و لا نريد له أن يبقى حبيس الإعاقة في تفكيره و في طموحه و في أية محاولة يريد بها تجسيد بعض قناعاته و رغباته أو تحقيق ذاته بإرادته و محض اختياره. بل لا نريده أن يحدد سقفا لطموحاته و آماله من منطلق الإعاقة والحدود التي تفرضها، و إنما ندعوه إلى التأمل في كل ما يملكه من مؤهلات أو ما هو في متناول اكتسابه، وأن يأخذ ذلك كله في الحسبان عندما يريد تحديد سقف لما يمكنه إنجازه إذا كان لا بد من تحديده. و إلا فالأصل أن يظل الباب مفتوحا أمام كل تطور في حياته و في إمكاناته و خاصة أمام كل استكشاف جديد للطاقة الكامنة. فالمعادلة بسيطة حيث لا يحتاج الفرد المعوق في كثير من الأحيان سوى أن يعوض المظهر المفقود بحسن استغلال الموجود، و أن يحيا قدر المستطاع الحياة المتكيفة التي يكون فيها قادرا على الاستفادة من جهود الآخرين و كذلك مستعدا لتقديم مساهمته التي يستفيد منها الآخرون. و في مثل هذه الأوضاع فقط يمكن للفرد أن يشعر بأنه واحد من أفراد المجتمع و أن الجميع ينتظر منه أن يؤدي دوره على الوجه الكامل و أن أي إهمال في أداء ما عليه من المتوقع أن يخلف ثغرة تتأثر بوجودها الحياة الاجتماعية من حوله. و يتحول عامل الإعاقة الذي يميزه عن غيره إلى مجرد مظهر اختلاف بين الناس يشبه عامل الفقر الذي يُعرف به بعض الناس مقابل عامل الغنى الذي يوصف به البعض الآخر حيث لا يمكن أن يوظف هذا العامل بالصورة المطلقة في حياة الأفراد العامة و الخاصة وإنما يُلتفت إليه عند الحاجة و لا يُهتم به عندما لا يتعلق الأمر بالآثار المترتبة مباشرة عنه.

في كثير من الأحيان يقتحم اليأس قلوب الناس لمجرد أنهم فقدوا شيئا معينا أو حُرموا من فرصة إشباع حاجة أو مرت بهم تجربة مرة و غير سارة أو لم

يحالفهم الحظ و التوفيق في أمر ما، و هو سلوك طبيعي جدا و رد فعل ينسجم كلية مع خصائص الإنسان و ما تنطوي عليه النفس البشرية. هذه الأخيرة تميل عادة إلى التعايش مع المألوفات والاستئناس بها، وتكون على استعداد أقل لتسجيل قبولها الفوري في التعامل مع المستجدات و مع ما يخرج عن حدود معطيات الماضي وعاداته الراسخة و عما هو معروف لديها أو متعارف عليه داخل الإطار الاجتماعي. هذا التحول من وضع مألوف إلى أحوال جديدة يُربك صاحبه و تنجم عنه موجة من الخوف والقلق تنتابه إلى درجة أنها بالنسبة لكثير من الأفراد يفقدون أمامها توازنهم. و إن تركيزهم على الحلقة المفقودة يشحن بقوة مشاعر الأسى بحيث يرى البعض فيها ضياع كل الفرص و يفقدون معها كل أمل. وهو بهذه الترجمة وضع غير طبيعي وموقف كما أسلفنا غير متوازن. ذلك أن هذا الفرد لو سلط الضوء على الجوانب الأخرى الموجودة و الآليات التي يمتلكها فعلا لتحول الجزء المفقود و الحاجة التي لم تشبع و الأذى الذي أصابه إلى قطرة جفت من بحر.

هذا الكلام ينطبق على كل إنسان وفي كل أبعاد شخصيته سواء تعلق الأمر بماديات أو بمعنويات. غير أن أصحاب الإعاقات على مختلف أنواعها هم أحوج الناس إلى الاقتناع به. هؤلاء يمثل الفقدان بالنسبة إليهم مصدر حرمان أكبر وأحيانا يكون دائما وملازما لهم. فالإنسان الكفيف محروم من رؤية النور ورؤية الأشياء والأشخاص ويحتاج إلى دليل، والإنسان المشلول محروم من إمكانية التنقل الحر و الإرادي إلا محمولا، و الإنسان الأصم و الأبكم محروم من استعمال اللغة المنطوقة في الاتصال و التواصل. و المشاكل التي تترتب عن وجود هذه الإعاقة عديدة لا يتحسس الأسوياء آثارها و لا يشعرون بها و لا يقدرون بذلك حجم معاناة أصحابها. ومع ذلك ليس أمام هذه الشريحة من المجتمع خيار آخر، إذا أرادت التخفيف من معاناتها، سوى أن تعمل بصورة إيجابية على استغلال كل ما تملكه من قدرة و توجيهها الوجهة التي تساعد على

اكتساب المزيد من المهارات و الآليات التي تعوض الكثير من النقائص وتغطي ولو جزئيا مظاهر العجز التي تسببت فيها الإعاقة ذاتها. هذا الاختيار هو البديل الوحيد بالنسبة للإنسان الذي يعرف مثل هذه الظروف إن كان فعلا يريد لوجوده في هذه الحياة أن يحمل مغزى و بعض الدلالة.

إن غير هذا الاختيار بالعبارات الصريحة لا يعني سوى الاستسلام للواقع وقبول كل شروطه التي تؤكد على الضعف و لا تساعد على تجاوز مظاهره، كما تزيد الفرد إذلالا ومهانة، فيضطر بعد ذلك إلى مواجهة آثار الإعاقة الطبيعية و الضعف الناجم عنها، و في نفس الوقت الآثار المعنوية للاستكانة والانهزامية التي قبل بها كأمر واقع. و بهذا المنطق و على ضوء هذه المعطيات لن يتمكن من شق الطريق داخل المجتمع بدور يؤديه بل يتأكد لديه يوما بعد يوم أن ضعفه أو عجزه حقيقة ثابتة ، وهو مصيره و قدره المقدور عليه.

وهذا الباب طرقه الباحثون كثيرا، و تعددت فيها دراساتهم حيث سجلوا فيها أدبيات مثيرة و نتائج ملفتة للانتباه، من أبرزها، أن قرار الفرد بالعمل بالاختيار الأول أو بالاختيار الثاني هو الفيصل بين حياتين مختلفتين تماما، في المظهر والجوهر، كان وراءهما تباين في تحديد الوجهة واختلاف في الرؤية[10]،[11].

و لا بد أن تلعب التربية دورا في هذا السياق (في البيت والمدرسة، و بواسطة وسائل الإعلام خاصة التلفزيون) فتضمن للمجتمع إعداد الفرد الذي يكون دائما على استعداد لسلوك الطريق الأول و يقوى بذلك على مواجهة الظروف الصعبة، وبالتالي مواصلة أداء دوره المنوط به و تسجيل المساهمة التي تتناسب وإمكاناته.

---

[10]-Christoplos,F and Renz,P.A(1969)A Critical Examination of Special Education Programs . pp.371-379.

[11]-Gallagher,J.J (1971) The future Special education system..

تنمية الطموح و محاربة الخجل و الخوف

من الضروري جدا أن يسعى الفرد بكل ما أوتي من قوة إلى أن يرفع من مستوى طموحه على أساس ما هو موجود و ألا يقبل بالواقع القائم إلا كحقيقة يمكن الانطلاق منها لبناء واقع أفضل و ليس بهدف تكريسه و المحافظة عليه. فالإنسان طموح بطبعه و لا ينبغي أن يتكلف المعوق في استثناء نفسه من ذلك، و لا ينبغي أن يُقنع نفسه بالاكتفاء بواقع الضعف والذل و التبعية. فكأنه يحاول أن يتجرع الشراب المر ليس كوسيلة للعلاج و إنما كأسلوب للتعبير عن الاستسلام وعن مشاعر الخوف و الخجل التي فرضت نفسها عليه. إن الذي يطمح أن ينجز أكثر و يتعلم أكثر و يكتسب أكثر لا يحتاج بالضرورة إلى سلوك طريق المغامرة كما أنه لا يحدد لنفسه أهدافا هي أقرب إلى الخيال، ولكن يستطيع مع ذلك أن يصوب جهوده نحو ما هو أقرب للتحقيق، فإذا أدركه انطلق في محاولة لتحقيق هدف آخر أسمى من الأول. وهكذا يظل الفرد يرفع من مستواه ويحسّن من ظروف عيشه و يتصدى لمشكلاته واحدة واحدة بما يجعله ينطلق بوتيرة تسمح له أن يرفع حجم مساهمته على عدد من الأصعدة وشيئا فشيئا يفرض وجوده في واقع الناس الذي يتطور ليصبح حضورا في زاوية من زوايا المجتمع بصورة محتشمة، ويتحول بسرعة إلى حضور فعلي له بعده الاجتماعي. هكذا يعيش البشر دوما، كل أنواع البشر، الصغير و الكبير و المثقف و غير المثقف و العالم والجاهل و الرجل و المرأة و الغني والفقير و الصحيح والسقيم و الحاكم والمحكوم. إنهم يحرصون على تغيير حياتهم و تحسين مظاهرها من خلال وضع أهداف والسعي إلى تحقيقها. وعندما يتحقق لهم ذلك فإنهم بتلقائية فطرية يضعون أهدافا أخرى و يباشرون العمل لإنجازها. ويظل الواحد منهم يرتقي و يرتقي في سلم هذه الحياة و لا يرضى بواقعه الجديد مهما كان و لا يدرك طموحُه السقف إلا حين يغادر هذه الحياة و صدق ﷺ حين قال: " لو كان لابن آدم واديان من ذهب

لابتغى الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب "[12].

إن إمكانية تحسين أوضاعه وخاصة التحكم في مصيره يملكها الفرد المعوق، كما أن فرص تحقيق ذلك قائمة ويحتاج فقط أن يُقنع نفسه بالدخول في معترك الحياة لجني ثمار جهوده المبذولة. و من الطبيعي أن يصاحب هذا الدخول مشاعر الخوف و القلق والتردد و هي عوامل لا تتحرك دائما في الاتجاه السلبي. فقد أظهرت كثير من الدراسات أن القلق في حدود معينة يدفع نحو التعلم[13]. وحتى لو أن الخطى تتعثر في البداية، نتيجة وجود العوامل المثبطة الداخلية والخارجية، فإنه أمام الفرد العمل على رفع هذا التحدي وتجاوز هذه العقبة لكي يتمكن من مواصلة السير و الارتقاء في سلم الحياة. و لا يحتاج في أول الأمر أن يدخل في تنافس مع الآخرين أو يحدد سرعة تحركه و طبيعة و نوعية أهدافه على ضوء حقائق و معطيات تتعلق بهم. بل يحتاج في مرحلة التردد هذه أن يتنافس مع الذات و يقنعها بعدم جدوى التقوقع و الانطواء و بالفوائد الجمة التي يحققها بذل الجهد مهما كان بسيطا ومهما كان محدودا.

و لعل أيسر السبل لكسب هذا الرهان هو الانتقال بهذه النفس، بصورة تدريجية، نحو الأخذ بالأسباب الكفيلة بتغيير حياة الفرد نفسيا واجتماعيا، وذلك على النحو التالي:

1– إقناع نفسه بضرورة المحاولة والبدء في التجربة واختبار إمكانيته في الواقع المعاش. فبدلا أن يظل في حوار يشكك في قدراته و يحكم عليها بالعجز والقصور، فله أن يتأكد من ذلك ميدانيا. و بدون هذه البداية لا شيء يمكن أن يتغير في حياة الفرد. و ليتذكر أن الدخول في التجربة الأولى يكون دائما صعبا لأسباب موضوعية. و هي قصة متشابهة في طبيعتها مع كل الأفراد بغض النظر عن مؤهلاتهم و قدراتهم. لذلك لابد أن يتجرأ الفرد على القيام بها، لعلّه

---

[12] - حديث نبوي شريف رواه الإمام أحمد في المسند ، المجلد الثاني

[10]- Borger and Seaborne (1976) " the psychology of learning " pp.59-60

من خلالها يكتشف نفسه في الوهلة الأولى و يكون ذلك سببا مباشرا في تغيير مصيره، أو على الأقل يعرف ما يجب عليه أن يفعل و كيف يمكنه فعله، و ما هو أنسب و أيسر طريق لفعله انطلاقا من اهتماماته الخاصة إذا كانت قد تبلورت. وليحرص على القيام بالمحاولة أولا ليرى بعدها ماذا يحدث.

2- الاستمرار في المحاولة أمر ضروري. إذ يجب ألا يحكم على نفسه حكما نهائيا بعد تجربة واحدة، ذلك أن هناك أمورا تحتاج إلى وقت لاكتسابها و تعلمها وهناك مهارات لا تُكتسب دفعة واحدة و إنما بتراكم آثار التعلم على مدى زمني معين . كذلك فإن النتائج التي ظهرت مهما كانت، فهي النتائج التي توصل إليها بنفسه و من خلال استخدامه أسلوب محدد و تبنيه طريقة معينة و اعتماده وسائل بذاتها. و يمكنه أن يحصل على نتائج أحسن منها بمجرد ما يراجع منهجية عمله السابقة أو يُدخل عليها تعديلات مناسبة. فقد تكون النتائج التي هزمته جاءت نتيجة ارتكابه أخطاء أثناء المبادرة، و لعل بتجنبها في المبادرة اللاحقة يحقق نتائج أفضل. فلا ينبغي أن ننظر إلى تلك النتائج على أنها تعبير مباشر عن قدرة الفرد الحقيقية وحدود ما يستطيع فعله نهائيا.

3- الاقتناع بعدم التوقف عن المحاولة، لأن اختيار التوقف كحل هو في حقيقة الأمر قطع الطريق أمام المستقبل، فضلا عن كونه عنوان اليأس والتشاؤم الذي يكبل صاحبه و يتركه قعيد إعاقته و مظاهر عجزه الطبيعية. لذلك ينبغي أن يتشبث بمنطق المحاولة و تكرار المحاولة حتى و لو لاحظ عدم تحسن النتائج. وكما سبقت الإشارة فليتذكر أن ما أنجزه على أرض الواقع حققه بإمكاناته الخاصة وهو في حد ذاته مكسب يجب أن يحافظ عليه. أما إذا اختار أن يتوقف فلا شك أنه يصبح أعجز مما كان عليه سابقا و تزداد تبعيته و تعلقه بالآخرين.

إن طريق انتعاش الأمل يكون في المحاولة وعدم التوقف عن القيام بها مهما كانت الصعوبات. و لن يكون في تركها و عدم تسجيل أية مبادرة. و كما أسلفنا،

تصبح المحاولة مع مرور الزمن، ومن خلال تغيير الأسلوب و مراجعة الطريقة، كفيلة بأن تؤتي أُكلها ويحقق بواسطتها ما تصبو إليه نفسه وما ينشرح له صدره. بالإضافة إلى ذلك، فإن المجتمع من حولك يطمئن إلى كل الإيجابيات التي ترتبت عن مبادرتك، و من المتوقع ألا يعاتبك على السلبيات الناجمة عنها لأنه مقدر للغاية ظروفك، وستلقى منه كل تفهم في هذه الناحية. عندئذ يبقى دورك أن تقتنع أنت، و ألا تنهزم أمام ضغوط النفس اللوامة والمعاتبة و التي تميل إلى الاستكانة والراحة و لو على حساب ماء الوجه وكرامة الإنسان.

4- محاربة الخجل والخوف تجاه المحاولة ذلك أن الوضعية التي يكون الفرد بموجبها تابعا لغيره وعالة عليه هي التي يجب أن ينمي تجاهها الخوف والخجل. و ما ينبغي أن يزيده خجلا إدراكه لإمكاناته الهائلة التي يستطيع أن يعيش باستغلالها عيشا كريما. في المقابل يجب أن يحاصر ويحارب الخوف عند القيام بالمحاولة. هذه الأخيرة هي الصديق الحميم الذي يجب أن يعلق عليه آماله ويطمح به أن يحدث ثورة في حياته. علما بأن مواصلة النشاط في مجابهة تحديات المجتمع من شأنها أن تحد من درجة الخوف و يتعلم معها التحكم في قلقه، في حين أن الانطواء على الذات يعمل في الاتجاه المعاكس تماما، إذ أنه يكرس معاني الخوف و القلق و يرسخها لدى الكائن البشري حتى يستبطنها لتصبح أحد مقومات شخصيته، مما يضطر مع حضورها إلى تسيير حياة غير آمنة و غير مطمئنة.

5- تنمية الطموح يقطع الطريق على تنمية الخوف، فضلا على أنه حق كل إنسان في هذه الحياة، و غياب هذا العنصر من حياة الإنسان هو إشارة إلى حالة غير سوية. فالكائن البشري طموح بطبعه، و كلما حقق مطلبا تطلع إلى غره. و لا يمكن استثناء الفرد الذي يُعرف بمظهر أو أكثر من مظاهر العجز. فبفطرته يطمح كباقي بني جنسه إلى حياة أفضل، و من حقه أن يحدد لنفسه الأهداف والغايات و أن يشرع في العمل على تحقيقها على أرض الواقع. و لا أحد يملك أن

يحدد للناس سقفا لطموحاتهم. فكل فرد يتحمل مسؤولية نفسه بنفسه. فهو أعرف بها من غيره في تقدير ما يُصلحها وما لا يتناسب معها. و لا بأس للإنسان العاقل مهما كانت مظاهر العجز الخاصة به أن ينمي طموحه، فيبدأ بوضع أهداف بسيطة ثم يرتقي إلى ما هو أعلى و أسمى. و يكفي في بداية الأمر أن يكون الهدف المرسوم مرحليا يتماشى فعلا مع ما يملكه من مؤهلات و استعدادات. بهذه الطريقة يتسلق الفرد في سلم الحياة و يرتفع و تزداد طموحاته في الحجم والنوع، و يحذر ألا يثبط عزيمته بوضع أهداف صعبة المنال في المراحل الأولى، و سيتعلم كيف يتناولها في المراحل اللاحقة بعد ما يكون قد اكتسب الخبرة وحنّكته الأيام، و زالت من حياته كل مظاهر التردد و صور الخوف والخجل.

6- عدم وضع سقف ما هو مستطاع بالاعتماد على تقديرات سطحية وتقييم جزئي و شكلي. فأحيانا لا تظهر قدرة الفرد إلا مقرونة بوجود ظروف مساعدة ومنبهات مستثيرة. وهذا الفرد، بالتنويع في محاولاته وتعاطيه التجربة تلوى الأخرى، سيشارك عمليا في إيجاد تلك الظروف التي تثير عنده اهتمامات جديدة، و تدفعه إلى اختبار نفسه بطرق مبتكرة و في ميادين أخرى مما يجعله يكتشف نفسه في أبعاد لم تكن معروفة لديه، فيتعرف على خصائص كان يجهلها قبل هذه الفترة و يدرك أن الكثير من الأشياء و الأفكار و الأنشطة التي كانت، بسبب النظرة القاتمة و التقدير غير الموضوعي، خارج اهتمامات، اندمجت اليوم بصورة طبيعية في حياته. لذلك لا بد أن يبقى الحكم على هذه الإمكانات حكما مرحليا و مؤقتا و ليس حكما نهائيا. و يواصل الفرد عملية استكشافه للذات والتنقيب في أغوارها بالتوسيع في دائرة التجربة و التنويع فيها.

بناء مشروع الحياة بعيدا عن المثالية الخيالية

منطلق آخر يحدد مبادرات عامة الناس و خاصتهم هو الابتعاد عن التصورات المثالية التي تتغذى من الخيال و تكون غير قابلة للتجسيد على أرض الواقع. فإن استثمار الجهد في هذا الاتجاه لا يؤدي إلى أية نتيجة إيجابية بل، بالعكس، قد يحكم على الفرد أن يعيش منطويا على نفسه حينا من الدهر و هو بعيد عن الواقع. و يخرج من هذه التجارب، إذا استطاع أن يخرج منها، و ليس في يده شيء من الفوائد والمكتسبات. من هنا تعين على هذا الفرد أن يعمل دوما على تنظيم حياته و تطويرها انطلاقا من آليات و قدرات يملكها فعلا أو يستطيع اكتسابها، و أن يختار المشاريع التي له مؤهلات مباشرتها و إمكانيات تحقيق النتائج المرجوة. و لا ينبغي له أن يدخل معركة لا يملك أسلحتها و ليس لديه المعطيات الكافية التي يرجح على ضوئها فرص الانتصار فيها. فما قلناه إلى حد الآن لا يجب أن نفهم منه أنه تحريض على الدخول في المغامرات وفي التجارب غير المدروسة و غير المحسوبة العواقب. نعم يحتاج الفرد إلى مطاردة كل مظاهر الخوف و التردد، و أن يتحرر من قيوده الاصطناعية التي وضعها بنفسه، و أن ينطلق في كد و جهد متواصلين لتغيير الحياة من حوله. والمطلوب منه أن يعمل في حدود ما يستطيع. وما يستطيع فعله هو أكبر وأعظم مما ظل يتصور إلى حد الآن أو مما قدّره الآخرون. لكن يجب أن يكتشف ذلك بنفسه، ويتعرف عليه في الواقع. و مما يساعده على التحرك بعيدا عن الصور المثالية والخيالية:

1- تحديد أهداف واقعية قريبة المنال.

2- الاعتراف بمظاهر عجزه بوضوح، و عدم إخفائها أو مخادعة النفس بمحاولة إقناعها بعدم وجودها.

3- بناء حياته لبنة لبنة و كل خطوة يريد أن يخطوها يجب أن يخطط لها ويجمع لها وسائلها و يعد لها عدتها.

4- لا ينبغي أن يشغله التفكير في المراحل المستقبلية عن متابعة العمل الذي شرع فيه، و أن يعطي هذا الأخير كل ما يستحق من اهتمام و رعاية لأن مستقبله المنشود مرتبط ارتباطا وثيقا بالخطوات التي يباشرها الآن و بمدى نجاحه في ما هو بصدد إنجازه. فلا يترك الأوهام و الأحلام تغزو حياته ويتخلف عن أداء ما هو مطلوب منه في الآونة الراهنة. و لا يُفهم من هذا عدم اعتبار المستقبل ضمن الحسابات أو عدم التخطيط له، بل و استشراف تقلباته و تطوراته المحتملة. كل ما في الأمر أن يظل الإنسان عمليا في تفكيره ومواقفه يتعامل مع الظروف المحيطة به بكل موضوعية و بكل واقعية.

اعتماد الواقع أرضية للانطلاق نحو المستقبل

إن حقائق الواقع الذي يعيش فيه الفرد هي المعطيات الأساسية التي يجب أن يأخذها في الحسبان عند كل محاولاته. فلا يتبنى سياسة الهروب إلى الأمام، فيغطي هذا الواقع أو يدير له ظهره، و يتكلف في إقناع نفسه بواقع آخر غير موجود و إنما هو من صنع خياله.

إن التخطيط الناجح ينطلق بالدرجة الأولى مما هو موجود و لا يعوّل كثيرا على ما يمكن افتراض وجوده أو احتمال ظهوره لاحقا. إن حياة الإنسان قصيرة والعاقل لا يبدد وقته المحسوب عليه بالدخول في متاهات و تعقيدات هو في غنى عنها. وفي المقابل أن يستثمر هذا العمر الذي هو رأس ماله الحقيقي في كل ما يساعده على تطوير حياته في الاتجاه الإيجابي، و على تحسين أداء مختلف أدواره، و بالتالي رفع حجم مساهمته كميا و نوعيا.

وتشمل عملية الاعتراف بالواقع:

1- الانطلاق من الحقائق المتعلقة بشخصه. فلا يعمد إلى قراءة واقعه قراءة يخفي فيها تلك الحقائق. فليصارح نفسه بكل ما هو موجود فيها، و يبذل كل ما في وسعه من جهد لاكتشاف ما يجهله عنها و للتعرف عليه. وليس في ذلك أي حرج، خاصة إذا كان يحرص على تغيير هذا الواقع و يتطلع إلى واقع أفضل.

في هذه الحالة يحتاج إلى الإلمام بالمعطيات الصادقة و المعبرة. أما العمل على مخادعة النفس وتضليلها بحقائق زائفة لا بد أن تنقلب نتائجه سلبا على حياته. وكيف يمكن أن يحقق النجاح في حياته و يبلغ أهدافه في الوقت الذي يتحرك فيه بشخصية خيالية مختلقة. إنه الغرور الذي يخرج بالفرد عن حدود إمكاناته و عما هو في مقدوره إلى المغامرة المجهولة العواقب و التي لا محالة، عاجلا أو آجلا، هازمة لصاحبها. ولعل من المهم التذكير بأن من آثار الفشل الخطيرة أنها تغذي المزيد منه. فلا يجوز للإنسان، و خاصة من فئة المعوقين، أن يقدم من البداية الأسباب التي من المرجح أن تؤدي إلى الفشل. و معلوم أن الإنسان الذي لم يعتمد في مبادراته على قدراته الذاتية و استند أساسا على القدرة الوهمية مآله السقوط والفشل. فيحسن به حينئذ، و هو يتعامل مع قضايا الحياة أن يترك أسلوب مخادعة النفس و تضليلها، و ألا يستبدل ذلك في الوقت ذاته بأسلوب الاحتقار والاستهانة. والموقف المعتدل ينطلق من إيمان الفرد بأن مصيره بيده ويستطيع بما عنده و ما يملكه أن يجعله مصيرا لائقا بعزة الإنسان و كرامته.

2- قراءة موقف المجتمع منه كما هو في الواقع، لا كما اقتنع به مع نفسه وصوّره له عقلُه. فهذا الموقف من حسن حظه تعددت صوره و تنوعت، و كلها عادة تمثل التعبير العملي عن التضامن مع أفراد هذه الشريحة من المجتمع.

فمن الخطأ أن نحكم على كل هذا التنوع من خلال موقف واحد أو مظهر واحد يسجله فرد أو جماعة أو مؤسسة. ومن باب الاحتياط عدم الدخول في تأويلات منطلقها عاطفي، فيعتبر عدم وجود بصورة مطلقة تقدير له و لمشاعره أو العكس. فما دام هو راغب في أن يشق طريقه في هذا المجتمع وأن يبني حياته المستقبلية داخل هذا المجتمع، فلا بد أن ينطلق من حقائق تتعلق بهذا المجتمع، و لا يقتصر على ما يطفو على السطح من مظاهر تثيره أحيانا، بل يجب أن يتعداها إلى ما هو أعمق ليتمكن من الإلمام بنظرة المجتمع إليه، وماذا يقصد الأفراد بمواقفهم المتباينة. سوف يلاحظ أن كثيرا مما يتأذى منه مصدره

خياله و تصوراته الخاطئة و أحكامه المسبقة. و حتى مع افتراضنا أن أفرادا من المجتمع لا يحترمونه أو لا يتعاملون معه بالحسنى، فله أن يساهم في تغيير هذه النظرة و دفع الناس إلى تبني مواقف أكثر إنسانية و ذلك بتسجيل حضور قوي في المجتمع و بمد الجسور نحوهم أفرادا وجماعات لكسب معركة العلاقات. كل هذا يؤكد على نقطة أساسية هي ضرورة الانطلاق من الواقع بعد التعرف عليه والاعتراف به.

وفي الأخير يجب أن يتذكر أنه يمثل حلقة من حلقات هذا المجتمع. فهو واحد من أفراده يتأثر بما يتأثرون. وأن الكثير مما يصيبه لا يصيبه هو خاصة. إنها أحيانا تندرج ضمن التأثيرات العامة التي تمس الأفراد، بغض النظر عن خصوصياتهم. فلا داعي لتضخيمها و جعلها عبئا ثقيلا من الصعب التحرر منه إذا تأسس كقناعة و تأكد كمنطلق في فلسفة الحياة.

عدم سلوك طريق تبرير العجز و الفشل

ما أسهل على الفرد أن يواجه مظاهر فشله و صور إخفاقه بمنطق التبرير. فوجود الإعاقة يساعد الفرد على إقناع نفسه بالأسباب الموضوعية التي تؤدي إلى عجزه في تحقيق الأهداف. وما أيسر عليه أن ينساق وراء هذا المنطق ويركن إليه. فالصورة الظاهرية لواقعه تكاد لا توحي بغيره. و مع مضي الوقت لا نعجب بعد ذلك إذا تحول هذا المنطق إلى القاعدة المعتمدة عند تحليل الواقع و قراءته، و أن كل ما عداه من أوجه المقاربة لا يمثل سوى الحالات الشاذة و الاستثنائية. وهنا تكمن خطورة الوضع حيث أن الفرد يحاول أن يتأمل في سلوكه وفي طريقة عمله بحثا عن الأسباب المنهجية المحتملة التي قد تقف وراء النتيجة الضعيفة التي توصل إليها. و بدلا أن يفتش في هذا النوع من الأسباب، و يعمل على تحسين مستوى الأداء و بسد كل ما هو في مقدوره سده من ثغرات أو تدارك كل تقصير من قبله بوسعه تداركه. وهو طريق لا شك واعد و سلوكه من شأنه أن ينتهي بالفرد إلى أبعد ما يمكن أن يقدر أو يتصور.

إنه يفضل أن يقف مكتوف الأيدي أمام الواجهة و لا يتعداها. وكل ما يقوم به من هذه الناحية، حتى ولو كان في غير صالحه في المديين المتوسط والبعيد، يكون مقبولا و مبررا من قبله هو و كذلك من قبل أفراد و هيئات المجتمع. إنه المعوق المسكين لا يستطيع أكثر من ذلك. و هذه العوامل تزيد من رغبة الفرد على التشبث بواقعه وعدم التفكير في مراجعته قصد تحسينه.

ليس غريبا أن تقف نسبة كبيرة من هذه الشريحة دون الآخرين في مختلف أعمالهم و إنجازاتهم. فهو تحصيل حاصل والأمر طبيعي جدا.

فكما أسلفنا يسهل على أفراد هذه الشريحة أن يركنوا إلى هذه الحلول الانهزامية، ويصبح شاقا عليهم مطالبة أنفسهم بالمزيد من بذل الجهد و مراجعة الخطة و تغيير أسلوب التعامل مع الواقع. والجميع عجز أن يدرك أن الإعاقة ما هي إلا عارض ينبغي التعامل معه في حدود المعقول، و حتى إذا جاءت هذه الواجهة تفرض نفسها على صاحبها، يستطيع هذا الأخير على كل حال أن يعود إليها، ولكن في آخر المطاف لا في بداية المسير و بعد أن يستنفد كل الجهود الخاصة بالتقويم الموضوعي الشامل. وعلى ضوء ما تكشف عليه هذه العملية بكل شفافية و وضوح يتحدد قراره المصيري.

فمن غير المعقول أن يظل الإنسان حبيس الإعاقة، يغلق الباب أمام تجديد المبادرة و تكرار المحاولة بسبب إحساس يجده، أو شعور يعتريه من جراء وجود إعاقة. إن سياسة التبرير يلجأ إليها ضعاف النفوس، و ليس بالضرورة ضعاف الأجسام لأن أقوياء النفوس و أصحاب العزيمة يستطيعون هزيمة مظاهر الضعف وتجاوزها إذا لازموا مقاومتها ولم يختاروا الاستسلام.

وعموما فإنه إذا تمكن من إقناع نفسه بأنه صاحب إعاقة، وأنه بناء على ذلك ليس مطلوبا منه مضاعفة الجهد و لا أحد يتوقع منه أن يحقق النتائج التي يحققها عامة الناس، إنما يعني ذلك أنه حكم على نفسه بالموت النفسي الذي يعقبه

الموت الاجتماعي. وهو شبه انتقال من الوجود إلى العدم. و ترسيخ قناعة تبرير الضعف و العجز يتحول إلى جمرة أول من يكتوي بها صاحبها الذي رأى في الانسحاب الموقف الأصوب و الحل الأمثل و المعالجة البديلة الوحيدة. والحقيقة أن رفضه لهذه القناعة يعني الإيمان بإمكانية تغيير الواقع. و هي موازنة ربح الفرد فيها مرجح على الخسارة، ذلك أن في تسجيل هذا الرفض انبعاث لبصيص من الأمل مهما كان ضئيلا ومحدودا. في حين لا يعني الاستسلام للإعاقة سوى بداية النهاية و غلق باب الأمل و قتل باقي القدرات الذاتية وطمس المواهب الكامنة. و على ضوء ما يلاحظه من مواقف يتبناها الفرد نفسه، فإن المجتمع يستوعب هذا الاختيار و بسرعة يتجاوب معه.

تنويع الفرص للنجاح بتوسيع الثقافة و تعميق التعلم

إن إمكانية نجاح الفرد في هذه الحياة تكون مرهونة عادة بالفرص المتاحة أمامه. لكن النجاح في استغلال تلك الفرص و الاستفادة منها هو بدوره مرهون بمدى توفر الفرد على الزاد الثقافي و التحقق بالمستوى التعليمي المؤهل.

من هنا يكون الإعداد لمواجهة الحياة وتطوير إمكانيات استغلال هذه الحياة *معتمدا بشكل كبير على عملية التعليم. فقد لا يملك الفرد المهارات الكاملة للقيام بوظيفة أو مهمة، ولكنه قد يوجد عنده استعدادات نفسية لاكتسابها عن طريق التمرس والتعلم[14]. ولذلك حين يجري الفرد عملية التقويم لإمكانياته الحقيقية لا ينبغي أن يلغي من حساباته ما يمكن أن يصبح ضمنها عن طريق التدريب والتعلم.

إن عملية التعلم تغير من واقع الفرد وتطور حياته وتجددها. هذا أمر مسلم به ونتائج الدراسات الميدانية المتراكمة أكدت ذلك في مجالات مختلفة ومع عينات من شرائح عديدة من المجتمع الإنساني. فالممارسة الرياضية المنتظمة رأيناها

[14]-Scott .R Macconnell (2000) Assessment in early intervention and early childhood special education: building on the past to project into our future

تحسن من صحة الأجسام، و المواظبة على حضور مجالس العلم و المطالعة الدائمة ساهمت في رفع مستوى الأفراد الفكري والنفسي والاجتماعي، كما أن الدخول إلى مراكز التكوين المهني قصد التخصص في مجال مهني وجدناه على أكثر من صعيد غير مجرى حياة أجيال وأجيال.

ويكفي أن نعود إلى واقع الكثير من هؤلاء قبل سلوكهم طريق الاستزادة من العلم و الخبرة و نقارنه بالواقع الذي عرفوه بعد سلوكهم هذا الطريق لنلمس بأم حواسنا ماذا في مقدور العلم أن يصنع من الأفراد و الجماعات إذا توافرت عوامل مثل الإيمان والرغبة والحرص.

من ناحية أخرى لا بد أن نضيف بأن سلوك طريق التعلم، زيادة على كل ما ذكرناه، يساعد الفرد على تحقيق الاستقلالية، المطلب الذي يكون صاحب الإعاقة أحوج إليه، إذ أن بواسطته تتعزز ثقته بالنفس و يصبح أكثر استعدادا لتغيير نظرته لواقعه. وعندما يرى النتائج الإيجابية ماثلة أمامه يقتنع أكثر فأكثر بفائدة اعتماد هذا التوجه نظرا لأنه محفز للغاية.

ومن العوامل المساعدة في هذا الاتجاه التطور التكنولوجي الذي قرّب البعيد، و وفّر ما كان بالأمس صعب المنال، كما جمع المعلومات في أطر يسهل على الفرد الاستفادة منها. و كثير من الوسائل المساعدة الأخرى متوفرة لمن يطلبها ويحسن توظيفها واستغلالها. و هذا كله يبعث على الأمل لأن تحقيق ما يصبو إليه الفرد، مع توفر كل هذه الإمكانيات المادية، يصبح أمرا سهلا و ميسورا ويمكن إدراكه في مدة زمنية قصيرة نسبيا. فقد لا يطول في وجودها عُمر التضحيات ليبدأ هذا الفرد بالتالي في جني ثمار جهوده المبذولة.

يبقى الإشكال المطروح " **ماذا بإمكان صاحب الإعاقة أن يتعلم، وما هي الحدود التي لا يمكنه تجاوزها ؟** ".

وكتعليق أول على هذه المسألة أقول إن الفرد لا يحتاج أن يسطر حدودا

مسبقة لمجال مبادراته أو يضع معالم ثابتة لحقل تدخلاته. بل يسعى لبذل كل ما في وسعه لتحقيق طموحاته متجاوبا مع اهتماماته و ميوله و رغباته من جهة، ومتطلبات الاندماج الاجتماعي والانتماء الحضاري من جهة ثانية. و يكون بذلك قد قام بما يمليه عليه ضميره. وسنة الحياة ونواميسها تتكفل بالكل وتدير نشاط مختلف المتغيرات في الاتجاه الذي يريده خالق الوجود.

الاستقلال بإمكاناته الخاصة

كل عجز يعاني منه الفرد يفرض عليه نوعا من أنواع التبعية. هذه التبعية بديهية بالنسبة للمعوق حركيا الذي يعيش بصعوبة دون مساعدة الغير. و هي كذلك بالنسبة للكفيف عندما يرغب في الانتقال من مكان إلى مكان آخر أو يسافر أو يريد استعمال مصدر أو وثيقة محررة باللغة التي يقرأها المبصرون.

إلا أن التبعية النفسية تكون أعمق وبآثارها تلك تحول دون ظهور نمو القدرات التي تسمح للأفراد بالمبادرات الحرة و تحمّل المسؤولية، كما أنها تحد من مجال حركاتهم و نشاطهم داخل المجتمع. و في محاولتهم إقامة المراقبة على أطفالهم التي هي ضرورية قصد حمايتهم من الأخطار التي تحذق بهم، فإن الأولياء أحيانا كثيرة يبالغون في احتياطاتهم و في الإجراءات التي يلجؤون إليها معهم. هذه الرعاية الزائدة تكون مع الطفل المعوق أكبر. فنجد من هؤلاء الآباء، بمحض إرادتهم وتخوفا من كل ما يمكن أن يحدث لأطفالهم، من يفرض على الكفيف ملازمة المقعد مشدودا إليه أو ملقى على سرير إلى سن متأخرة. وهو تمديد مفتوح وغير طبيعي لمرحلة الطفولة من شأنه أن يكرّس تبعية الفرد ويرهن مستقبله. هذا الطفل لو تُرك لوحده، بدون هذه القيود، فضلا عن أن يُوجّه، لاستطاع القيام بعدة أشياء. و أما بهذه الكيفية فتتأكد التبعية و تقوى. فالتربية ترفض المساعدة التي تفرض التبعية و تزيدها رسوخا. و قد يبدو لأول وهلة أنه موقف غير إنساني، كترك الكفيف خارج إطار الضمان المدرسي والمساعدة المباشرة يتخبط مع صعوبات الحياة و يواجه بمفرده تحدياتها، و لكن

في ظروف كهذه يجب كذلك أن يؤنبنا الضمير عندما نخفق في تحضر وإعداد الفرد إلى الاستقلال و التحرر من التبعية و عندما نتأمل في الآثار الوخيمة الناجمة عن هذا الإخفاق في حياد تام بعيدا عن العواطف الخادعة والمضللة.

إن توفير الأمن و الرعاية للمعوقين مهما كانت متميزة في نوعيتها مع رهن حياتهم لرغبة الآخرين وإرادتهم، وضع لا تطمئن إليه النفوس السليمة و لا يمكن أن يكون بديلا إنسانيا يرضيها.

من هنا فإن كل خطوة يخطوها صاحب الإعاقة في الاتجاه الصحيح بإمكاناته الذاتية وبوسائله الخاصة، مهما كانت بسيطة ومتواضعة، تمثل منعطفا بارزا في حياته ولبنة ثابتة في بناء مستقبله بنفسه. وهو مكسب جليل في طريق الوصول إلى التحكم في المصير و تحقيق الاستقلالية المنشودة و الذي يجب أن يثمنه و يشعر بقيمته و يحرص على رعايته و المحافظة عليه.

وعليه فلا ينبغي أن يتردد، عندما يكون له الخيار، في الأخذ بما يساهم في تعميق هذا المطلب و تكريس هذا المقصد. و أن يحذر، في المقابل، من تعاطي تلك الأساليب التي تعفيه من بذل الجهد الذاتي و اختبار قدراته الخاصة ويعتمد فيها أكثر على الآخرين، حتى ولو كان العائد عليه فيها عظيما. ذلك أن ما يتحقق بهذه الطريقة لا يمكن، بأي حال من الأحوال، أن نعتبره مكسبا حين يكون الفرد فيه تابعا لغيره. فهو، ببعد نظره، أميل إلى الدخول في التجارب التي يجد فيها مجالا أوسع للقيام بالمبادرات الخاصة و النشاط الذاتي نظرا لما يستفيده من تطوير لقدراته ومهاراته وتقوية لإرادته وتعميق لإيمانه. و يفضلها على تلك التجارب التي يؤدي فيها أدوارا ثانوية أو يكون فيها سلبيا، لأن ما يكتسبه منها ضئيل ولا يمثل البعد الاستثماري للمستقبل، وإنما هو مجرد مظهر استهلاكي آني يزيد من تبعية الفرد بدلا أن يخفف من درجتها.

يجب أن يدرك بأن التضحية المستمرة و مضاعفة الجهد ومحاولة تجاوز

العقبات المادية و المعنوية و الوقوف في وجه كل العوامل المثبطة و مقاومة مظاهر الاستسلام و الانهزامية هو ثمن طبيعي للاستقلالية. لكن يجب أن يتذكر كذلك أن هذه الاستقلالية، إذا تحققت بالصورة الصحيحة و بالمستوى المطلوب، فإنها ستصبح الوسيلة التي يتغير بواسطتها وجه حياة الفرد و التي قد يدخل بها طورا آخر، وكأنه يعيش ولادة ثانية ملؤها النشاط والحيوية والمساهمة.

إن الفرد الذي يحمل هذه القناعة ، ويعيش بها لا يجد صعوبة في تحديد من المواقف ما هو أفضل و أصلح و أنفع له و لمستقبله، كما أنه لا ينجر بسهولة وراء المظاهر المضللة و الخادعة التي تتعال مع الحاضر و الآني و تنغمس فيه و لا تهتم أو تنشغل بما يمكن أن تخبئه الأيام. إنه بدأ بالفعل يجد ذوق الاستقلالية و يتعطر بروائحها. و بالمقارنة يشعر بالقلق والضيق حين يستهدفه الواقع من هذه الناحية و يساومه في استقلاليته تلك التي اكتسبها بتضحيات جسيمة. فهو يعرف أن كل خطوة إلى الوراء مهما كانت صغيرة و تافهة، و أن كل تنازل يعود به إلى الوراء، مهما كان بسيطا، يساهم حتما و بصورة مباشرة في تقليص من مجال الاستقلالية المحدود أصلا، و يعمل على تكريس ذل وهوان التبعية. و هو شعور لم يكن ليجده لو اعتمد سياسة أمر الواقع واختار أن يتقيد بقيود الإعاقة ولم يحاول أن يبحث عن مواطن القوة الكثيرة التي يتوفر عليها. و هنا لا بد أن نشير إلى أهمية التربية إذ من خلالها يمكن ترسيخ المعاني الإيجابية في حياة الفرد و تأسيس الأركان التي تقف عليها الشخصية القوية و المستقلة. فطبيعة النشأة تحدد للفرد الاتجاه المسلكي في حياته. فإذا كان قد شب على حب العمل وعلى خوض التجارب بنفسه و عدم الاعتماد على الغير في إشباع ميوله ورغباته وفي تحقيق تطلعاته، فإن إعاقته لن تثنيه عن مواصلة السير في هذا الاتجاه، لأن عمق شخصيته يأبى الركون و الاتكال و التواكل. و لعل هذا هو العنصر البارز الذي يقف وراء نجاح كثير من المعوقين من مختلف أصناف الإعاقة والعامل الحاسم في حياتهم، كما أن غيابه هو أحد العوامل التي ساهمت

فـي فشـل الكثيـر مـن المعوقيـن و العاديـيـن مـن أفـراد المجتمـع البشـري.

يقظة الضمير في ظل مقاصد الدين

إننـا دومـا نشفق على أنفسنا ونسعى جاهدين للتخفيف عنها قدر المستطاع حتى لا نرهقها. و هذا الموقف طبيعي جدا و لكنـه مـع ذلك يفوت علينـا فرصـة اكتشاف المخبوء و الكامن من الطاقة التي تتوفر عليها ذواتنـا و نفوسنـا. و ربما نظل طيلة حياتنا نعمل دون إمكاناتنا لأن مجرد الشعور بتعب أو إرهاق بسيط أثناء القيام بالعمل يفتح المجال أمام إصدار حكم سريع و تقدير غير مدروس وغير ناضج بأن ذلك العمل يفوق طاقتنا، وبما أن المولى تبارك وتعالى يقول ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[15]. فـلا داعـي للمواصلـة، إذ فـي المواصلـة تكلف مذموم شرعا. إنه بتقديره الخاطئ أدرك أقصى ما يستطيع تحقيقه وما هو مؤهل لأدائه، و لا ينبغي أن يتصارع مع القدر المحتوم ويعاند حقائق الواقع.

بهذا المنطق السقيم تُغلق الباب في وجه القيام بالمحاولة واختبار الفرد لقدرته الحقيقية. و إذا لم يظهر في حياته أي تحدي يُخرجه عن دائرة الإشفاق على النفس و ينقله إلى دائرة يضطر فيها إلى استفراغ الجهد كاملا و العمل في مستوى ما يطيقه فعلا، فإنه من غير شك سيعيش حياته دون أن يعرف حقيقة ما تنطوي عليه نفسه. ومن يدري، لعله لو تعرّف على هذا الكامن من الطاقة الذاتية و عرف كيف يستغله بالطريقة السليمة لتغيّر في الاتجاه الصحيح والإيجابي مصيره و مصير كثير ممن لهم علاقة، ولعرف حياة أفضل يؤدي فيها دورا أهم و لكان حظ أمته منه أوفر. و إذا كان مثل هذا الموقف يُعرف به أفراد المجتمع الذين نصفهم خطأً بالعاديين، فماذا يكون الأمر بالنسبة لأصحاب العاهات و الإعاقات و مظاهر العجز الطبيعية المكتسبة؟ بالتأكيد نتوقع منهم الاستسلام بسرعة أكبر وتبرير ذلك عقليا و دينيا. إنهم معوقون، و من الأيسر على الجميع أن يتفهم سلوكهم و كل ما يصدر عنهم بسبب إعاقتهم وعجزهم. إلا

---

[9] - سوره البقرة ، الآية :286

أن القراءة الموضوعية لتصرف العاديين وغيرهم هو أنهم جميعهم، بمثل هذه الصور، يستعرضون انقيادا ذليلا كل في مستواه. والانقياد الذليل ليس من شيم أفراد المجتمع الأخلاقي الرسالي الذي ما وُجد إلا ليقود. و الظروف المتردية التي نعيشها من تخلف وانحطاط و تبعية حتى لم نعد نستطيع توفير ما يكفينا في غذائنا الأساسي دون الاعتماد على الغير يتحمل مسؤوليتها كل أفراد المجتمع. و لا يمكن تجاوزها إلا بجهد كافة أفراد المجتمع كل في موقعه حسب ما يملكه من قدرة.

أما الدين الذي اعتمد عليه الكثيرون لتبرير العجز و الخوف من تحمّل المسؤولية، فإنه، على النقيض من ذلك، يدعو صراحة إلى التحرر من الخمول والكسل، و يحُثّ على العمل الجاد يؤديه الفرد بصدق و إخلاص وإتقان. " إننا نحن المسلمين و العرب، كما يقول محمد الغزالي، خُنا ديننا خيانة فاحشة، فلم نحسن النظر في شيء... وكانت النتيجة أن جاء من وراء الحدود ، حدود دار الإسلام، من استخرج النفط من أرضنا ومن أقام الجسور على أنهارنا ومن صنع حتى الإبرة التي نخيط بها ملابسنا... " [16].

إن هذا النوع من الفرار، الذي نتصوره نابعا من عمق العقيدة الإسلامية، هو فرار الأشقياء وليس فرار السعداء. حيث أنه فرار من الله و ليس فرارا إليه جلّ شأنه. فالمطلوب من الذين يعتزون بدينهم و يحملون غيرة على مقاصده أن يكون فرارهم من الجهل إلى العلم. فالخالق جلت قدرته يقول﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[17] **ويقول سبحانه**﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[18]. كما ينبغي أن يمارسوا الهروب و الفرار من الكسل والتسويف والتهاون التي لا تثر سوى الخسران و الندم إلى التشمير جدا و عزما.

---

[16]- محمد الغزالي " دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين "
[17] - سورة فاطر، الآية 28
[18] - سورة الزمر ، الاية 9

انطلاقا من الحقيقة الثابتة أن السماء لا تمطر ذهبا و أن مصير الإنسان بيده، يديره كيف يشاء. ولعل قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[19] يحسم المسألة نهائيا ويقطع الطريق أمام الذين يريدون إقناع أنفسهم بالأوهام و الخرافات حتى يكونوا في منأى من تأنيب الضمير الحي اليقظ وعتابه.

هذه هي العقيدة التي يجب أن يحملها من يدعي الانتساب إلى الدين. عقيدة بمثابة الصخرة الصلبة التي لا تميد " والنجم الهادي الثابت على الأفق يتجه إليه المؤمن وسط الأنواء والزوابع فلا يضل و لا يحيد..."[20].

بالرغم من أن الظروف التي تحيط بالشخص المعوق تدفعه نحو تبني كل ما من شأنه أن يبرر ضعفه و محدودية مردوده، و يجد في بعض المفاهيم الدينية، بتأويلات جاهزة، أرضية معبدة و مهيأة تساعده على تشكيل المواقف على النحو الذي يرغب فيه دون الشعور بأدنى حرج. بالرغم من هذا كله، و لكن هذا الإنسان لو التفت إلى نفسه وحاورها بكل واقعية وموضوعية لانتهى إلى أنه في حقيقة الأمر يخادع نفسه و لا يريد لها خير الشرفاء، و أنه مجرد طالب لبقاء شكلي و صوري ليس إلا. و أقل ما يجب أن يدفعه حتى لمثل هذا البقاء، زيادة على قبول المذلة والهوان، أن يكفر بنفسه و أن يؤمن بأنه الضعيف و العاجز. وإذا كان الإيمان بالقدر، أي لا يقع في هذا الكون إلا ما علم الله وأراد وقوعه، واجب لا يتم الإيمان إلا به، فإن هذا النوع من الاعتقاد لا يصرف صاحبه عن عمل ما يجب عمله. بل يحفزه و يقوي رغبته في تركيز الجهد و مضاعفته من أجل القيام به على الوجه الأكمل إرضاء لخالقه جل شأنه. و يتجلى لنا ذلك بوضوح من الردود العديدة التي سجلها الرسول الأكرم ﷺ من مواقف بعض

---

[19] - سورة الرعد، الآية 11

[20] - سيد قطب " في ظلال القرآن " ص.3149

أصحابه عليهم رضوان الله. فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة " فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال: " لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له "[21]. وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء سُراقة فقال: يا رسول الله " أنعمل اليوم فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ قال: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له"، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[22]. فقال القوم بعضهم لبعض: "فالجد إذن". وفي بعض روايات الحديث: فقال عمر: ففيم العمل إذن؟ فقالﷺ " كل لا ينال إلا بالعمل" فقال عمر: إذن نجتهد"[23].

والدين الإسلامي يدعو معتنقيه إلى تقوية النفوس و المحافظة على صحة الأبدان وطلب علاجها من كل أسقامها وعللها وعدم التفريط فيها. و قد ثبت عن الرسولﷺ قوله: " تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحدا: الهرم"[24]. وهو منطق يتماشى مع مقاصد هذا الدين ونظرته إلى الحياة وطبيعة أهدافه و غاياته التي تأبى أن يلجأ المؤمنون إلى تلك الأساليب التي تعزز الخنوع و الانقياد والمذلة لغير الله، و أن تكون القوة هي عنوانهم في كل الأحوال.فعن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله و لا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، و لكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان "[25]. فهذا الحديث، كما يوضح ذلك **أمين المصري** " فوق دلالته على وجوب القيام بأسباب السعادة مع الاستعانة بالله، يدل

---

[21] - حديث رواه البخاري
[22] - سورة الليل ، الآية 5
[23] - حديث رواه مسلم
[24] - فتح الباري، ج 10، ص103
[25] - حديث رواه البخاري

على أن الإيمان بالقدر هو العدة التي يلاقي بها المرء ما يعترضه من الصعاب راضيا مطمئنا غير جزوع و لا وكتل"[26]. و كما يشرح **أمين المصري** مرة أخرى "من أين للإنسان أن يعلم المقدور و قد أخفاه الله عن أكرم خلقهﷺ إذ أمره أن يقول:﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾[27]،[28]. فصلاح الإنسان إذن، كما يضيف، في أن يعلم أن لعمله أثرا في حسن عاقبته أو سوء مصيره، من غير أن يعلم تلك العاقبة أو ذلك المصير. وبذلك يبذل الجهد في عمل الخير، و في البعد عن عمل الشر، طامعا في رحمة الله، خائفا من سخطه و مقته، فيعيش خيرا متواضعا "[29].

---

[26] - محمد أمين المصري " لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها " ص.180

[27] - سورة الأعراف ، الآية 188

[28] - محمد أمين المصري، مرجع سابق ص.183

[29] - محمد أمين المصري ، المرجع السابق ص.187

خلاصة

ونختم فقرات هذا الفصل بالتنبيه إلى بعض المعاني التي ينبغي ألا تغيب عن ذهن الإنسان و هو يخوض معارك الحياة:

1- إن أكبر إعاقة تواجه الإنسان هي الخوف. هذا الأخير إذا تمكن منه كان بمثابة السياج الذي يحاصره و يضيق من مجال مبادرته. والخوف يولد صغيرا وينمو و يكبر بفعل الأيام والشهور. لذلك ينبغي أن يُزوّد الفرد بالآليات التي تساعده على التحرر من كل أنواع الهواجس والمخاوف التي من حين لآخر تنتاب الكائن البشري بصورة طبيعية، فيكون بذلك أقدر على التكيف مع متطلبات الحياة وأكثر استعدادا لتقديم مساهماته.

2- إن أصعب شيء يواجه الفرد هو الانطلاق و البدء في العمل. وبتجاوز هذه المرحلة و اقتحام الميدان يكون قد قطع الطريق على الأفكار السلبية التي تغزوه والتي تدفعه إلى التردد الذي يفوّت الفرص و يحرم صاحبه من الإمكانات المتاحة التي لا تتطلب أكثر من الأخذ بها و حسن استغلالها. إنها الشجاعة التي تكسب الفرد تجربة و رصيدا يستطيع أن يطمح من خلاله إلى تحسين الأداءورفع مستوى المبادرة.

3- إن أكبر خطأ يمكن أن يرتكبه الإنسان في مثل هذه الظروف هو الانسحاب و التخلي عن المبادرة. فهو موت الفرد بصورة بطيئة. وقد مر بنا تحليل هذا العنصر و ما ينجم عنه في واقع الفرد في فقرة سابقة.

4- إن أقبح موقف يُعرف به الإنسان هو حين يقتصر على تقديم الشكاوي وتسجيل اللوم و لا يحرك ساكنا لتغيير واقعه نحو الأحسن والأفضل. وهو بذلك يتعارض مع سنن الحياة ونواميسها التي لا تُقاوم. وهذا المظهر يمثل السلبية في أوجها، والذي لا يُكسب صاحبه سوى المزيد من التعلق بالآخرين والخضوع

إلى سياستهم و مقترحاتهم.

5-إن أكبر إفلاس يصيب الإنسان هو حين يفقد الرغبة في النشاط والتحرك والعمل و في الإقبال على الحياة عموما. و يحدث هذا عندما يفقد الأمل في الحياة، و لا يجد الطموح الكافي الذي يحركه و يدفعه بقوة و إصرار نحو الأخذ بالأسباب و التخطيط لتحقيق الأهداف و الغايات المرجوة . و هو أمر مستبعد لدى الإنسان الطبيعي الذي يحمل عادة نظرة أكثر تفاؤلية نحو الحياة، و لا يفقد الأمل فيها مهما اشتدت به الأحوال والظروف.

6- إن أعنف تجربة و أكثرها ألما و جراحا تمر بالفرد هي تلك اللحظة التي يعترف فيها بالهزيمة مع الذات ، و هي أشد وطئا من الاعتراف بالهزيمة أمام الخصم، لأن هذه الأخيرة قد تجنب الفرد مواصلة حرب خسارتها تأكدت، كما قد يتيح له هذا الإعلان فرصة لإعادة تقويم واقعه و واقع خصمه والتخطيط من جديد لمواقف أكثر نجاعة و فائدة تمكنه من توجيه الوضع الميداني إلى صالحه. بينما يعني الانهزام أمام أسوار النفس الاستسلام للضعف و القبول بأمر الواقع.

7- إن أخطر مغامرة يمكن أن يدخلها الإنسان تلك التي يستبدل فيها الحقائق والملموس من صور الواقع بالتمنّيات و أوهام المستقبل. و هذا لا علاقة له باستشراف المستقبل و الاستعداد له.

8- وأكبر مجنون هو الإنسان الذي يكذب على نفسه، ويعمل على مخادعتها. ويكفي أن يسأل نفسه ماذا يريد بعد ذلك ليدرك أنه لا يعرف ماذا يفعل و لا أين يتجه. إن عدم اعتماد الصدق مع النفس يفرض على هذه الشخصية أن ترتدي لباسا متعدد المظاهر وهي إشارة واضحة إلى وجود الاضطراب وحالة من عدم الاستقرار.

9- إن أكبر خسارة يعرفها الفرد هي حين يفقد الثقة في نفسه . إنها بمثابة الزاد الذي إذا ضيعه صاحبه حصل له الضياع، وصار أعزل يواجه الحياة

ومتطلباتها بدون سلاح ، لأن الوسائل المادية و غيرها مهما كانت مفيدة و نافعة فهي لا تنفع من لا يملك الشجاعة الكافية لحملها و تسخيرها من أجل أهداف يراها ذات مغزى و ذات أهمية في حياته.

10- إن أول انتصار يحتاج الفرد أن يتمتع بنشوته هو الانتصار على النفس. هذا الانتصار هو فاتحة الانتصارات و تجربة ثرية يؤسس بنتائجها القاعدة الصلبة التي ينطلق منها لتحقيق الذات و تجسيد الطموحات و رفع التحديات.

11- و في الأخير يجب أن يتذكر الإنسان دوما أن الإجابة بنعم على السؤال "هل ترغب في شيء؟ " لا بد أن تعقبها الإجابة بنعم على السؤال المكمل" هل أنت مستعد لدفع الثمن من أجل تحقيق ما ترغب فيه؟". وهذا هو الموقف الناضج الذي يفرق فيه صاحبه بين الحقيقة و الخيال، و بين الممكن والمستحيل، ويتحاشى بذلك تلك المواقف التي تتميز بها مرحلة الطفولة والتي يتعاطى فيها الفرد اختيارات أقرب إلى الخيال بحيث يتصور أن بإمكانه أن يصبح الشخص الذي يريد، يكفي الإعلان عن الرغبة [30].

---

[30]- Ginzberg E. , S.W.Ginsberg , S.Axelrad and J.L.Herma (1951)

الفصل الثاني
كيف ينظر المعوق إلى الآخرين؟

تمهيد

تعرضنا في الجزء الأول من هذا الكتاب إلى الكيفية التي ينبغي أن يتعامل بها المعوق في مواجهة متطلبات التكيف مع ذاته، و خاصة المواقف و السلوك تجاه حقيقة وجود الإعاقة وما تمثله من مصدر عجز دائم بالنسبة إليه. وأدركنا من خلال العرض ضرورة رفع التحديات على الأقل بملامسة المستوى المؤهل لمواصلة سير هادف في هذه الحياة يحفظ لصاحبه ماء الوجه و يصون كرامته، وعدم بقاء الفرد حبيس إعاقته لما ينجم عن ذلك من مواقف سلبية تترجم رغبته الشديدة في الاستسلام خوفا من عواقب المواجهة التي يُرجح خطأ أنها لن تكون في صالحه. وعرفنا أن الإنجاز حتى إذا كان في الظاهر بسيطا و بمضمون محدود و فقير، فإنه يمثل رصيدا مكتسبا يسمح له بتحقيق ما هو أكبر، كما يساهم عمليا في غلق، و بصورة نهائية، باب من أبواب التبعية والاعتماد على الغير و في فتح، و بصورة نهائية و دائمة، باب من أبواب استقلالية المبادرة وتحقيق الذات في ظل معنويات عالية و عزيمة قوية و تفاؤل كبير بما سيكون عليه المستقبل. وهكذا، و كما اتضح لنا، فإن الإيجابية في المواقف و الجرأة على المبادرة و الإقبال، مع تقديم كل المستطاع، يربح منه الإنسان أكثر مما يخسر، شريطة أن يظل مؤمنا بقدرته، راغبا في توظيفها واستغلالها من أجل الحياة الأفضل التي تطمح إليها النفوس المستقرة و العقول السليمة، و يقتنع خاصة أن في وسعه تحقيق أكثر مما يصوره واقع إعاقته.

ومع ذلك كله فإن التركيز على علاقة المعوق بنفسه، على أهميتها، لا يعفي هذا الأخير من ضرورة تعزيز وجوده في جبهات أخرى. و لا شك أن المكاسب التي تحققت على مستوى مواجهة النفس تساعده على اقتحام الحياة الواقعية والولوج إليها من مختلف الأبواب. كما أن هذا الاحتكاك العملي يزيد تلك المكاسب قوة، فضلا عن كونه يعرض أمام الفرد فرصة لاختبار نفسه على

أرض الواقع، و وضعها على المحك و تقويم مسارها، ومعاينة الحقيقة التي كان مترددا حولها من أن مصير كل إنسان بيد هذا الإنسان، وأن بالقدر الذي يملكه من إمكانات ذاتية يستطيع أن يشق طريقه لوحده، في الاتجاه الذي يطمئن فيه على مصيره، دون قلق أو خوف، ودون التطلع إلى المبادرة التي تأتي من غيره، و ليتذكر دائما أن قيمة الحياة، كما قال محمد الغزالي، " في أن نحياها، نحيا كل يوم منها و كل ساعة "[31]، و أن أفضل ما تستطيع أيها الإنسان أن تصون به حياتك تلك، كما يشرح، " أن ترسم لها منهاجا يستغرق أوقاتك و لا تترك فرصة للشيطان أن يتطرق إليك بوسوسة أو ضلال" ، " فإن شحن الأوقات بالواجبات و الانتقال من عمل إلى عمل آخر... كما يضيف، هو وحده الذي يحمينا من علل التبطل و لوثات الفراغ "[32]. لذلك يُنتظر منه، كما واجه النفس وما تنطوي عليه، و رفض أن ينزل معها إلى القناعة التي تنظر إلى العجز القائم بأنه ضعف دائم، و اختار وسيلة مقارعة الواقع بما يملك وأن يسجل فيه حضورا إيجابيا يتعاون فيه مع باقي أفراد المجتمع لتوفير الحياة المشتركة الراقية والسعيدة تسمح لهم كأفراد و كجماعات أن يطوّروا إمكاناتهم و يحققوا طموحاتهم كل حسب قدرته. و هي لا شك الوسيلة الناجعة التي يستطيعون بواسطتها حماية أمتهم والمحافظة على بقاءها بين الأمم والشعوب قوية شامخة، ينعم الجميع في ظلها بالطمأنينة والرخاء والعيش الكريم.

علاقة المعوق بأسرته

إن وجود الفرد داخل أسره مع دويه هو امتياز عظيم. ولعل أكبر دليل على مصداقية هذا الحكم تراكم عبر السنوات نتائج الدراسات المستقاة من ظروف اجتماعية متباينة ومن مناطق مختلفة من العالم، والتي تتبع أصحابها أحوال عينات من أفراد حُرموا من الحياة الأسرية لأسباب متعددة وعاشوا في

[31] - محمد الغزالي " جدد حياتك " ، ص..27

[32] - محمد الغزالي ، المرجع السابق، ص.64،65

مؤسسات اجتماعيـة أو ملاجئ، و قارنوها بأحـوال عينـات أخـرى مـن الأفـراد عاشـوا في ظل أسرة.

هذه النتائج جاءت في عمومها تؤشـر على التحقق بالمستوى العالي مـن الصحـة النفسيـة الذي يتمتـع بـه أفراد المجموعة الثانيـة، كمـا سجل في أوساط المجموعـة الأولـى و بصـورة مكثفة و متكـررة حضـور أعـراض واضحـة عـن الاضطرابـات النفسيـة و سـوء التكيـف وحـالات من الاختـلال وعـدم التـوازن و التي لـم تُسجل بنفس القوة والحجم والكثافة مع أفراد المجموعة الثانية[33].

و ليس فـي ذلك مـا يدعـو إلى الدهشـة و الحيـرة، فالأسـرة كيـان نسقـي لـه خصوصيـات تميزه عـن باقـي الأطـر و الخلايـا و المؤسسـات. و مـن المظاهـر المترجمـة لهذا الامتياز:

1- يشعر كل فرد من أفرادها بمكانتـه الإنسانيـة و الاجتماعية و بقيمتـه المعنويـة، مما يؤكد عنده الاعتزاز بالانتماء إليها.

2-يكون في ظلها محبوبا لذاته ويبقى هذا الحب تجاهه قائما إلى حد ما حتى ولـو أخل بكثير من توقعات الآخرين منه.

3- لا أحد يكون فيها بديـلا للآخر. وإذا غاب الفرد المنتمي إليها خلّف ذلك الغيـاب ثغـرة في حياة الأسرة و في حياة كل فرد من أفرادها لا يستطيع أن يسدهـا أحـد.

4- فرص التعلم فيها متاحة، لكن بدون تلك القيود والشروط والمضايقات التي تفرضها مؤسسات أخرى مثل المدرسة.

5- تتفاعـل فيهـا علاقـات إنسانيـة اجتماعيـة فـي مستـوى من الصـدق والشفافيـة نكاد لا نجدها خارجها.

---

[33] - Wolf ,S(1969) " Children under stress"

6- فرص الارتقاء و تحسين المستوى مفتوحة أمام كل فرد من أفرادها إذا رغب في ذلك، مع الحصول الثابت على الدعم و كل أنواع التشجيع. و لا أحد يملك أن يغلق هذا الباب في وجه الآخر.

7– حياة تستظل بمعاني التضامن و التعاون بحيث إذا أصاب أي فرد من أفرادها مكروه يتألم لذلك باقي الأفراد، وكأن هذا الفرد تحوّل هنا إلى محور العالم يدور حوله و في فلكه باقي الأفراد.

وهذه الحالة تعرفها جل الأسر التي تأسست في الظروف الطبيعية وتعيش حياتها بصورة عادية. و حتى تلك الأسر التي تعيش وضعا متأزما و ظروف اضطراب وقلق استطاعت، حسب نتائج العديد من التحقيقات، أن توفر و في كثير من الأحيان، حدا أدنى من كل هذا، و تقدم لخلية الأسرة ككيان اجتماعي و لأفرادها أفضل مما تقدمه المؤسسات الاجتماعية و دور الرعاية والملاجئ[34]،[35]،[36]. و فقط عندما تشتد الأزمة في العلاقة بين الزوجين و تصبح معاني العيش المشترك مفقودة تتحول الأسرة إلى إطار اجتماعي غير صالح يتضرر في ظله الأفراد و خاصة القصر و الأطفال و المسنون.

لذلك، فإن الآثار السلبية الناجمة عن الحرمان الأسري عنيفة في طبيعتها، ويكون من الصعب تجاوزها حتى بتوفير ظروف اجتماعية مناسبة خارج أسوار الأسرة[37].

وبالرغم من وجود بعض مظاهر التفرقة والتمييز في ظل الأسرة إلا أنه، واستجابة لنداء الفطرة، فإن لكل فرد من أفرادها مكانته و أصالته لا ينافسه فيها أحد سواء كان ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، قويا أو ضعيفا. و لا يُستثنى

---

[34]-Mac Cord, W and Mac Cord .J (1959)" The Origins of crime : A New evaluation of the Cambridge –Somerville Youth study"
[35]- Rutter,M(1972) " Maternal deprivation reassessed "
[36]-Rutter , M (1975) " Helping troubled children "
[37]- Bowlby ,J(1953) " Child care and the growth of love "

صاحب الإعاقة من ذلك كيفما كانت طبيعة هذه الأخيرة. بل إن صاحب الإعاقة يأخذ كل ما يأخذه الآخرون، إلا أن إعاقته تحوله داخل أسرته إلى موضوع إشفاق من قبل باقي أعضاء الأسرة بحيث أن الجميع يكون عادة على استعداد لتقديم له الخدمات التي يحتاج إليها. و من الناذر جدا، وخاصة في ظل الأسرة الجزائرية و الأسرة العربية المسلمة عامة، أن تجد هذا النوع من الأفراد يعيشون منبوذين أو مهملين. وبقدر ما يعبر هذا الموقف عن المظاهر النبيلة والصور الراقية لمعاني التعاون والتضامن التي لا حدود لها، و أنه بالنسبة لأفراد الأسرة أمر طبيعي متوقع، إلا أنه، من ناحية أخرى، يتسبب في ضرر جسيم لكونه لا يساعد صاحب الإعاقة على تطوير إمكانات ذاتية. فهي أساليب تسعى في مجموعها لإشباع حاجاته الآنية، و لكن ماذا عن مستقبله و ماذا عن ظروف زمنية ومكانية سيفتقد فيها كل هؤلاء الأعزاء أو بعضهم. لذلك لا بد من مراقبة هذا الموقف الإنساني الرائع ومحاولة تسييره بعقلانية أكبر حتى لا يتحوّل في آثاره عن المسار الصحيح.

و رغم أن روح المسؤولية ينبغي أن يتحلى بها الطرفان، لكن ينتظر من مستهلك هذه الخدمات أن يبادر بتوجيه هذا الواقع وجهة أكثر فائدة له و لأسرته، مع العلم أن بإمكانه أن يؤثر في الموقف و يستثمر علاقته بأسرته استثمارا أكثر إيجابية فيحصل منها على خدمات تعزز عنده حرية أكبر و استقلالية أوسع.

ومن المظاهر الهامة التي ينبغي أن تتميز بها علاقته بأسرته:

1-مبادلة أفراد الأسرة المودة والمحبة والأخوة، والانشغال بكل ما يشغلهم والتألم لكل ما يؤلمهم. و هو بذلك يبني جسرا ضروريا ينبغي أن يظل ممدودا نحو كل عضو من أعضاء الأسرة. إنها تمثل بالنسبة إليه نافذة الأمل الأولى والباب الرئيسي الذي يمرر منه كل مشاريع حياته. و إن نجاحه على مستوى هذه الحلقة هو جوهري وأساسي لكل مظهر نجاح سوف يتحقق لاحقا كما أن فشله هنا ينعكس سلبا على حياته العامة و الخاصة فتضعف عزيمته و تتعثر

بسببها مشاريعه.

2- تنميـة الاستعـداد للمشاركـة في تحمـل مسؤوليـة الكيـان الأسـري معنويـا وبالأفعـال، بحيث لا ينبغي أن يقصـر في كـل مـا يستطيع مباشرته مـن أجـل هـذا الغـرض النبيـل.

3- ضرورة تسجيل حضور فعلي داخل البيت. و عدم الاكتفاء بحضـور صـوري، حضورا لا يُسمع له فيه صوت و لا يـراه أحـد فيـه مـن خـلال موقف أو مبـادرة، وإنمـا هو دائمـا ذلـك المعـوق المسكيـن و الوديـع الـذي ألفـــه الجميــع. ويستطيع تجسيد حضور فعلي يستلفت النظر بقوة أكبر:

أ - بالحرص كبقية أعضاء الأسرة على إبداء الرأي في كل شأن من شؤون الأســرة.

ب - بالتعبير عن الموقف الواضح من كل ما يجري بداخلها و مـن كل ما له علاقة بها من خارجها.

ج - بالمساهمة في اتخاذ القرار، و فـرض علـى الآخريـن ضـرورة استشارتـه كمـا يحصل ذلك مع باقي الأفراد.

د - بالتعريف بأذواقه و مـا يميـل إليه وما يحب وما يكره في كل ما له علاقة بحياته، مع الجهر بذلك في كل مناسبـة حتى يفقههـا الجميـع بصـورة جيـدة. وعـدم تقبـل سياسـة أمـر الواقـع إذا جـاءت لتـدوس هـذه الاعتبـارات التي هـي عنـوان الشخصيــة المتميـزة والتي يسعـى برغبـة شديـدة ودافـع قـوي لتأكيـد وجودهـا أمـام الآخرين.

هـ - بالحرص على التماس الأشياء بمحض إرادته ، و عدم انتظار الآخرين يطلبونها له، مـع مباشـرة المهـام التي فـي مقـدوره مباشرتهـا بنفسـه دون انتظـار وساطـة أحـد.

4– ضرورة تسجيل حضور فعلي على صعيد العلاقات الخارجية التي تربط الأسرة ككيان بغيرها من الأفراد أو الكيانات.

و يمكن تحقيق ذلك من خلال:

أ– مد الجسور في إطار القرابة، و ذلك بمشاركة الأقرباء أفراحهم وأحزانهم، و القيام بكل واجب نحوهم بنفسه، و ألا يسمح لأحد من أفراد عائلته أن ينوب عنه في هذه المسائل الحساسة. فعند موت أحد الأقارب مثلا يحرص على أن يحضر المأتم و يقدم العزاء بنفسه لكل فرد تربطه علاقة خاصة بالفقيد (أب، أم، أولاد، زوج، زوجة، أحفاد...إلخ). هذا بالرغم من أن جميع الأفراد من داخل و خارج الأسرة عادة يعذرونه على عدم القيام بهذه الواجبات بسبب إعاقته. لكن الموقف الإيجابي هو ترجمة عملية لعضويته الكاملة داخل الأسرة، وهو أول من يستفيد منه. و لو ظل يساير الوضع على النحو المتوقع في المجتمع لغاب من كل المناسبات و لعاش في ظل الأحداث كالشبح يُذكر اسمه ولكن لا يراه الناس. وقد يقضي حياته كلها على هامش ما يجري، نعم لا يُعاتب و لا يُلام هذا صحيح. ولكن أيضا لا يفعل شيئا في حياته.

ب – رفض تمثيله أمام الهيئات الرسمية و غير الرسمية، وأداء ما عليه بنفسه و لا يلجأ إلى تفويض غيره حتى و لو كان القانون يسمح بذلك. فينبغي أن يشارك عمليا في كل صفقة يكون أحد أطرافها الأساسيين، و يمارس حقه في الانتخاب و اختيار من يراه صالحا لتمثيله في مختلف الهيئات، و أن يفاوض الآخرين بطريقته، و يقدم شروطه حسب قناعته تحقيقا في تقديره لمصلحة الأسرة. وهنا لا بد من إضافة أن إعاقته قد تحول دون الوصول إلى هذه الهيئات بنفسه فلا يستسلم لهذا الواقع، ويختار الموقف الخجول والضعيف بالتنازل عن كل هذه الحقوق الممنوحة له. و يجب عليه بدلا من ذلك تعويد أفراد أسرته على عدم تفويته مثل هذه الفرص و المناسبات، و إذا اقتضى الأمر الاستعانة بأفراد خارج الأسرة لمساعدته على القيام بهذه الأعمال الحاسمة ذات الوزن الخطير

في حياته وحياة أسرته و مجتمعه.

يجب أن نتذكر بأن كل نجاح يحققه الفرد المعوق في علاقته مع أسرته سوف يشكل، بالنسبة إليه، الأرضية الصلبة و الصالحة التي يستطيع أن يقف عليها ليحقق انطلاقا منها المزيد من النجاح على أصعدة و مستويات أخرى. كما أن الفشل في بناء هذه العلاقة يصبح عبقة في طريق محاولته رفع التحديات التي تواجهه خارج الإطار الأسري.

مد الجسور نحو الآخرين و عدم الانطواء على الذات

إن الاحتكاك بالمجتمع ومعاينة ما يجري فيه يساعد الفرد على فهم الواقع الذي يعيش فيه و الوقوف على الآليات و الدواليب التي تحركه. و هذا يسمح له، بشيء من الموضوعية، تقدير أو على الأقل تحسس الدور الذي يمكن أن يؤديه بداخله. كما أن اختياراته سوف تتحدد على أساس ما اكتسبه من هذا الاحتكاك ومن معاشرته لأفراد المجتمع. لذلك من المتوقع أن تكون اختياراته تلك وجيهة وذات مصداقية لما تتصف به من واقعية، و لما تتميز به من طبيعة تكيفية من قبل الفرد، تزيد في رصيده، و تُوسع من مجال خبرته خاصة إذا جسد أو حاول أن يجسد بها قناعته التي بلورها في ظل التجربة الشخصية.

إن مثل هذه الجولة تمكنه من مد جسور أخرى خارج الإطار الأسري نحو عناصر بشرية أو مؤسسات اجتماعية أو هياكل إدارية، فتتعدد لديه مصادر الاستفادة، وتزداد فرص نجاحه و إمكانية شقه طريق الانطلاق الواعد، لأن من خلال تحركاته الواسعة سيتعرف على مجالات عديدة و صور متنوعة من حياة الناس، يتيسر له فيها اختبار قدراته و ما يستطيع فعله، و بالتالي تحديد الميدان الذي يكون أكثر استعدادا لبذل الجهد فيه من أجل تحقيق طموحاته والتحقق باستقلاليته.

إن تكثيف العلاقات مع الآخرين سيخلف آثارا متباينة حسب الحالات وحسب

الظـروف التي يتواجدون فيهـا. و هـذا مـن دون شك يضطـره إلى أن يواجـه ذلك بمواقـف و ردود أفعـال متكيفة غيـر نمطيـة متكـررة، فيكتسب مـع الوقت مهـارة متطـورة و ناضجـة في إصدارهـا في الثـوب المناسب و في المـدة القياسيـة. أمـا عمليـة الانطـواء على الذات، في المقابل، فإنهـا تخنـق تجربتـه و تقلـص مجـال فائدتــه و تحرمـه من فرص اكتشـاف ذاتـه و اختبارها على المحك، كما تعزز عنـده القناعـة بأنـه عاجز بالطبـع و أن حاجتـه إلى الغير مؤكـدة و مطلقـة. و مثـل هـذه الأفكـار تقتل فيـه كـل رغبـة للعمـل أو التفكيـر بالقيـام بالمبـادرة الخاصــة، و تدفعـه إلـى حالـة اليـأس و الاستسـلام و سبـق أن عرجنـا و لـو في عجالـة على بعض المظاهـر التي تترتب عـن هـذا الاستسـلام، و كيـف أن الـفرد ينتهي فيـه وجـوده المتميـز، ويدخـل ضمنـه في ممارسـة وجـود في الظـل تلـوح منـه صـور المهانـة والـذل، وتضيع فيه كل معاني الشرف والكرامة.

حضور بناء رأي و تطوير وجهة نظر و تحقيق مشاركة

إن الحضور الذي من المتوقع أن يؤدي إلى تغيير الأوضـاع في صالـح الـفرد ليـس حضـورا بالجسد فقـط و إنمـا هـي المناسبـة التي يتحـرك فيهـا بالأقـوال والأفعال عنوان إسهامه داخل الجماعة.

ومـا أسهل عليه أن يكتفي بالمشاركة الصورية، كأن يحرص على أن يكـون دائمـا مـع بقيـة الأفراد في الحـي السكني أو ضمن خلايا أخـرى للمجتمـع، و قـد لا يجـد مـن يمانع في أن يظل بينهـم، بل إشفاقا عليه، قـد يشجعونـه على ذلك. ولكـن بعـد فتـرة زمنية يجد نفسه تحول إلى عبء، خاصة إذا كـان حضـوره ذلك يكلف الآخريـن في كـل مـرة توفيـر لـه الوسيلة التي تنقلـه مـن بيتـه إلى مكـان النشـاط والعـودة بـه بعد انتهاء الأشغال. إن هـذا الوضـع بعـد مضـي وقت سيجعلـه يقتنـع حتـى قبـل أفراد الجماعة أو الهيئة بعدم جـدوى الحـرص على هـذا الحضـور الذي لا يقـدم فيـه شيئا و لا يساهم فيه بشيء. مـن هنا كان لا بد بالمـوازاة مـع الحـرص علـى الحضـور، أن يسعى لامتلاك و لو بالحد الأدنى مـا يسمـح لـه بتسجيل حضـور

يعود على الجماعة بالفائدة. و قل ما يحتاج إليه في هذا السياق هو القدرة على إبداء الرأي الوجيه و الدفاع عنه، أو صياغة وجهة النظر الخاصة و الناضجة. وهذا لا يتحقق بصورة آلية من غير الأخذ بالأسباب الموصلة إليه. و لعل ما يمكن أن يستفيد منه لتطوير مثل هذه المهارات التي تفتح بابا واسعا أمامه أحيانا لتطوير العلاقات مع الآخرين في الاتجاه التكاملي معهم لا في الاتجاه المُكرّس للتبعية لهم:

1- الاطلاع على ما يجري في بيئته المباشرة و خارجها، والوقوف على بعض ما يستجد من أحداث محلية و إقليمية و دولية ذات الأهمية، و محاولة فهم ما يجري في الواقع الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي سواء من خلال متابعة ما تبثه بعض الوسائل الإعلامية العامة أو الخاصة، أو من قراءة الصحف والمجلات العامة أو المتخصصة، أو بالقراءة المستمرة للكتب و ما تصدره دور النشر من مراجع مفيدة. و ليس من المستبعد أن يصبح، نظرا لظروفه الخاصة التي توفر له وقتا أطول، أقدر من باقي أفراد جماعته على القيام بهذا النوع من المهام، وبذلك يتحول، نتيجة هذا الاطلاع الواسع حول الأحداث والوقائع المحلية و الوطنية و العالمية ونتيجة تراكم هذه الخبرة عنده، إلى مصدر تنوير للأفراد الذين يتعامل معهم. و إن وجود الوسائل التكنولوجية المتطورة لا شك ييسر له القيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل بدون الحاجة إلى كثير من التنقل. ومع الوقت تتطور تجربته و تتوسع لتجعل منه ليس فقط المستهلك الناضج لما يُكتب و يُنشر ويُبث، و لكن الخبير الذي يحسن بلورة الرأي و مناقشة الأفكار مع إمكانية التنبؤ باتجاه التطورات وما قد يحدث في المستقبل.

2- انطلاقا من إمكاناته الذاتية الحقيقية وما تسمح به إعاقته فعلا، يحاول أن يكتسب بعض المهارات التي يمكنه بواسطتها تقديم خدماته للمجتمع. و لا بأس أن ينطلق في البداية من الحاجات الأولية لجماعته الصغيرة، فيسعى بعد تقويمه لوضعها أن يوفر لها حلا أو أكثر لبعض الصعوبات أو المشكلات التي

تواجهها، فيساهم بصورة إيجابية في التخفيف من معاناتها و من الضغوط التي تواجهها، لتتحول بعد ذلك إلى رصيد تكتسبه هذه الجماعة، كما يكون بوسعها توظيفه لتطوير كيانها و مواصلة تحقيق أهدافها و طموحات أفرادها. و بامتلاكه هذه القدرات و تقديمه هذه الخدمات يسترجع مكانته الاجتماعية تدريجيا ويصبح وجوده داخل الجماعة محوريا يرتبط به مصيرها ارتباطا عضويا[38].

3- اكتساب بعض الخصال الجميلة و النبيلة كالصبر وباقي الأخلاق الحميدة كالعفة و الإحسان و الإيثار و الاستعداد للتعاون و طرق المعاملة و المعاشرة الحسنة و الإنسانية التي تجعل منه سندا معنويا يقصده أفراد جماعته وغيرهم من أفراد المجتمع طلبا للمواساة والاستئناس، أو التخفيف من حالة القلق أو الخوف، أو التماسا للنصيحة و التوجيه، أو للاطمئنان على أحوالهم. فيدخل في محيطه الاجتماعي المباشر ضمن المحاور الرئيسة، و يشكل موقعه في علاقاتها المتفاعلة قطبا بارزا.

وبذلك تتأكد حاجة الآخرين إليه و صعوبة الاستغناء عن حضوره. الأمر الذي يساعد ولو نسبيا على إبعاد شبح الإعاقة عن حياته العملية. فالاستغراق في النشاط الحافز، الذي يستفيد منه الغير على نطاق واسع والذي ما فتئ يعزز من مكانته و يرفع من شأنه، لا يُبقي من وجود تلك الإعاقة سوى الصورة والشكل، إذ لم تعد تعني العجز و عدم القدرة على النحو الذي كان مقتنعا به، كما أنها لم تعد تقترن قسرا بالشخصية الضعيفة التابعة و الفاقدة لإرادتها التي لا تتحكم في مصيرها، مع التأكيد على أن كل إقبال إيجابي على الجماعة من هذا النوع يسد به ثغرة من ثغراتها أو يوفر به خدمة مادية أو معنوية لأفرادها سيزيد في التخفيف من وطأة الإعاقة وتأثيرها السلبي عليه. و حتى في حالة ضرورة تقديم بعض الخدمات للفرد المعوق، كمساعدته للتنقل من مكان إلى

[38]-Benn,R(2000).The genesis of active citizenship in the learning society pp.241-256

مكـان أو توفيـر لـه بعض الوسائل التي تفرضهـا إعاقتـه، فإن الجماعـة لا تشعـر بثقل هذه الأعباء في حقه و لا تضايقها كل التكاليف التي تضمن بها حضوره بينهم لأنها، فضلا عن أنها تقوم بعمل إنساني راقي، فهي تستفيد منه بطريقة مباشرة، و أن مستقبل الجماعة أصبح مرهونا، و لو جزئيا، بما يمكن أن يسهم به هذا الفرد المعوق. و الأهم من ذلك كله أن هذا الأخير، و انطلاقا من صور وحقائق الواقع الذي شارك في بناءه مشاركة يشهد له بها القريب و البعيد، يستطيع بسهولة أكبر إقناع نفسه بأنه موجود داخل المجتمع وجودا حقيقيا وليس فقط في ظله أو على هامش أحداثه و ما يجري فيه كما كان الشأن في بداية الأمـــر.

وأتصور أن مع تسرب هذه القناعة والتشبع بها يكون قد حصل في مفهومه عن الذات العتيق انقلاب يشبه في آثاره حال من كان عبدا مملوكا لسيده واكتسب أو اشترى بجهده الخاص و بماله الذي جمعه حريته. فمن المستبعد أن يفكر في العودة إلى الوضع الذي كان فيه بعدما كسر الكثير من القيود المكبلة التي طالما حاصرت حركته و الحواجز المانعة التي كثيرا ما ضيقت من أُفقه وبعد ما طرد مخاوفه المثبطة و اقتلع من الجذور معاني الانهزام و الاستكانة التي ظلت تعزز في حياته مظاهر الخمول و تقوي لديه الرغبة في الاستسلام لأمر الواقع و تني عنده الحاجة إلى تسليم أمره لغيره و خضوعه له دون قيد أو شرط حتى على حساب كرامة الإنسان.

إن الذي حصل يشبه الثورة التي تنقلب بعدها الموازين، و يتغير فيها كل شيء، إلا أنها ثورة من الداخل انعكست آثارها على حياة المعوق داخل مجتمعه.

عدم سلوك طريق التسول

إن واقع كثير من المعوقين، وما انجر عنه من حالات الحرمان وعدم القدرة

على إشباع الحاجات الأساسية، و نظرا لشعورهم المستمر بالضعف، و معاينتهم الدائمة لصور الذل و الإهانة بشتى أصنافها، كل ذلك دفعهم إلى البحث عن أقرب الحلول المتيسرة خاصة تلك التي لا يستهجنها المجتمع عندما يتعلق الأمر بهذه الشريحة من أفراد المجتمع. و من الأبواب التي طرقها المعوقون قصد تحسين وضعهم المادي و إشباع، في المرحلة لأولى، بعض حاجاتهم الأساسية باب التّسول.

وفي المجتمع الجزائري كباقي المجتمعات العربية و الإسلامية من السهل على كل فرد أن يلجأ إلى هذه الوسيلة للاسترزاق. و إن تجاوب غالبية أفراد المجتمع مع المتسول و التعامل معه بالسلوك الإنساني الذي تغلّفه معاني الشفقة والرحمة، جعل منها ظاهرة اجتماعية واسعة الانتشار في القرى والمدن.

وإذا كان الأصحاء و المعافون الأسوياء من الرجال و النساء يتعاطون التسول فليس غريبا أن تلجأ إليه فئات كثيرة من المعوقين. هؤلاء في نظر المجتمع عاجزون، و الصدقة في حقهم أكثر من مبررة ومشروعة، إشفاقا عليهم وسدا لحاجاتهم الأساسية. و أخطر ما في عملية التسول أنه عندما يجرؤ الفرد عليها سرعان ما يتعود عليها. و عادة لا يتركها و لا يتخلى عنها إلا اضطرارا و حين يعجز نهائيا عن القيام بها. وكما أشرنا قبل قليل، فإن المجتمع لا يبدي انزعاجا من ممارسة المعوق عملية التسول بل يعتبرها، بالنسبة لمن هم في هذا الوضع، سلوكا طبيعيا و طريقة مقبولة في طلب الإعانة من عامة الناس. و ليس لأحد الحق في إلقاء اللوم عليه أو معاتبته أو زجره. لذلك مع الوقت تزول عنده كل مظاهر الخجل و الخوف التي عرفها في بداية التجربة. بل و تتطور على يديه الممارسة فيُدخل بعض التقنيات أو الفنيات في طريقة عرض حاجته أمام المارة والتي تشمل الأقوال والأفعال، كما قد يلجأ إلى التنقل حتى خارج الأحياء القريبة من بيته. بل و قد يسافر إلى مدن وقرى أخرى القريبة منها و البعيدة، خاصة تلك التي تشتهر بأسواقها المفتوحة أو المعهودة في بعض أيام الأسبوع. و تتأصل

عنده هذه العادة، و تتحول شيئا فشيئا إلى محور رئيسي في حياته يصبغها في طولها و عرضها بحيث لا نحس بوجوده داخل الجماعة إلا من خلال هذه الزاوية، خاصة وأن طبيعة فعل التسول بالضرورة تكلفه البقاء خارج البيت الساعات الطويلة بحيث يعود إلى ذويه في كل مساء مرهقا و متعبا، فلا يسعه سوى التمدد للنوم ليسترجع بعض قواه و يتهيأ لغد شبيه بالأمس.

وبدون أن نرتبط في تحليلنا للأوضاع بما يُروج من قصص و روايات عن المتسولين عامة، و كيف أن الكثير منهم ينهون حياتهم و قد جمعوا ثروة هائلة من المال، وعاشوا في الواقع أشقياء محرومين، و كيف أن انشغالهم بجمع المال أخذ منهم كل وقتهم، و لم يوفر لهم حتى بعض اللحظات للاستمتاع بما جمعوه. وهي صور من الواقع الحي، لكن ما هو أهم و يجب التأكيد عليه أن سلوك هذا الطريق لا يسمح لصاحبه أن يحقق شيئا في هذه الحياة. و تحقيق النجاح فيه هو العنوان البارز للفشل بعينه، لأنه يبدو في الشكل نجاحا، لكنه لا يروي الظمآن، و لا يشبع الجوعان و لا تُدرك به طمأنينة و لا يحقق سعادة. بل هو نجاح يعزز فقر القلوب و جوع النفوس كما يؤكد حالة الخوف و القلق.

إن هذا النوع من البشر يعيش حياة بدون محتوى في ظل أهداف صغيرة هزيلة لا ترقى لتصنع مشروعا. و أغرب ما في أمرهم حرصهم على امتلاك الوسيلة و أنها هي الهدف المنشود.

إننا لا نحاول هنا تقديم توصيات أو إسداء نصائح أو حتى تسجي مواقف محددة ونهائية، بقدر ما نسعى لتقويم الجهد المبذول و تقدير الحصيلة و المردود علما بأن الحياة في جوهرها هي رأس مال هذا الإنسان، و قيمة ما يُستفاد منها يتوقف على طريقة التعامل مع رأس المال هذا وكيفية توظيفه واستثماره.

وبما أن مظهر العجز أو الضعف الذي يُعرف به المعوق يشد انتباه الناس ويستلفت أنظارهم بسهولة أكبر، فيكون من اليسير استعطافهم من أجل المضي

في مساعدته. لكن لا بد من وقفة أخرى مع هذا الإنسان نطرح فيها الأسئلة مباشرة و بصراحة:

1- أنت تملك قدرة على التفكير فهلا تأملت في أحوالك، و في طبيعة و نوع الحياة التي تحياها، وما حققت وأنجزت فيها.

- ألا يستهويك أن تبني أسرة وتستمتع بمداعبة أطفال منك؟
- ألا تحرص على تسجيل حضور مع الجماعة تشاركهم نشاطهم، وتقاسمهم الهموم الأفراح وتؤدي تجاههم واجبا؟
- ألا تملك الشجاعة الكافية لتخاطب نفسك بوضوح و شفافية بأنك تخادع الناس وتستغلهم لأنك في الظاهر ضعيف؟

وأهم من ذلك كله ألا ترغب أن تكون في عينك أكبر مما أنت فيه؟ أليس لديك ماء وجه تحرص بفطرتك على حفظه؟

- أين هي كرامتك وأين هي قيمتك ومثلك العليا وأين هي مبادئك؟

و لا شك أن صحوة العقل والضمير هي وحدها الكفيلة بأن تقدم الإجابة الحاسمة على هذه التساؤلات إذا وجدت قلبا يطاوع ونفسا تتوق إلى السمو والرفعة وعالم الشرف والنبل.

2- قد يحاول الفرد، في مثل ظروف المعوق، أن يبحث عن مبررات يُقنع بها نفسه بشرعية ما يقوم به و يريح بها ضميره، إذا بقي له ضمير حي و يقظ، فيركن إلى اختياراته مطمئنا[39]. و من أهم المصادر التي يُلتمس منها هذا النوع من التبرير" الدين " نظرا للسلطة التأثيرية القوية التي يتمتع بها هذا الأخير، و التي تخضع لها حياة الناس عامة. و الديانات على اختلاف منطلقاتها

[39]-Bonnett,M and Newsom,R(1995) "Education and empowerment : confronting beliefs and attitudes to promote learning " pp.9-10, 27.

وتباين شرائعها تدعو الكائن البشري إلى سلوك طريق الإسهام الإيجابي واتخاذ الكد و الجد وسيلة للعيش الكريم، وتأبى له أن يبقى تابعا إذا كان يملك قدرة على التحرر و الاستقلال. و كل ذلك تماشيا مع عميق فطرته وأصالة طبيعته الإنسانية. والدين الإسلامي الذي احتضن الرسالة الخاتمة لا يُستثنى من ذلك. حيث أنه لا يبيح للمسلم أن يتقاعس عن طلب رزقه أو يعتمد على صدقات الناس حين يكون قادرا بنفسه على الأخذ بأسباب العيش.

ومما أُثر عن النبي ﷺ قوله " لا تحل الصدقة لغني و لا لذي مرة [40]سوي"[41]. ومن أشد ما قاومه النبي ﷺ و حرمه على المسلم، كما يشرح العلامة *يوسف القرضاوي*،" أن يلجأ إلى سؤال الناس، فيريق ماء وجهه، ويخدش مروءته وكرامته من غير ضرورة تلجئته إلى السؤال"[42]. و أورد في السياق بعض الأحاديث للنبيﷺ يتأكد فيها النهي عن التسول من غير قيام الحاجة. يقول ﷺ "من سأل الناس من غير حاجة كمثل الذي يلتقط الجمر"[43]. و يقول ﷺ "من سأل الناس ليثري به ماله كان خموشا في وجهه إلى يوم القيامة، و ضفا[44]يأكله من جهنم، فمن شاء فيقلل ومن شاء فليكثر"[45]. ويقول ﷺ " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليست في وجهه مُزعة لحم"[46]. و عن أبي بشر قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: " أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها "، ثم قال: يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة[47] فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، و رجل أصابته جائحة[48] اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من

---

[40] - أي قوة (شرح أورده القرضاوي).
[41] - حديث رواه الترمذي .
[42] - يوسف القرضاوي " الحلال و الحرام في الإسلام " ص.122
[43] - حديث رواه البيهقي و ابن خزيمة في صحيحه .
[44] - الرضف :الحجارة المحماة (شرح اورده القرضاوي)
[45] - حديث رواه الترمذي .
[46] - حديث متفق عليه .
[47] - الحمالة: ما يتحمله المصلح بين فئتين في ماله ليرتفع بينهم القتال ونحوه (شرح أوردهالقرضاوي).
[48] - الجائحة : الآفة تصيب الإنسان في ماله(شرح أورده القرضاوي).

عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجا[49] من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة، فحلت لـه المسألة حتى يصيب قواما[50] من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحت يأكلها صاحبها سحتا "[51].

بمثل هذه القوارع الشديدة، كما يعلق فضيلة الشيخ القرضاوي، صان النبي ﷺ للمسلم كرامته و عوده التعفف و الاعتماد على النفس و البعد عن تكفف الناس[52]. و كما هو جلي و واضح، فإن الدين الإسلامي لا يفتح هذا باب ليتحول التسول على يد أفراد من خير أمة أُخرجت للناس إلى وسيلة يُسترزق بها، ولكن فقط حين تضغط الحاجة، و التي تقدر بقدرها، و بمجرد ما تُرفع أو تُسد يعود الإنسان إلى حياة العمل الطبيعية بعيدا عن مظهر الضعف و الاستكانة الذي يفرضه اللجوء إلى المسألة.

طلب المساعدة لتطوير إمكانات ذاتية

إن ما ذكرناه في الفقرة السابقة، و الذي يُرغب الإنسان في الأخذ بالأسباب التي تحقق العيش الكريم، و عدم الاعتماد على معونة الناس لما يترتب عنه من تبعية تحمل معاني الذل والمهانة، لا يتعارض مع الاستثمار في طلب المساعدة بهدف اكتساب قوة و تطوير إمكانيات ذاتية يحقق بها صاحبها على مدى قريب أو متوسط استقلالية.

و يمكن أن يشمل ذلك:

1- الحصول على تسهيلات من أجل الدخول في برنامج تكويني ما (قصير، متوسط أو طويل المدى) للحصول على شهادات علمية مؤهلة أو تعلم حرفة أو اكتساب بعض المهارات وتنمية بعض الكفاءات تمكنه من أداء وظيفة، أو ممارسة نشاط يعود عليه بفوائد مادية و اجتماعية. و بهذا النوع من التكوين

---

49 - الحجا : العقل و الرأي (شرح أورده القرضاوي)

50 - القوام : ما يقوم به حال الإنسان من مال و غيره(شرح اورده القرضاوي)

51 - حديث رواه مسلم و أبو داود و النسائي .

52 - يوسف القرضاوي ، المرجع السابق ، ص.123

يستطيع مثلا أن يدخل سوق العمل بفرص أكبر نظرا للقدرات المتميزة التي أصبح يمتلكها.

2- طلب دعم يمكن تسخيره لاقتناء أدوات معينة تتماشى و نوع و طبيعة الإعاقة، و التي من شأنها أن تسهل الحركة و التنقل، أو تيسر عملية التعلم واكتساب المعرفة، و ذلك من أجل فك العزلة و استغلال الفرص المتاحة داخل المجتمع بصورة أوفر، و دخول التجربة الاجتماعية من عدة أبواب. و الفترة الراهنة عرفت تطورات واعدة بالنسبة لشرائح كثيرة من المعوقين و آخرها الإعلام الآلي لغير المبصرين و الذي يفتح لا شك آفاقا واسعة أمامهم و يخفف عنهم كثيرا من المتاعب.

3- العمل بالتعاون على إيجاد مشاريع اقتصادية إنتاجية أو تجارية يكون من اليسير مباشرتها والاستفادة من عائداتها، مع مراعاة طبيعة الإعاقة و ما هو في المقدور القيام به في ظلها. من أجل تحقيق مثل هذه الأهداف النبيلة التي تطور العلاقات الاجتماعية الإيجابية بين الأفراد و تسمح بتحقيق تكافل اجتماعي شريف يحفظ كرامة الناس ويوسع من فرص مساهمة كل واحد منهم حسب الاستطاعة، لا بأس أن نطرق الأبواب و نلجأ إلى الغير أفرادا و جماعات، مؤسسات خاصة و عمومية، لتمويل هذه المشاريع و تقديم المساعدة الضرورية.

إن التماس بعض الشرائح من المعوقين هذا النوع من الدعم في ظل مثل هذه المقاصد يعتبر وجه من أوجه الأخذ بالأسباب الفاعلة التي قد تُتوج بتحقيق مستوى من الاستقلالية الاقتصادية القابل للتطور. وغالبا ما يجد هذا الاختيار تجاوبا مُحفزا ومشجعا من الوسط الاجتماعي العام و الخاص و تعاونا كبيرا، نظرا لأنه يبعد في الظاهر احتمالات التشكيك في النوايا و مدى دخول التحايل والخداع في المشهد، أو الرغبة في استغلال وضع معين. من ناحية أخرى، وهي الأهم في تقديري، دفع المعوق بتوفير هذه التسهيلات إلى رفع التحدي

بنفسه و تحريره تدريجيا من الشعور بالحاجة المطلقة إلى الآخرين الذي استحوذ عليه في الظروف التي وُجد فيها، و ترسيخ إيمانه بالقدرة على شق الطريق باستقلالية المبادرة و استثمار الجهود الذاتية بعيدا عن هيمنة الآخرين المذلة التي لا تقر له بوجود إلا في الظل دون أن يكون له أي صدى في واقع المجتمع.

إن سلوك هذا طريق من المتوقع أن يجلب له خيرا عميما. فقد يحقق فيه كل ما يمكن أن يحققه غيره من أفراد المجتمع من مختلف شرائح المجتمع الذين يتعاطون نشاطا شبيها بنشاطه أو يفوقهم و يزيد عنهم خاصة في ظل الرغبة القوية لإثبات الذات و الحاجة إلى النجاح و التفوق. و عندئذ تصبح الإعاقة عنصرا من العناصر الجزئية و الصغيرة في حياة هذا الفرد، وصفة هامشية ضعُف وتلاشى تأثير حضورها في واقعه العملي بحيث لم يعد الفرد خاضعا لها كما كان الشأن في البداية. و هذه التجربة و مثيلاتها تزيده اعتزازا بالنفس، كما تجعله أكثر تعلقا بمعاني الكرامة وصون ماء الوجه من ذي قبل. و لا شك أنه في ظلها يأبى أن يمد يده متسولا، أو يلجأ إلى أية وسيلة أخرى لا يلجأ إليها الشرفاء.

رعاية النفس و الدفاع عنها دون اعتماد كلي على الغير

كثيرا ما خضع المعوقون إلى رعاية الآخرين الذين ظلوا ينوبون عنهم ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم. و هذه الممارسات جلبت لهم الكثير من الفوائد، كما حققت لهم الكثير من المكاسب ساهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في التخفيف من بعض متاعبهم وبعض معاناتهم. لكنها في نفس الوقت كرست تبعيتهم للغير و أكدتها. و هو مظهر ضعف يتولد عنه المزيد من الضعف، إذ أن المعوق في مثل هذه الأوضاع، وفي أحسن أحوالها، يستمتع باستهلاك المجلوب له من تلك المكاسب الظرفية لحظة أو لبعض الوقت ليعود من جديد إلى وضع الحرمان الأصلي الذي لا يستغني فيه من جديد عن تدخل الآخرين للمساهمة في تخطيه. وهكذا يظل داخل دوامة و حلقة مفرغة لا يحقق

فيهـا استقرارا و لا يدرك فيها نهاية لمأساته.

في نفس الاتجاه الذي رسمه لحياته و في ظل الاختيارات المصيرية التي اتخذها يُطرح موضوع رعاية الذات و الدفاع عنها. و الحقيقة، التي لا مراء فيها و لا جدال، أن الفرد هو أعرف بحاجاته و صعوباته و مشاكله من غيره. و قد لا تحقق النيابة عنه بواسطة الغير مطالبه و لا تتمكن هذه الأخيرة من التعبير عنها على النحو الذي يكشف عن طبيعتها و حجمها و نوع الآثار المترتبة عنها في الواقع الذي يعيشه. لهذا السبب فإن العديد من علماء النفس يوجهون الأخصائي النفسي، حين يرغب في التعرف على حقيقة معاناة الأفراد، إلى الدخول معهم في نوع من التقمص العاطفي يمكنه من الاقتراب أكثر من الحالات التي يتعامل معها و خاصة من تحديد و تقدير طبيعة و نوع الصعوبات والمعاناة لدى هؤلاء، حتى مع إمكانية واحتمال فقدان الأخصائي النفسي موقع الحياد الذي يسمح له بالتقويم الموضوعي. و يضطر إلى الدخول في هذه التجربة حتى يستطيع أن يتحسس عمق الأحوال و ليس فقط ما يطفو على سطحها، و أن يعمل جاهدا على تحصين نفسه و حمايتها من التأثر السلبي بالحالات التي يتعامل معها و اعتماد الاحتياطات الضرورية للتخفيف من آثارها السلبية. و قناعتهم تلك تستند إلى أن عملية التقويم الظاهرية، التي تقتصر على الملاحظة الخارجية وحدها و لا تسمح بالوصول إلى الحقائق و إلى معرفة الأسباب التي تقف خلف سلوك ومواقف الناس، و لا تساعد كثيرا في البحث عن الحلول أو في توجيه الجهود الإصلاحية، الأمر الذي يستدعي أن نعيش أحوال الناس كما يدركها هؤلاء أنفسهم و كما يتفاعلون معها في واقعهم لا كما نتصورها من خارج ذلك المشهد الواقعي.

إن فئة المعوقين كثيرا ما تجد نفسها تعيش في سجن المدافعين عنها. هؤلاء لا يولون دائما الاهتمام الكافي، ضمن أولويات الممارسة الدفاعية، لبعض الأوجه من حياة من يتولون الدفاع عنهم. و غالبا ما يركزون على المطالب

المادية ويلتمسون المزيد من الخدمات لهذه الفئة ذات الحاجات الخاصة، و لا يلتفتون كثيرا إلى الأبعاد النفسية الإنسانية التي تمثل بالأساس الجبهة الضعيفة لدى المعوقين، و التي تحتاج بالتالي إلى دعم و إسناد. و إن سبب عدم إدراجها كانشغال واضح راجع إلى صعوبة تحسسهم لها و عجزهم عن التحدث عنها خاصة و أنها تمثل أوجها لا تطفو على سطح واقع هذه الفئة.

و لا شك أن المعوق إذا أصبح يمتلك القدرة على القيام بهذه المهمة، ويستغني بذلك عن هذه الوساطة، و الدخول المباشر كطرف من موقع يحتله في المجتمع، والتولي بنفسه عرض حاله و الدود عنها انطلاقا مما يحس وما يشعر به و ما يسمعه و ما يراه في يوميات حياته، فإن ذلك سوف يساعد كثيرا على تعريف باقي فئات المجتمع بوجود فعلي لفئة المعوقين تعريفا وافيا و صادقا يصف المشاكل و العقبات التي تعيقها و لا تسمح لها أن تخطو خطوات في اتجاه تحسين واقعها. كما يبرز بوضوح و شفافية ما هو في مقدورها أن تقدمه للمجتمع إذا عرف هذا الأخير كيف يستفيد منها، مع الإشعار بضرورة إشراك أفرادها في تنظيم الحياة الاجتماعية، وعدم استبعادهم بحجة أنهم أصحاب إعاقة و عجز. بهذه الطريقة يستطيع هؤلاء تسجيل المزيد من حضورهم في واقع الجماعة والتأثير في مجريات الأحداث بعد التمكن من تخليص حقوقهم و اكتساب شرعية أداء واجباتهم التي لا يُنظر إليها كمنح وامتيازات تفضل بها الآخرون، ولكن استنادا بالأساس إلى قدراتهم الذاتية وما أصبح بإمكانهم تحقيقه و إنجازه في الواقع[53]، والذي سيشهد لهم به القريب والبعيد لأن آثاره لم تعد تخفى على أحد. وإن المطالبة بالحقوق و المزيد من فرص الحياة، انطلاقا من هذا الموقع داخل المجتمع، سوف تكون أكثر إيجابية كما أنها ستساهم في توفير للمعوقين أرضية صلبة يقفون عليها لبناء مشاريعهم و تقديم مساهمتهم في الحياة الاجتماعية والدخول في التنافس الإيجابي مع باقي المواطنين، و بالتالي تحقيق غاياتهم من

[53]- Dolley, J (1995)"Developing self-esteem through building on skills" pp.293-294

هـذا الوجـود، في ظل عيش كريم مغمور بالطمأنينة والسكينة.

خلاصـة القول، إن وقوف فئة المعوقين خلف هياكل وأطر ليس لهم يد فيها وليـس لهـم بهـا حضـوري، مـن شأنـه أن يطيـل مـن عمـر المعانـاة والتهميـش وحيـاة التقوقـع و التبعيـة. إذ مـن المتوقـع أن تتحـول هـذه الهياكـل مـع الوقت إلى أوعيـة تحتضن ضعف المعوقين و عجزهـم، فتنميه و تؤكـده بـدلا مـن العمل على امتصاصـه و إزالتـه، ذلك لتـلازم وجـود طـرف بوجـود الطـرف الثاني، علمـا بأن ضعـف المعـوق كـان سببـا مباشـرا في وجـود تلك الأطـر الاجتماعيـة. و ظاهـرة استغـلال أحـوال المعوقين كثيـرا مـا شاعت كممارسات في أوسـاط العديـد مـن الجمعيـات الخيريـة و المنظمـات الإنسانيـة، ربمـا لهـذا السبـب حيـث أن حاجـة المعنـي بالأمـر تتحـول إلـى وسيلة تعيـش منهـا أطـراف أخـرى. و دخـول المعـوق معترك الحيـاة بنفسـه سـوف يقطـع الطريـق بصـورة نهائيـة أمـام مثـل هـذه المحـاولات و تصبح جهـوده المبذولة تستفيد منهـا الفئة المحتاجة مباشرة، كمـا أنهـا ستسهـم، و لو تدريجيا و نسبيا، في تحقيق التحول الجـذري المنشود و فـي تغييـر المشهـد الاجتماعي الذي يخـرج فيـه المـعوق مـن الوجود فـي ظـل الآخريـن إلـى وجــود بإرادة الفعـل المستقل و رغبة صادقة في التفوق.

تكتل الأقلية أو الذوبان في الأغلبية

بما أن المعوقين ضمن مختلف فئاتها يشكلون من حيث العدد أقلية ، فقد يُطرح موضـوع تمثيلهـا بصـورة عمليـة على النحـو الذي يُعالـج بـه سياسيـا تواجُـد داخـل المجتمع الواحـد أقليـات أخـرى عرقيـة و دينيـة وغيرهـا، كـأن يُسمح لبعض العناصـر مـن هذه الفئـة أو تلك بالولـوج إلى مواقـع متقدمـة مـن السلطة. و مـن غيـر شـك أن مثـل هـذا الحضـور التمثيلي، خاصـة ضمـن هياكـل اتخـاذ القرار في المجتمـع، تعتبـر وسيلـة ناجعـة و قويـة لإسمـاع صـوت المعوقيـن و عـــرض حاجاتهـــم وانشغالاتهـم.

ولعل سلوك هذا الطريق يؤكد ما قلناه في الفقرة السابقة، بأن هذه العناصر هي في حاجة ماسة إلى أن تتصدر بنفسها عملية الدفاع عن حقوقها و تسجيل مطالبها و أن ترفع كل التباس أو سوء فهم تسببت فيه كثير من التدخلات غير المباشرة. و لذلك يعتبر أحد البدائل التي يمكن اللجوء إليها و استغلال كل الفرص المتاحة عن طريقها.

السؤال المطروح، هل هناك حدود للاستثمار في مفهوم الأقلية؟ و الجواب البديهي: نعم، إذ ينبغي ألا يدفع هذا التوجه إلى المزيد من عزل هذه الفئة بسبب التأكيد بصورة رسمية على تمايزها عن باقي شرائح المجتمع. ذلك أن أكبر إنجاز يجب على هؤلاء الأفراد السعي لتحقيقه هو التمكن من الاندماج داخل المجتمع الكبير حتى لا ينحصر دورهم أو تتقلص مساهمتهم، و حتى لا يُحرموا من الاستفادة من التجربة الإنسانية في صورتها الواسعة و الشاملة. فليس من مصلحة الفرد المعوق، كيفما كانت ظروفه وأحواله، وأيا كانت طبيعة ونوع الصعوبات التي تواجهه، أن يُحشر في إطار اجتماعي ضيق حتى مع استفادته بعض الحقوق وحصوله على بعض الامتيازات. فالاعتماد كلية على ما يُجلب من منافع من خلال الانتماء الفئوي الذي حدده قانون أو تبناه عُرف أو احتضنه تقليد اجتماعي يضعف، مع طول المدة، من قوة هذه الفئة الذاتية لأن مساهمتها داخل المجتمع سوف تكون محدودة، و تزداد تبعية أفرادها و حاجتهم لخدمة الآخرين لهم، كما تنحصر مبادراتهم في اتجاه خدمة الآخرين و إمكانية قلب المعادلة و تغيير اتجاه الحاجة. و يصبح وجودها مع الوقت متعلقا بقوة القانون، فإذا تغير القانون تغير معه مصيرهم. فالمصلحة تكون أعم و بآثار إيجابية أنفع حين تتحول المواقع التمثيلية على جميع الأصعدة إلى مصادر يمكن أن تساعد على التوسيع من مجال التكوين و الإعداد، و على التنويع من فرص تطوير قدرات الأفراد و اكتساب المهارات و استفادة المزيد من الوعي، مما يحقق مستوى أكبر من الاستقرار في أوساط هذه الشريحة. و ليس فقط من أجل

حصـول عـدد محـدود منهـم على بعـض الامتيـازات قابلـة للاستهـلاك السريـع، وليـس لهـا أي امتـداد في جـذور البنـاء العـام و التأسيس المصيري. خاصـة و أن التفاوت بيـن الأفـراد والاختـلاف في مستوياتهـم و في اهتماماتهـم لا يقسـم المجتمـع إلى معوقيـن و غيـر معوقيـن. هـذا التقسيـم في الحقيقـة يختـزل الواقـع و يستعـرض صـورة مشوهة عنـه. فمبـدأ الفـروق الفرديـة يكـاد يعتبـر كـل فرد حالة مستقلة بذاتهـا في حاجـة إلى عنايـة خاصـة و معاملـة متميـزة، و بالتالي فهو بالضرورة يتعـارض مـع الممارسـات التي توجـه للكتـل و المجموعـات البشريـة، ممارسات تقـوم عمليا، إن لـم نقل مبدئيـا، على إهمـال خصوصيات الأفـراد و حاجاتهـم و لا توليهـا أي اهتمام.

إن خطر الفئوية يكمن في الاحتمال الراجح أن يتم في ظلها تركيز التوجهات العامة و الخاصة و مختلف التناؤلات و المعالجات نحـو شكل المعضلة و سطحهـا وتجاهل صعوبات الفرد الحقيقية و معاناتـه، و التي يكـون الوقوف عليهـا و محاولـة امتصاصهـا، في تقديـري، هـو أنجـع وسيلـة لتغييـر واقع هذه الفئـة و تحسينـه بصورة عملية.

إن ما تلجأ إليه بعض السياسات من الاحتفاظ ببعض الامتيازات لفئات من المعوقيـن و حمايتها بقوة القانـون، مثـل توفيـر ضمانـة للتشغيل، هـو في الظاهـر عمـل إيجابي و تعـود فائدته بصـورة مباشرة على بعض مـن عناصر هذه الفئات. لكـن هذه الطريقـة في معالجـة وضـع دائـم، إذا لم تتعزز بوسائـل و أساليب و طـرق أخـرى مكملـة، لـن يطـول عمـر الاستفادة منهـا أمـام مختلف التحديات التي يمكـن أن تواجههـا، لأنهـا فـي طبيعتهـا مشروطـة بدعـم خارجي غيـر ثابت، كمـا أنهـا اصطناعيـة في آثارها ومؤقتة لا تؤسس للوجود القوي والفاعل.

و يعتبر هذا في حد ذاته مصدر تهديد لمصير فئة يرتبط مصيرها بقانون سنته مجالـس تمثل شرائـح المجتمع أو أقرته إحـدى هيئاتـه، و ليس لها أي سند ذاتي أو

دعامة دائمة مصدرها الأفراد الذين ينتسبون إليها.

من هذا المنطلق أكدنا ونؤكد على ضرورة تسخير التنظيم الفئوي من أجل الأخذ بيد الفرد، كل واحد بعينه، و جعله عبر مراحل عمره ينتقل من مستوى إلى مستوى أفضل منه، فيكون واقع يومه خيرا من واقع أمسه، و واقع غده أرقى و أحسن من واقع يومه، في سياق حياة اجتماعية بكامل مواصفاتها ينفتح فيها على الآخرين كل الآخرين عبر المسالك المعبدة والجسور، يأخذ ما يحتاج إليه بالقدر الذي يحتاج إليه، و يسهم و يعطي بالقدر الذي يملك آلياته و وسائله، ويشارك من مواقع احتلها بكفاءته في حدود الاستطاعة، لكن كل ذلك في ظل طمأنينة النفس و استقراره و آمال مشدودة إلى آفاق مستقبل جديد بالعمل من أجله.

وخلاصة القول، فإن اللجوء إلى التكتل أو التمثيل الاجتماعي والسياسي يدفع إليه الطموح الاجتماعي الفردي و الجماعي، و لكن حين ننطلق فيه من مظهر عجز تتميز به فئة أو شريحة من المجتمع، فإن الأمر يخرج عن طبيعته، ويتحول إلى وسيلة قد تحقق أهدافا جليلة إذا تم توظيفها على الوجه الصحيح وتسخيرها لأهداف أكثر واقعية و أكثر موضوعية، كما قد تنقلب إلى أداة لضرب مصالح الأفراد و الجماعة إذا لم ننطلق فيها من مشروع متكامل يتبنى الفرد الملحة و اهتماماته لكن ليس خارج حياة مجتمع بكل شرائحه و كل أفراده، ذلك أن ضعف الفرد اجتماعيا داخل كيان الفئة التي ينتسب إليها هو ضعف هذه الفئة و موته هو بداية موتها.

اكتساب نفوذ و توسيع مجال التواجد داخل الجماعة

الحياة الاجتماعية داخل الفئة أو الجماعة الصغيرة وداخل المجتمع الأكبر وكذلك فيما بين المجتمعات و الشعوب عبارة عن مسرح صراع و تنافس. يتحدد فيه مصير كل جهة بالمقدار الذي تساهم به. و بقدر ما تكون مشاركتها قوية

ويكون حضورها فعالا تكون درجة نفوذها و قوة تأثيرها في واقع الناس. مع التذكير بأن التنافس غالبا ما يخضع لقواعد لا ترعى لكرامة الناس و شرف الآداب و الأخلاق مكانة. بل القوي يفرض شروطه و مواقفه على الضعيف. ومن النادر جدا، أن تستظل عملية التنافس هذه بالمعاني الإنسانية. و لا يحصل ذلك إلا على فترات و في حقب زمنية متقطعة حين تنشأ مجتمعات فاضلة تُبنى من المنطلق الأول والأساس على مكارم الأخلاق.

فمن الطبيعي جدا أن يحرص كل طرف على التحقق بدرجة من النفوذ، ومن اكتساب مواقع تأثير للوصول إلى تقرير مصيره بنفسه و المشاركة المباشرة في تقرير مصير المجتمع على النحو الذي يحقق به مصالحه بصورة دائمة. و يكون أمام فئة المعوقين في الظروف المشابهة عادة الاختيار بين أمرين:

1- الاستسلام لواقع صنعه الآخرون يتعين عليهم التجاوب معه بالطريقة التي حددها صانعوه. هذا التوجه لا يسمح بإمكانية بلورة موقف مستقل ينطلق فيه أصحابه من قناعات ذاتية أو اهتمامات شخصية و عميقة بل إن مظهر التبعية والخضوع هو الذي سيطبع سلوكهم و يميز استجاباتهم بما يجعل الفرد مغيب الإرادة ومنزوع الهوية، يعيش في ظل الآخرين.

2- دخول المعوق معترك الحياة و محاولة النزول بتصور أو حتى مشروع يعرضه كبديل يراه صالحا لإخراج المجتمع من أزمته أو مساعدا على امتصاص مشاكله، و العمل على تحقيق أهدافه في الاتجاه المحدد، فيحاول بذلك أن يترك بصمات و آثارا يوسع بها من دائرة تواجده و يكتسب معها نفوذا يحميه من التهميش والإقصاء أو من الذوبان والتلاشي.

كما نلاحظ ، فإن الخيار الثاني يكون فيه الفرد أكثر إيجابية فيما. يقول و فيما يفعل أو يقرر، كما أنه حتى مع استعانته بالغير يكون بالأساس معتمدا على قدراته الذاتية بحيث لا يخطط مواقفه إلا على ضوء ما يستطيع القيام به فعلا.

والمعوق، بهذا الدور الهام و الناجح الذي أصبح يؤديه داخل الجماعة، يكتسب مكانة اجتماعية خاصة . و كلما زاد تعلق أفراد الجماعة بآثار هذا الدور في حياتهم، و زادت حاجتهم إليه، كلما تعاظمت مكانته و زاد معها نفوذه. و تدريجيا يتحول وجوده بواسطة المهمة التي يقوم بها إلى واحدة من أدوات الاستقرار الاجتماعي.

و لا شك أن الاختيار الثاني حتى مع تحقيق نسبي للأهداف المنشودة، يمنح الفرد فرصا كثيرة للعيش الكريم و يرفع عنه كثيرا من المعاناة الناجمة عن شعوره بالعجز من جراء الإعاقة التي يُعرف بها. فمظهر العجز المترتب طبيعيا عن وجود الإعاقة يكاد لا يشعر به أحد، و لا يُسجل له أثر يُذكر في الواقع العملي الملموس. و تكون الصورة الغالبة على حياته متمثلة في قدرته على الإسهام و استفادة الناس منه، وحرصه على تلبية هذه الحاجة بمضاعفة الجهد و تطوير أداء المهمة قصد التجاوب مع الطلبات المتزايدة و بالتالي المحافظة على مكانته الاجتماعية المتطورة و المتألقة عن طريق تعزيز دوره في الوسط الاجتماعي.

لكن هذا النزول إلى ميدان التنافس البشري بهذا المستوى من النجاح لا يتحقق بالشعارات أو حتى بالقرارات، بل يتطلب تأهيلا و تكوينا فضلا عن استعداد نفسي و معنوي.

إن محاولة كسب نفوذ داخل المجتمع هو سلوك فطري و طبيعي، يلجأ إليه الإنسان تلقائيا بهدف حماية نفسه من الضياع داخل الحشود و من فقدان الذات المتميزة و المحافظة على شخصيته ذات الخط الأصيل. و إن فئة المعوقين، لأسباب تتعلق بالأفراد أنفسهم و أخرى بالبيئات التي يتواجدون فيها، يستسلمون للواقع و لا يفكرون في الدخول إلى المجتمع من بوابة المنافسة و فرض الذات بواسطة الاستثمار الإرادي لجهودهم الخاصة و طاقاتهم الذاتية و تسييرها في

اتجاه يجلب المنفعة و يُكسب الموقع و المكانة و يحقق الاختراق و النفوذ، زيادة على أنه يحفظ ماء الوجه. و لعل وراء عدم سلوكهم الطريق الفطري قناعة راسخة بعدم جدوى القيام بالمحاولة. هذه القناعة تأتي مغلفة بالهواجس والمخاوف التي تدفع بعدد كبير من أصحاب الإعاقات إلى تبني المواقف السلبية والركون إلى الحلول السهلة على حساب كرامتهم و بثمن البقاء على هامش أحداث المجتمع و استهلاك ما يُسجل فيه من نشاط و أفعال و ردود أفعال من قبل العناصر و التجمعات البشرية ذات الحضور الفعال والمؤثر.

و الذين يتمكنون من التأثير في الآخرين و يصنعون لهم الأحداث لا ينتسبون بالضرورة إلى شريحة واحدة بعينها و لا يملكون بالضرورة ملامح عامة وخصائص متشابهة، لكنهم يلتقون كأفراد في مظهر الاندماج داخل المجتمع وفي قدرتهم على مد الجسور نحو باقي الأفراد و تنشيط علاقات اجتماعية بصورة ناضجة وناجحة في مختلف الاتجاهات، وسهولة التكيف مع الأوضاع المتجددة و المتقلبة و التأثر الإيجابي بها، مع المحافظة على إمكانية التأثير وترك البصمات الخاصة في الوقع الاجتماعي الذي يتحركون خلاله. و ليس هناك ما يمنع أن يكون ضمنهم أصحاب الإعاقات الذين تحدّوا إعاقتهم و أبوا إلا أن يمثلوا طرفا فاعلا في المجتمع بعد أن رفضوا البقاء سجناء لإعاقتهم.

الإبداع والابتكار وسيلة لكسب ثقة المجتمع

تكون الأمة قوية بالقدر الذي توفره من مبتكرات و إبداعات تساهم بها في حل مشكلات تواجه الإنسان، أو تخفف من ضغوط يتحملها في حياته اليومية، أو في حمايته من الأخطار و الأمراض، أو في رفع مستواه التربوي و التكويني يجعل منه الشخص المتعلم الواعي و القوي القادر. هذه المبتكرات تصنعها عقول بشرية تنتمي إلى كل فئات المجتمع دون أن نستثني منها فئة المعوقين، حيث أن موضوع الإبداع لم يكن في يوم من الأيام حكرا على صنف من الناس

أو على مجتمع معين.

ومثل هذه الانجازات ، من المؤكد ، أنها ترفع من مكانة صاحبها و تقوي من موقعه داخل الجماعة، كما أنها في الوقت نفسه تعطي للمجتمع الذي ينتسب إليه هذا المبدع، وبأولوية، امتيازات و فرصا يمكن استغلالها لتحسين وضعه بين المجتمعات و مراجعة علاقاته معها على نحو يجلب له منافع أكثر و يحرره من شروط مهيمنة ترهن أحيانا قراره السياسي و تخدش سيادته و تتحكم في مصيره[54].

و لا شك أن العنصر البشري الذي يستطيع أن يقدم للمجتمع ما يسمح له بتغيير واقعه الاجتماعي نحو الأفضل، و يستفيد من ثمرته ملايين من الأفراد، أيا كان جنسه أو لونه، و أيا كانت جماعته أو الطبقة الاجتماعية أو السياسية التي ينتمي إليها، و أيا كانت مواطن ضعفه و عجزه أو مواطن فوته و تفوقه، فمن المتوقع أن يحظى بمكانة اجتماعية خاصة تليق بمقامه. كما أنه سوف يُحاط شاملة و حماية بالغة قصد المحافظة عليه في كامل قواه حتى يتواصل عطاؤه و لا تتوقف إسهاماته. فما دام الأفراد هم الذين يصنعون الواقع بواسطة ما يقدمون من تصورات و أفكار و ما ينتجونه من وسائل و أدوات ، فلماذا لا يكون المعوق من بين هؤلاء الأفراد؟ لماذا يضطر إلى وضع سقف محاصر لطموحاته كإنسان؟ ما الذي يمنعه من تطوير إمكاناته الذاتية ليصبح من المبدعين الذين يعول عليهم للخروج بالمجتمع من الضعف إلى القوة و من الفقر إلى الغنى؟

و عندما نتابع السير الذاتية للأفراد الذين خلفوا بصمات قوية في حياة الناس عبر التاريخ البشري نلاحظ أنهم حققوا ذلك من مستويات متباينة كما أنهم عاشوا في بيئات لا تتوفر دائما على الشروط المساعدة على الإبداع، و غالبا ما واجهتهم في حالات غير استثنائية ظروف التخلف الاقتصادي و الاجتماعي والعوز و صعوبات أخرى ناجمة عن عدم تفهم الأطراف الأخرى أو عدم

[54] -Bouchard , P (1997) " Human capital as ideology " pp.31-36.

تقديرها للأهداف التي تتحرك جهود المبدعين في اتجاه تحقيقها، خاصة قبل أن ترتسم بوضوح ملامح مبتكراتهم و تتأكد فائدتها. فلا يحصلون على أي دعم من قبل المجتمع إن لم توضع في طريقهم، و هم ماضون في إنجاز مشاريعهم، العقبات و العراقيل مع احتقار أعمالهم و أنشطتهم فضلا عن أنهم لا يولونها أي اهتمام و لا يمدونهم فيها بأي عون أو تشجيع. لكن دافع الإنجاز، و الرغبة في إدراك الغاية لدى هؤلاء أقوى تأثيرا من كل هذه السلبيات، مما سهل عليهم مقاومتها بعد رفض الاستسلام لها[55]. و الجزء الأكبر من المشقة في مثل هذا السفر يكمن في هذه العقبات التي تعترض طريق المبدعين. فإذا تمكن الفرد من اجتيازها أصبح هدفه قريبا و تحقيق ما يصبو إليه وشيكا، خاصة إذا عرف كيف يتعامل نفسيا مع المحاولات التي لا تنتهي بالنتيجة المحفزة، و التي، في ظل الظروف المقاومة و الحواجز المانعة، تدفع في الغالب نحو الانسحاب و عدم المواصلة. وشق الطريق بهذا المستوى من العطاء يفتح آفاقا جديدة على الفرد وعلى المجتمع، كما يفرض قراءات أخرى للواقع و تقديرات جديدة لما يمكن أن يصبح عليه المستقبل. تماما كالدولة الفقيرة التي يتم اكتشاف في باطن أرضها أو على سطحها مادة ذات قيمة اقتصادية عليها طلب و يحصل حولها التنافس، مثل النفط أو الذهب، والتي يتحول التفكير فيها بأولوية إلى كيفية استغلال هذا المكتشف و طرق تسخير عائداته لتطوير المجتمع في المجالات المختلفة، وتحسين مستوى معيشة أفراده، و رفع التحديات التي تواجهه.

ومن الآثار الإيجابية التي يمكن أن تترتب عن اختراق المعوق الحواجز التي ظلت تحاصره:

1- عرض نموذج في الواقع يؤكد لجميع أفراد المجتمع، و خاصة لفئة المعوقين الذين يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية، أن كل إنسان يستطيع

[55]-Spitzer,D.R(1996).Motivation :the neglected factor in instructional design.pp.45-49

2–أن يحلم وباستطاعته أن يحقق أحلامه وطموحاته بإرادته المستمدة من إرادة خالقه، مهما كانت المشكلات و الصعوبات التي تواجهه و مهما كان في الظاهر محدودا في بعض قدراته و فاقدا لبعض الوسائل و الآليات التي يتوفر عليها غيره.

3– بعث الأمل في نفوس المعوقين وكل الذين يشعرون بالحرمان من جراء ضعف يجدونه أو عجز يواجهونه. و هذا يشجعهم على المضي في محاولة تغيير كل واقع مهين لا يُعترف لهم فيه بكرامة دون كلل أو ملل وعدم الاستسلام له مهما كلفهم ذلك من تضحيات، لأن النتيجة في النهاية تكون في صالحهم.

4– صحوة ضمير تؤدي إلى قناعة عامة بضرورة مراجعة سياسة تكوين العنصر البشري و تصحيح مسارها، دون تمييز أو إقصاء، و إعادة النظر في طريقة رعايته و الإشراف عليه نظرا لأهميته في معادلة الصراع التنافسي بين الأمم.

الدخول في المنافسة و الصراع في جميع مظاهره

عندما ندعو المعوقين للدخول إلى معترك الحياة و المشاركة العملية في صياغة وجه المجتمع ومظاهره بكل حركية ودينامية فلأنه، في نظرنا، يمثل الطريق الوحيد الذي يعطي لهم فرصة الوجود بجوهر و مضمون إنساني وحضاري. وكل البدائل الأخرى المعروضة عليهم تحاول أن توفر لهم زاوية عيش على هامش المجتمع مقطوعة عن الواقع الاجتماعي الذين هم جزء منه ولو أنهم لا يمثلون فيه أولوية بالمعنى الحقيقي للكلمة. و الضمانات التي يحاول المجتمع تقديمها لا تتجاوز في الغالب بعض المظاهر المادية و لا تشمل الأبعاد الروحية والنفسية لهؤلاء، وكأنهم في التصور السائد أجساد بلا روح.

و بات من الضروري أن يشمل تدخل المعوقين كافة مظاهر الحياة و تسجيل مواقف إيجابية فيها جميعا بحسب إمكانات أفراد كل فئة، على اعتبار أنها

مسيرة مجتمع وليست مسيرة أفراد، وأن حياة الأفراد عامة بكل طبقاتها وشرائحها تتحسن بتحسن واقع مجتمعاتهم. فعندما يقف المعوق على ثغرة من ثغور المجتمع فهو، فضلا عن ترسيخ حضوره، يمد مجتمعه بقوة إضافية تسمح له أمام القوى المناوئة بالمناورة التي يحمي بها مصالحه دون الحاجة إلى الاختيارات الاضطرارية.

فليس المطلوب معاودة أفعال ربما يؤديها آخرون بصورة أفضل لمجرد أنها إشارة إلى وجود تحرك ونشاط. وكنا في فقرة سابقة شرحنا متى تصبح حاجة الفرد المعوق إلى الحركة والنشاط ذات قيمة في حد ذاتها، لكننا نتحدث هنا عن مستوى آخر من التحديات التي تواجه هذه الفئة. ومن بين ما يحققه توسيع دائرة التواجد المنافس:

1- تسجيل حضور اجتماعي شامل. ويحقّ بعدها لأفراد هذه الفئات أن يعلنوها بوضوح أننا جزء فعلي و حساس داخل جسم الجماعة. و لا يكون صعبا على أحد إدراك ذلك، إذ يكفي أن يتابع ما يجري أمامه مباشرة، وفي أي موقع كان، ليرى حقيقة هذا الحضور مع كل الآثار الإيجابية المترتبة عليه. و قد لا يحتاج الأمر إلى أية دعاية أو إشهار فليس الخبر كالعيان.

2- تنويع فرص النجاح و توفير بدائل عديدة يسهل بواسطتها مواجهة الظروف الصعبة، و الأوضاع المتأزمة و المشاكل، و حالات التعثر أو الفشل والإخفاق التي يمكن أن تحصل على مستوى الفرد نفسه أو على مستوى المجتمع. علما بأن مثل هذه التقلبات في الأحوال واردة، و يمكن أن تحدث في كل وقت ومع الأفراد من كل المستويات.

3- الحضور الناجح لهذه العناصر البشرية، فضلا عن أنه دعامة مادية ومعنوية للفرد المعاق وللفئة التي تشاركه في إعاقته، يتحول مع الوقت إلى مدرسة تكوين مفتوحة على الواقع يمكن أن يضمن بها المجتمع استمرارية

العطاء والمساهمة من قبل المعوقين. فبوسعهم نقل خبرتهم التي تطورت عبر الممارسة العملية إلى أفراد المجتمع عامة و إلى أولائك الذين يعرفون بالإعاقات ومظاهر العجز بصورة خاصة.

4- زيادة انتشار الأفراد المعوقين ضمن النشاط الاجتماعي ليشمل المظاهر الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية مع تحقيق نتائج إيجابية و مساهمات تستلفت الأنظار، كل ذلك سوف يدفع بالمجتمع إلى الإسراع بمراجعة كثير من قناعاته و تصوراته و بعض ما انبثق منها من مواقف و قرارات، و إلى تطوير العديد من هياكله و إعادة و توزيعها و تنظيمها مراعيا في ذلك بالضرورة خصائص فئة المعوقين و طبيعة حاجاتهم. وهو مكسب آخر من شأنه أن يقلب حياة هؤلاء رأسا على عقب ويحدث ثورة في واقعهم.

5- محاصرة مجال التدخل و الاكتفاء بالولوج في بعض المجالات و ترك بعضها الآخر من شأنه أن يعزز معنى المحدودية والقصور القائم أصلا كقناعة عند عامة الناس وعند كثير من المعوقين أنفسهم.

هذا لا يعني الانتظار من كل فرد معوق، كيفما كانت درجة إعاقته، أن يحقق هذا الانتشار، لأنه توقع غير واقعي. الذي قصدناه بالأساس هو حاجة هذه الشريحة إلى تسجيل هذا النوع من الحضور، و تسخير من أجل ذلك إمكاناتها الذاتية التي هي هائلة حين نقدرها ضمن الشريحة الكاملة. هذه الأخيرة تتوزع فيها مختلف الاهتمامات و القدرات و الكفاءات التي تسمح، إذا تم استغلالها بعقلانية، أن تحقق هذا الانتشار الاستراتيجي و الفعال. و الصورة هنا لا تختلف عنها مع باقي أفراد المجتمع حيث أن بعضهم يقوي بعضا، و ما يعجز عن القيام به الواحد منهم يستطيعه الآخر، و ما هو مفقود لدى البعض يوجد لدى البعض الأخر، و هكذا في ظل تفاعل حيوي و تكامل يشمل جميع الأفراد وكافة الشرائح والفئات دون الحاجة إلى إلغاء طرف لطرف أو استعلاء فئة على أخرى.

و لا شك أن مخزون الطاقة التي تتوفر عليه شريحة المعوقين هو أكبر بكثير مما يتم توظيفه في الواقع. و تستطيع أن تحقق أكثر مما فعلت إلى حد الآن. كما أن المجالات التي غابت عنها إلى حد الآن بوسعها أن تقتحمها و تحقق فيها نتائج محفزة. و الحياة عامة لا يمكن أن ندخلها إلا منافسين شئنا أم أبينا، و لا يمكن أن نمتلك القوة الفاعلة إلا حين نمسك بدواليب المجتمع المحركة له و هذا في حد ذاته يتطلب الانتشار وعدم الانغلاق في ظل الاختصاص.

خلاصة

لقد حاولنا عبر فقرات هذا الفصل أن نؤكد على معنى الحياة الكريمة التي يمكن أن يطمح إليها الإنسان و التي لا يكون مظهر الإعاقة بالضرورة حاجزا أو حائلا دون إدراكها إذا استجاب الفرد لنداء فطرته و انطلق من إمكاناته الذاتية وعمل على تطويرها و الرفع من مستوياتها و خاصة بالاحتكاك المباشر مع الحياة الإنسانية و الاجتماعية في شتى صورها و مظاهرها.

هذه الجهود المبذولة تترك آثارها في الواقع المباشر و حتى أبعد منه شريطة أن تصب في أعماق جسم المجتمع عن طريق هياكله و مؤسساته و مختلف تنظيماته. فالمعوق حين يكسب الرهان على مستوى أسرته و يندمج طبيعيا في مشاريعها بعد أن تمنحه ثقتها كرد فعل واقعي لما تراه منه، فإنه يكون بذلك سجل بداية انطلاقته في الحياة الاجتماعية العامة. و يحتاج بعد ذلك إلى التوجه خارج الكيان الأسري عن طريق مد جسور نحو الآخرين، لأن الانطواء على الذات لا يكون في نظره مبررا، بل تشمئز له نفسه التواقة لتفجير طاقتها واختبار قدراتها. و لا يمكن أن يكتفي باستهلاك الحياة الاجتماعية على النحو الذي تُعرض عليه، بل سيشعر أيضا بالحاجة إلى بناء الرأي الخاص وتطوير وجهة نظر تكون أكثر تعبيرا عن طموحاته وتطلعاته والدفاع عنها بكل قناعة وإيمان. و إذا كان من المنطقي أن يلجأ إلى مساعدة الآخرين فهو يلتمسها لغرض تطوير قدراته و تعميق خبرته وإثراء تجربته، و لكنه مع ذلك لا يرغب أن يعيش وسط الجماعة بنيابة غيره عنه. و يفضل أن يباشر شؤونه بنفسه و لا يعتمد فيها بالكلية على غيره. و لو أن العجز الذي يتميز به يُدخله ضمن أقلية، الذي يكون من المفيد أحيانا التكتل ضمنها، و لكن حقيقة ما يريده يتجاوز حدود هذا التكتل الذي إن انتسب إليه بحكم الإعاقة فهو يأبى أن يكون حبيسه. وطموحه أكبر، فهو يرغب أن يشق الطريق نحو أعماق المجتمع. لذلك تراه،

بعـد مـا تحقق لديـه مـن قـدرة على الإبـداع ، لا يتحرج مـن الدخـول في المنافسات مـن المستوى العالي رغبة منـه في حماية وجـوده القوي، باكتساب ثقـة المجتمع بمختلـف فئاته و تحقيق النفـوذ الذي يحمي مصالحه و يحافظ لـه على الموقـع الذي يرتضيـه لنفسه حسب ميولـه و رغباته. وتسجيـل الحضور المنافس لـم يعـد يقتصـر على مجـال دون مجـال، وإنمـا أصبح حضوره المؤثر في كل ناحية مـن نواحـي الحيـاة الاجتماعيـة، يشعـر بـه جميـع أفراد المجتمع و آثاره ماثلـة أمامهم لم يعـد بالإمكان طمسها أو إخفاءها.

الفصل الثالث
وقفة مع بعض المفاهيم

تمهيد

قبل أن نتناول بالمناقشة والتحليل دور المجتمع تجاه المعوقين الذي هو مصيري بالنسبة لهؤلاء و مكمل لما هو منتظر من هؤلاء أن يسهموا به على النحو الذي أوضحناه في الفصلين الأول و الثاني، نحتاج إلى و قفة تأملية قصيرة نتناول فيها بعض المفاهيم البارزة التي يتم تنظيم المواقف و توجيهها على أساس الترجمة العملية لها. و ندرج ما يمكن استخلاصه من نتائج ذلك كأرضية يمكن أن تقف عليها مبادرة الفرد المعوق ضمن ما هو متوقع منه و أن ترتكز عليها كذلك أعمال الجماعة الموجهة لخدمة الفرد المعوق حتى نضمن تكاملية كل الجهود المبذولة في اتجاه الأهداف المرسومة وعدم تعارضها.

و من بين المفاهيم الأكثر تداولا في محاولات الباحثين تسليط الضوء على الإعاقات و عالم المعوقين مفهوم " **العجز**" و الفرق بينه و بين مفهوم " **الإعاقة** ". وكما سيتضح لاحقا فإن مظاهر الالتباس التي ظلت تميز العلاقة بين المفهومين كانت ربما من بين العوامل التي شاركت بقوة في تأخير الانطلاقة الصحيحة في أوساط المعوقين. كذلك مفهوم "**العادي**" الذي يقابله مفهوم "**غير العادي**" حيث تضطرب مواقفنا في بعض الأحيان عندما نتعامل معهما دون تحديد بدقة ما يميز أحدهما عن الآخر. مفهوم" **الفئة**" بدوره يطرح جملة من المشاكل خاصة من حيث تحديد معالمها وما يندرج ضمنها وما يخرج عن إطارها و من حيث تقاطع الفئات فيما بينها. و هو مفهوم يفرض نفسه خاصة عند تسليط الضوء على دور المجتمع و طريقة تنظيم الخدمات التي يسعى لتقديمها.

الإعاقة و العجز

لمتابعة أحوال المعوقين عمليا نحتاج إلى التمييز بين الإعاقة و العجز أو عدم القدرة. و المبررات وراء الدعوة إلى رسم الحدود بين المفهومين متعددة ومتنوعة. فالعجز يتمثل في درجة من الخلل تترجم في فقدان بعض القدرة على

أداء وظيفة معينة أو أكثر. و لا بد أن تتدخل عوامل كثيرة أخرى على نحو تفاعلي محدد كي يرتقي الخلل في الوظيفة إلى مستوى الإعاقة. وقد أجمل الباحث ***قاليفورد*** **Gulliford** أبرز تلك العوامل في العناصر التالية:

1- مدى أهمية الوظيفة المعنية بالنسبة للحياة اليومية و متطلباتها و عملية التعلم. فالخلل الذي يؤثر سلبا على إدارك الألوان يُصنف بالإعاقة الخطيرة فقط بالنسبة لمزاولة بعض المهن أو بعض الوظائف. أما في المدرسة فإن وجودها لا يشكل هذا الثقل، بدليل أن نسبة كبيرة من أطفال المدارس يعانون من هذا الخلل و لا يشعرون بوجوده بل و لا يدركون أنهم مصابون به. هذا بطبيعة الحال لا يصدق على حالة العجز المرتبطة بضعف في الملكة العقلية أو بفقدان القدرة على السمع.

2- إن تحول العجز إلى إعاقة يتوقف أيضا على المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد وعلى الثقافة السائدة فيه. لا يمكن على سبيل المثال أن يوصف التخلف العقلي النسبي بالإعاقة إذا كان الفرد المصاب به يعيش داخل مجتمع بسيط بغالبية أمية. و الأمر لا شك سيختلف لو كان يعيش في مجتمع متطور تنتشر فيه العلوم و أفراده مثقفون بغالبية. فبقدر ما تتحدى توقعات و مطالب المجتمع أفرادها بقدر ما تتحول صعوباتهم و أنواع عجزهم و إخفاقهم تجاه العمل على رفع هذا التحدي إلى إعاقات. و لا يكون هناك فرق بين أن يفقد الفرد حاسة أو أن يكون جاهلا للغة يتكلم بها أفراد المجتمع.

3- بعض مظاهر العجز تكون قابلة لأن تخلف آثارا معيقة في طبيعتها أكثر من أخرى. فالصمم العميق هو في بعض جوانبه و مظاهره إعاقة أعنف فيما يخلفه من آثار في حياة الفرد من العمى، نظرا لأنه يحول دون اكتساب اللغة وبالتالي يؤثر ذلك سلبا على النمو الفكري و على إمكانية التواصل الاجتماعي الكامل والناجح.

4- تصبح درجة الإعاقة نسبية بالقدر الذي تتيح لصاحبها من فرص تجاوز آثارها و التعويض عن الوظيفة أو الوظائف التي تعطلت بسبب وجودها. فكثير من مظاهر العجز التي عرفها العنصر البشري لم تعد إعاقات بالنسبة للعملية التربوية كما كان شأنها من قبل و ذلك نتيجة التطور الطبي الهائل الذي عرفته البشرية في تاريخها المعاصر وما ترتب عنه من تحسين في الخدمات التي أصبح يقدمها لمختلف شرائح المجتمع.

5- إن بعض صور العجز البدني لا تتحول بالضرورة إلى إعاقات لدى أصحابها لو توفرت لهم البيئة المنظمة و المهيكلة بصورة جيدة ومناسبة، و التي تراعي احتياجاتهم الخاصة. فيسهل مثلا ضمان متابعة الدراسة في مؤسسات تربوية عادية لعدد كبير من أطفالنا المعوقين حركيا لو وُجدت بها مصاعد ومرتكزات، و أُدخلت على مرافقها الحساسة و بناياتها المركزية بعض التعديلات البسيطة، مع تسجيل النظرة الإيجابية خاصة من قبل المعلمين الذين يشرفون عليهم.

6- إن العوامل المدرسية بدورها تتدخل في رسم حدود درجة الإعاقة التربوية المترتبة عن وجود عجز معين. فيمكن للطفل الذي يتميز بمستوى ذكاء منخفض أن يعيش حياة معوق داخل مدرسة يكون فيها غالبية المتعلمين أذكياء وألمعيين، حيث يشجع الاتجاه العام فيها على التفوق و تقترن التوقعات المعلنة دوما بالمستويات العالية من الانجاز. في مدرسة أخرى تغيب فيها الأسباب الداعية إلى تنشيط التنافس نحو التحصيل التربوي المرتفع، فإن نفس ذلك التلميذ سوف يحقق التكيف المطلوب بسهولة و يتمكن من التقدم بخطوات كبيرة في العملية التربوية. و بما أن مظهر عجزه الثابت لم يمنعه، في ظل هذه الظروف الاجتماعية، من الاستفادة من البرامج التربوية كباقي الأفراد فلا حاجة هناك تدعو لتكريس مفهوم الإعاقة و تأكيد وجودها في حياة الفرد على الأقل أثناء تواجده في المدرسة.

7- غياب التفهم الموضوعي و الناضج لصور العجز المجسدة واقعيا، نتيجة الاهتمام الضعيف بها و المحدود أو بسبب التركيز المكثف و تسليط الضوء الكاشف عليها و الاهتمام الزائد بصاحبها، يؤثر بشكل مباشر في درجة الإعاقة.

8- تتدخل بعض العوامل الأسرية لتحويل عجز بسيط ومحدود إلى إعاقة بمعنى الكلمة كما أنها أحيانا تعمل في الاتجاه الآخر بحيث تتمكن من تحويل إعاقة حقيقية إلى مجرد عجز بسيط يستطيع صاحبه التعامل معه إيجابيا وتجاوز بالتالي الكثير من آثاره. فالمساعدة النوعية المستمرة و الدعم المادي والمعنوي وكل أنواع التشجيع الأخرى التي يتلقاها التلميذ بإعاقة بالغة وعجز كبير في بعض وظائف الجسم الأساسية، من أفراد عائلته، تجعله أقدر من غيره على التكيف داخل المؤسسة التربوية العادية و شق الطريق فيها بنجاح أكبر. وعلى العكس من ذلك، فإن تلميذا بعجز خفيف لكنه يعيش وسط ظروف أسرية غير مساعدة قد لا يتمكن من متابعة الدراسة بصورة عادية و قد يحتاج، نتيجة المعاناة والصعوبات التي يجدها، إلى الالتحاق بمدرسة خاصة.

9- توفير الخدمات التي تسمح بالدخول مبكرا في العلاج المتواصل وفي متابعة البرامج التربوية باستمرار لا بد أن يخفف من آثار كثير من الإعاقات. فتعاطي التدريبات على السمع من قبل الطفل الأصم في مرحلة مبكرة من حياته يستطيع أن يغير مسار حياته، فيحقق بسببه ما لا يمكن تحقيقه حين يتأخر الدخول في هذا النشاط الحيوي. كذلك الحال بالنسبة الأطفال الذين يعرفون بالإعاقات الجسمية، فيصبح العلاج الطبي و إعادة التأهيل الفيزيولوجية الجسدية وحتى الالتحاق بالمدارس التحضيرية فضلا عن الإرشاد الأسري بالنسبة إليهم عناصر مهمة و مساعدة، خاصة حين يستفيدون من خدماتها في سن مبكر من حياتهم.

10- درجة تحوّل العجز إلى إعاقة يرتبط كذلك بخصائص الفرد المعوق نفسه من مستوى الذكاء، ونوع الشخصية التي يتميز بها، والطريقة التي ينظر

بهـا إلى ذاتـه و إلى عجـزه و إلى الحيـاة مـن حولـه، ونـوع العلاقات التي تربطـه بالآخريـن. كذلك نـوع العجـز و درجتـه و مـدى تعدد مظاهـره و أوجـه تأثيـره في حياتـــه.

و إذا كان بإمكاننا اعتماد بعض التوجيهات العامة حول كيفية مقابلة الحاجات الخاصـة للأطفال الذين يعانون مـن عجز معين وكيفيـة التعامـل معهـا والتخفيف مـن بعض آثارهـــا، فإننـا مـع ذلك لا نكـون منصفين إذا ما حاولنا أن ننظر إليهم جميعـا مـن زاوية واحدة و نمارس عليهـم إشرافنا بطريقة موحـدة. هـذا في واقـع الأمـر لا يساعد على تجاوز مظاهر العجز، بل قد يكون من الأسباب التي تساهم في تحويـل العجز إلى إعاقـة. و القاعـدة الآمنـة التي تجنبنا الدخـول في مغامـرات لا نعرف نتائجهـا هـي فـي الحـرص على تحديد بدايـة التعامل انطلاقـا مـن تشخيـص لأحوال الفرد المعني و تقديـر موضوعـي وشامـل لحاجاتـه و قدراتـه الذاتيـة وطاقتـه الكامنـة، خاصة إذا كنـا بصدد اتخـاذ قرارات حاسمة و فاصلـة مثل تحديد نوع العلاج المفضـل، أو تعيين أنفع مؤسسة يتابـع فيهـا دراستـه، أو اختيـار نوع الوظيفة التي تناسبه[56].

العادي و غير العادي

إن محاولة النزول بالمفهومين إلى الواقع و توجيه على أساسهما التدخل للأغراض المختلفة طـرح مشاكل و تسبب في ظهـور صعوبات أكثـر ممـا ساعـد على رفـع التحـدي القائـم. ذلك أن الفرق بينهمـا يتحـدد بنـاء على المعيـار المعتمـد. وبمـا أن المعياريـة تتبايـن صورهـا انطلاقـا مـن قناعـة كـل باحث فإن النتائـج المتوصّـل إليها ومـا يُستخلص منهـا يخضـع كليـة إلى طبيعـة المعيـار الذي اعتمـد. فقـد يعتبـر السلـوك عاديا لمجرد أنه سلـوك غالبية أفـراد المجتمع و كل ما يشذ عنـه يصبـح بموجب هـذا المعيار الإحصائـي سلوكـا غيـر عـادي. و لهذا السبب فقـد صُنـف كـل مـن العبقـري و الغبـي بغيـر العـادي لأنهمـا يشكـلان ضمـن التوزيـع

[56]- Gulliford ,R (1976) . Special educational needs. pp.4-5

الطبيعي أقلية. و بمنطق مشابه فإن الشخصية العادية هي تلك التي تتصرف بناء على المعايير الاجتماعية و تصبح الشخصية غير عادية عندما تنتهك هذه القيم والمعايير بصورة أو أخرى و تتجاوزها. كذلك أن ما يوصف بالعادي في سن معينة يوصف بغير العادي في سن أخرى. و قد يعود البعض لتمييز العادي عن غير العادي إلى مجموعة من السلوكيات يقف وراءها مستوى من التحكم في بعض المهارات. فيكون الطفل، على سبيل المثال، متمتعا بالصحة العقلية داخل المدرسة، حسب *بوار* **Bower**، حين يصبح قادرا على:

1- التحكم في الأبعاد الرمزية في مظاهرها اللغوية و الرياضية و الأدبية. وبدون هذه القدرة على توظيف الرمزية و التجاوب معها لا يرتقي بالعملية الاتصالية التواصلية إلى مستوى النضج المطلوب كما أنه لن يستفيد بدرجة كبيرة من البرامج التربوية.

2- التعامل البناء مع السلطة بمعناها الشامل لما له من انعكاسات إيجابية على استقرار حياة الفرد وحياة الجماعة.

3- تجسيد علاقة مع الأقران يوازن فيها بين عمليتي الأخذ و العطاء واستفادة الحقوق وأداء الواجبات.

4- تنظيم الانفعالات بحيث تظل منسجمة مع توجهات العقلانية المنطقية والواقعية[57].

و في نفس السياق و انطلاقا من هذا التصور حاول *بوار* تمييز الطفل المضطرب عاطفيا (إلى حد وصفه بالمعوق) داخل المدرسة عن غيره بواحدة أو أكثر من الصفات التالية:

1- عدم القدرة على التعلم التي يشوبها غموض إذ لا يوجد في الظاهر ما يبررها كما يصعب تفسيرها.

2- عجز في تحقيق علاقات اجتماعية مرضية مع الأطفال و مع الراشدين

---

[57]-Bower ,E.M .(1970) " Mental health . In R . Ebel (Ed) Enyclopedia of educational research .(4th edition) New York : Mac Millan , pp.811-28

إلــى الحد الذي يستلفت النظر.

3- عدم القدرة على التجاوب مـع المواقف الحياتية بالسلوك الذي يتناسب مع مستـواه التطوري وقدراته الحقيقية.

4- فقدان الثقة بالنفس وعدم التغلب على الشعور بالحزن والكآبة.

5- عـدم القدرة على مواجهة الظـروف الضاغطة في المدرسة بدون تسجيل ردود أفعال ناجمـة عـن آثـار وجـود أمـراض نفس- جسمية مثـل صـداع في الرأس أو آلام في البطن.

وحتى نصنف الطفل بالقلـق و المضطرب عاطفيـا و ندرجه بالتالي ضمـن المعوقين ينبغي، دائما حسب الباحث **بوار**، أن يُعرف بها في درجـة مـن الحـدة ولمـدة طويلـة[58].

ونظرا لصعوبة الحسم بسبب هذه التجاذبات الاصطلاحية فإن بعضهم يقترح مخرجـا آخـر لتحسس مستوى التوازن الذي يتمتـع بـه الفـرد. فحتـى نقـرر هـل الحالـة عادية أو هي غير عادية، أو هل يتطلب الأمـر استشارة لأخصائـي أو لا يتطلـب ذلك، نقـوم بطرح عدد مـن الأسئلة الدقيقة و نحاول الإجابـة عنهـا بنفس الدقـة التي طُرحت بهـا ومحتوى الإجابـات المستخلص سـوف يشكـل المـادة الأساسيـة لصياغة القرار و اتخاذ الموقف. و الأنموذج الذي يقترحه ***ميـار*** و ***هـوفـر*** **Mayer & Hoover** يتضمن الأسئلة التالية:

1- هل يتناسب سلوك الطفل مع الظرف الذي يوجد فيه؟

2- هل يناسب سلوك الطفل عمره؟

3- هل توجد مشاكل حقيقية في محيط الطفل تتسبب في معاناته؟

4- هل طرأ على سلوك الطفل تغيير جذري ؟

5- كم استمر ظهور الأعراض[59]؟

---

[58]-H.F.Clarizio and G.F.Mc Coy (1976). Behavior disorders in children.2nd Ed, Thomas Y.Crowell Company , New York

[59]-H.F.Clarizio and G.F.Mc Coy (1976). Behavior disorders in children " pp.31-32, 2nd Edition , Thomas Y.Crowell Company , New York

و من جهة أخرى وفي تقدير ***سوانسن* 1979, Swanson**[60] " تتضمن دراسة الانحراف عن المعيار العادي جميع الذين تتوافر فيهم حالات تعتبر انحرافا واضحا عن المتوسط الذي يحدده المجتمع في القدرات و الإمكانيات الآتية: العقلية أو التعليمية أو الانفعالية أو الاجتماعية أو الحسية أو الجسمية أو الصحية، بحيث يترتب على هذا الانحراف حاجة إلى نوع خاص من المعرفة وطابع خاص من الخدمات لتمكين هؤلاء الأفراد من تحقيق أقصى ما تسمح به طاقتهم".

وكما علق فتحي السيد عبد الرحيم وحليم السعيد بشاي، أن التعريف يتضمن الفئات التالية:

1- الأطفال الذين ينحرفون في قدراتهم العقلية (سواء كانوا متخلفين عقليا أو موهوبين).

2- الأطفال المهملين اجتماعيا.

3- الأطفال الذين يواجهون صعوبات حادة في التعلم.

4- الأطفال الذين يعانون من اضطرابات انفعالية حادة.

5- الأحداث الجانحين.

6- الأطفال الذين يواجهون مشكلات في النطق واللغة.

7- الأطفال المعوقين سمعيا (الصم و ضعاف السمع).

8- الأطفال المعوقين بصريا (المكفوفون و ضعاف البصر).

9- الأطفال المصابين بعجز جسمي أو صحي"[61].

كل هذا يؤكد على ضرورة أخذ المزيد من الاحتياطات قبل التورط في عملية تصنيف السلوك الإنساني و ألا نكون في تعاملنا معه خاضعين لمعاني اصطلاحية فضفاضة أو سجناء مفاهيم تتعد أوجه ترجمتها في أوساط الباحثين

---

[60]- ذكره فتحي السيد عبد الرحيم و حليم السعيد بشاي (1982). سيكولوجية الأطفال غير العاديين: استراتيجيات التربية الخاصة . الجزء الأول ، دار القلم، الكويت، ط. 2 ، ص.16.

[61] - فتحي السيد عبد الرحيم و حليم السعيد بشاي (1982) . سيكولوجية الأطفال غير العاديين : استراتيجيات التربية الخاصة، دار القلم ، الكويت، ط. 2 ، الجزء الأول، ص.16.

وتتنـوع. بل يجب على العكس من ذلك التحرر من الأطر النظرية على الأقل بالقـدر الذي يمكننـا مـن الرؤيـة الواضحـة التي نأمل أن نصل بواسطتهـا إلى التشخيـص الموضوعـي. و لا شـك أن تغليـب منطـق الخصوصية الفرديـة يكـون دائما أقل مغامرة من منطق النموذجية المعممة.

و حتى تتحقق الفردية لا بد من:

1- جمـع المعطيات الكافيـة و الضروريـة حول إمكانيـات الفرد و قدراتـه واستعداداتـه و ميولـه و اهتماماتــه. وسيكـون للأخصائـي النفسـي دور رئيسـي مـن حيث هـو مؤهـل بخبرتـه و كفاءتـه أن يجنب المربيـن و المشرفيـن الوقـوع فـي الأخطـاء الجسيمة بمـا يقدمه من تقويم شامل وإرشادات توجيهية مساعدة.

2- تضافر الجهود للتمكـن مـن تجسيد الإشـراف المنطلق مـن حاجات الفـرد موضــع الاهتمام.

مفهوم الفئة و صعوبة اعتماده

مـن منطلق أن الفئات كثيرة و عددهـا مرشح دائما إلى الزيادة فإنـه في حالة ظهورهـا و قـد تحددت معالمهـا و برزت حاجاتهـا فلا يمكـن تربويـا و اجتماعيـا إهمـال أو تجاهـل خصوصيتهـا و مـا يتناسـب مـن الخدمـات التي يمكـن أن تستفيـد منهـا.

و علـى سبيـل المثـال و فقـط فيمـا هـو موجـود ضمن التصنيفات المعلنة والمتداولـة في الأوساط المتخصصة، فإننا نتحدث عن:

1- التخلف العقلي بالتخلف العقلي الخفيف mild retardation بنسبـة ذكاء تقـع حسب اختبار **وكسلر** بين 55 و69 و بين 52 و67 فـي اختبـار **استانفـورد بينيــه**.

2- التخلف العقلي المعتدل moderate retardation، بنسبة ذكاء تساوي ما بين 40 و54 في اختبـار **وكسلر** و ما بين 36 و 51 في اختبار **استانفورد بينيه**.

3- التخلـف العقلـي الشديـد و الحـادsevere and profound retardation نسبـة

ذكاء تتراوح بين20 و39[62].

كما تشمل الصعوبات الخاصة في التعلم[63]:

1- صعوبات الأداء الوظيفي الحركي.

2- صعوبات القراءة (عسر القراءة بأنواعها) ،

3- صعوبات في فهم واستيعاب المادة المقروءة

4- صعوبة الكتابة والهجاء،

5- صعوبات في فهم واستيعاب المادة المسموعة.

6- صعوبات في تعلم الحساب.

7- صعوبات في تكوين المفاهيم.

كما أننا في وسط الصم وضعاف السمع[64] يمكن تمييز حالات:

1- فقدان السمع الخفيف الذي تتراوح بين 27 و40 دييسبل،

2- فقدان السمع المعتدل بين41 و55 ديسيبل،

3- فقدان ملحوظ للسمع بين 56 و70 ديسيبل،

4- فقدان شديد للسمع بين 71 و90 ديسيبل،

5- فقدان متطرف للسمع بين91 أو أكثر.

وينبغي التأكيد على أن العاملين الأساسيين في التخصيص على صعيد حسي محض هما: 1- درجة الخلل أو الإصابة، 2- مرحلة ظهورها. فالطفل الذي أُصيب بالصمم قبل ستة سنوات يظل يحتفظ بالكلام، فيصبح من أولويات التعامل معه، ما دام الكلام اكتسب في ظروف عادية، محاولة القضاء على البكم **demutisation**. الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق لنا مع الطفل الذي يولد أصما أو أصيب بالصمم في سن مبكرة جدا. و قد أظهرت التجارب العلمية

---

[62]- فتحي السيد عبد الرحيم (1982) " سيكولوجية الأطفال غير العاديين : استراتيجيات التربية الخاصة " الجزء الثاني ، دار القلم ، الكويت ، ص.77-78

[63]- تفاصيل أخرى توجد بالمرجع السابق ، الفصل الثاني ص.82-129

[64]- تفاصيل أخرى في المرجع السابق ، الفصل الرابع ، ص.201-254

(*طولون* **Thollon,1920**) نتائج عالية بالنسبة للصنف الأول عندما قورنت بما أنجزه الصنف الثاني[65]. بل و تأكد أن الذين يظهر عندهم الصمم في المراحل المتأخرة يتقدمون أقرانهم في الصف الدراسي في الذاكرة القريبة والمواد التي تختبر الأشكال المجردة للذكاء بالمقارنة مع الأطفال الذين وُلدوا بصمم أو أصيبوا به في مرحلة مبكرة من العمر(**Oleron, 1949**)[66]. نسبة المصابين بخلل عقلي ونسبة غير الملهمين، لأسباب ذاتية و عوامل اجتماعية، هي أعلى في أوساط العميان منه في أوساط الصم (**Heresen , 1967**)[67].

كذلك الحال بالنسبة للإعاقة البصرية[68]، فتشمل:

1- فقدان بصر تام ولادي،

2- فقدان بصر تام مكتسب بعد خمس سنوات،

3- فقدان بصر جزئي ولادي،

4- فقدان بصري جزئي مكتسب،

5- ضعف بصري ولادي،

6- ضعف بصري مكتسب.

و من فترة طويلة نسبيا، و فيما يتعلق بالعجز البصري وحده ذكر **هنري[69] P.Henri (1944)** ستة أنواع من فئات المعوقين بصريا:

1- الأفراد الذين لا يستطيعون إبصار شيء بالمطلق ولم يسبق لهم أن رأوا ولو بصيصا من النور.

2- الذين لديهم إدراكات ضوئية ضعيفة وذلك بشكل دائم.

---

[65] -المرجع السابق ، ص. 32

[66]- المرجع السابق ، ص. 32

[67]- المرجع السابق ، ص. 33

[68] - تفاصيل أخرى في المرجع السابق ، الفصل الخامس ، ص.257-320

[69]-ذكره Maurice Reuchlin (1972)" Traite de psychologie appliqué: diaqnostic des handicaps et reeducation " Presses Universitaires de France, pp.31-32

3– الذين استرجعوا جزءا من الرؤية بعد أن عاشوا مدة طويلة فاقدين للبصر بالكليـة.

4– الذين أصبحوا فاقدين لكل بصر بعد ما كانوا يتمتعون برؤية كاملة وتامـة.

5– الذين صـاروا يدركون بصيصـا ضئيـلا من نـوع 3[70] بعـد مـا كانـوا يبصـرون بشكل جيد وطبيعي.

6– الذين فقدوا البصر تماما أو تقريبا وكانوا يتمتعون بنصف بصر.

فيما يخص اضطرابات الكلام واللغة[71] أيضا فهناك:

1– عيوب واضطرابات النطق.

2– اضطرابات صوتية.

3– اضطرابات طلاقة النطق.

4– اضطرابات اللغة.

و إذا أضفنا إلى ذلك كله الصعوبات التي تتعلق بالحركـة مثـل الاضطرابات النيورولوجيـة و الصعوبات التوافقية مثـل الاضطرابات الانفعاليـة و سـوء التوافـق الاجتماعـي فإننا بالفعل ندخل ميادين فسيحة و عوالـم ليـس مـن السهـل محاصـرة تفاصيلهـا التي تحمـل عناويـن متباينـة و تستعـرض صورا متنوعـة مـن الحيـاة البشريـة لا نكون منصفين إذا ما حاولنا أن نضمها إلى إطار واحد يجمعها.

وهذه نماذج قليلة جدا ضمن كل فئة مـن دوي الصعوبات، وبالتأكيد لو حاولنا أن نركـز ملاحظاتنا أكثر لوجدنـا عددهـا يتوالد و يكـاد لا ينتهي. و كل نموذج منها نظـرا لخصائصه المتميزة يتطلب رعايـة خاصـة و ربمـا برنامج عمـل محددا في محتـواه بما يتماشى والاحتياجات التي يسجلها الأفراد في واقعهم المعيشي.

فبالنسبـة للبرنامج التعليمي الذي يستفيد منـه صاحب التخلف العقلي الخفيـف يجـب أن يشمـل تنميـة مهـارات التواصـل و العمليـات الإدراكيـة و تزويـده ببعـض

---

[70] - في لوحة سنلن لقياس حدة الإبصار .

[71] - تفاصيل أخرى في المرجع السابق ، الفصل السادس، ص.325-380

المهـارات المساعـدة على اندماجـه في المجتمـع أو في المجتمعات الخاصـة. و مـن التوصيات التي يقترحها كلسطو Kolstoe (1976) للتعامل مع هذه الفئة:

1- أن يكون الواجب التعليمي بسيطا و مشحونا بالعناصر المألوفة ممـا سبـق استيعابـه و محتويا على قدر ضئيل من العناصر الجديدة.

2- أن تقدم واجبات محدودة في عدد عناصر التي تتفاعل ضمنها وهـذا حتى لا تتشعب بهم السبل و يسهل عليهم التركيز.

3- الحفاظ على نظـام تسلسلي في عرض الواجبات مـع مراعاة التدرج فيهـا مـن خلال الخطوات الصغيرة.

4- ترجيح احتمال تحقيق المعنيين بها النجاح المطلوب الذي من المتوقع أن يتحول إلى دافع قوي بالنسبة إليهم و حافز مؤثر. و في نفس الوقت الحرص قدر الإمكان أن نجنبهم السقوط و الإخفاق لما لذلك من آثار و انعكاسات و خيمـة على نفسيتهـم.

5- إدراج ضمن المواد التعليمية الموجهة لهم مواقف و صعوبات و مشاكل تتصل بما يجري في البيئة التي تحيط بهم[72].

وهكذا يكون لكل مستوى من مستويات التخلف العقلي و لكل حالة خاصة من حـالات الإعاقة برنامج متميز بأولويات معينة يتـم ترتيبها تماشيـا مـع متطلباتهـا قصـد تمكينهـا مـن الارتقاء إلى المستوى الأقصى الذي تسمـح بـه الاستعدادات الذاتيــة و القدرات.

[72]- Kolstoe ,O,P (1976). Teaching educable mentally retarded children. 2nd Edition, New York: Holt, Rinehart and Winston.

الفصل الرابع
نظرة المجتمع للمعوق

تمهيد

حاولنا خلال الفصل الأول و الفصل الثاني من هذا الكتاب أن نركز على الدور الإيجابي الذي ينبغي أن يتعاطاه الفرد المعوق في حياته العامة و الخاصة ويساهم عمليا و بصورة إيجابية و مباشرة في فك العزلة، و توسيع مجال حركته وأفق تدخلاته، و أن يعيش بالقدر المستطاع حياة عادية طبيعية يشعر فيها بوجود فعلي بين أفراد المجتمع، له حقوق و عليه واجبات. و الرسالة الواضحة والبارزة التي تبلورت خلال الفقرات السابقة تدعو هذا الفرد المعوق بصريح العبارة أن يتحمل مسؤولية أكبر في إدارة شؤون حياته، خاصة من الناحية المعنوية، و ألا يضيّق الخناق على نفسه بالانطواء السلبي على الذات. لكن في المقابل لم نكن بذلك ندعو المجتمع إلى التخلي عن دوره المنوط به تجاه هذه الشريحة البشرية أو نسعى لتبرير تقاعسه عن أداء واجباته. و أقل ما نبرر به موقفنا هذا:

1- أن البنية الاجتماعية مسخرة أصلا لخدمة الأفراد و التجاوب مع حاجاتهم و متطلبات حياتهم، والمعوق واحد من هؤلاء الأفراد.

2- إن خدمة المجتمع لأفراده تتهيكل ضمن نظام أولويات بموجبه تحظى فيها الشرائح الأضعف و الأعجز بقسط أكبر من الاهتمام و ينسحب ذلك على عدد كبير من فئات المعوقين.

3- إن إمكانية تطوير المعوقين لقدراتهم الذاتية، التي هي معقد آمالنا في إحداث ثورة في واقعهم، مرهونة بمدى توفير المجتمع العام و الخاص للظروف المعنوية والمادية المساعدة، و رفع كل ما من شأنه أن يعرقل مثل هذا التحرك الإيجابي الواعد بالوسائل المختلفة التي يتوفر عليها المجتمع و بإتاحة كل الفرص.

4- إن الدعوة الموجهة لفئة المعوقين بعدم الاستسلام للواقع لا معنى لها إذا كانت الحياة الاجتماعية من حولهم مهيكلة في عمقها لتكريس معاني الاستسلام و لا تسمح ببدائل أخرى. فمثل ما نطالب المعوق بتغيير قناعته و تطوير أفكاره ورفع مستوى طموحه و آماله كذلك نطالب أفراد المجتمع بتغيير نظرتهم تجاه هذه الفئة و اعتماد أساليب تعامل أكثر بناءة، مع تصحيح بعض المفاهيم ومراجعة بعض المواقف والسلوكيات. فرغم أن حديثنا منصب على شريحة المعوقين، و كان لنا فيه قصد، إلا أننا في الأساس نتناول واقع مجتمع تتفاعل فيه العناصر البشرية الحية – التي يستمد منها المجتمع حياته – و توقف نبض الحياة فيه على ما أفرزه تأثير طرف في الطرف الآخر.

لذلك لا يكتمل هذا العمل دون القيام بتسليط الضوء على ما هو منتظر من المجتمع أن يقدمه للمعوقين، و كيف ينبغي أن يخدمهم حتى يتمكنوا من خدمة أنفسهم و خدمة مجتمعهم. و أمام المجتمع الكثير مما يمكن أن يقدمه، و يندرج ذلك ضمن الاستثمار العام في بناء العنصر البشري المؤهل الذي لا يمكن الاستغناء عنه في تطوير المجتمع و رفع التحديات التي تواجهه[73]. وإن عدم إتاحة الفرص الكافية لهذه الشريحة كي تحسن من واقعها و ترفع من مستواها يعني عمليا إبقاؤها تابعة و عالة على باقي الشرائح، مما يضعف كاهلها و يدفع بالمجتمع نحو الأسفل، في وقت تتصارع فيه المجتمعات و الأمم و تتنافس على احتلال المواقع الأولى و إخضاع غيرها لشروطها المحققة لهيمنتها و بالتالي لمصالحها. و سنرى في سياق العرض كيف أن الاهتمام بالمعوق الاهتمام الهادف وتشجيعه للقيام بالجهود الذاتية و على احتلال موقع إسهامي بين باقي أفراد المجتمع هو استثمار ناجح في كسب طاقة بشرية إضافية يمكن الاستفادة من قدراتها و إبداعاتها و تسخيرها في تطوير حياة الأفراد و الجماعات و حل بعض المشاكل التي تواجه المجتمع. و هو يكلف، على المدى المتوسط و المدى

---

[73]- Bouchard , P (1997) "Human capital as ideology" مرجع سابق

البعيد، أقل مما تكلفه رعايته بالطريقة السلبية التي تعمل على منحه بعض حقوقه و ضمان إشباع بعض حاجاته الأساسية دون العمل على تأهيله لأداء دور داخل مجتمعه.

في هذا الفصل نحاول الوقوف على بعض ما يجب على المجتمع أن يشارك به في تسهيل عملية اندماج شريحة المعوقين في الحياة الاجتماعية اندماجا تستفيد منه الأطراف كلها، و على طبيعة الأهداف التي يعمل على تحقيقها بواسطة هذه التدخلات، و نوع التصور أو الفلسفة التي تخضع لها تلك البرامج، وما تنتظمه من مواقف و إجراءات يفترض أنها تتجاوب فيها مع حقائق الميدان.

نظرة الأسرة تجاه طفلها المعوق

أول مؤسسات المجتمع التي يُنتظر منها تسجيل حضور إيجابي تجاه الفرد المعوق و تقديم دعمها غير المشروط له هي أسرته. و بحكم طبيعة العلاقة التي تربط المعوق بهذه الخلية و المدة الزمنية الطويلة التي يقضيها في أحضانها فقد تتحول إلى إطار رئيسي يتقلب فيه و يتحرك لتحقيق بعض ما يصبو إليه. كما أنها قد تحتل موقع الوساطة الحساس بينه و بين المجتمع الذي ينتمي إليه، بحيث تؤدي دورا مصيريا في تحديد كيفية بناء هذا الفرد العلاقة مع الآخرين، و ربما الكيفية التي سيشق بها طريقه داخل المجتمع الكبير.

و من المتوقع في العموم أن يسجل أفراد أسرته مواقف إيجابية و مساعدة تدعمه في مسيرته دون تكلف. إنه واحد منهم، و يشعرون جميعهم بقربهم منه، خاصة عندما يترتب عن وجود الإعاقة التي تميزه مظهر العجز بشكل طبيعي. فيشفقون عليه و يحرصون في الظروف العادية على تقديم كل خدمة يحتاج إليها. وقد يتنافسون أحيانا في القيام بذلك. وهذا، بصورة أو أخرى، يؤثر على نفسيته و يترك بصمات على شخصيته تتبلور على أساسها علاقته المستقبلية بهم. و بما أنه يحتل موقعا محوريا داخل الكيان الأسري بسبب وجود إعاقته،

فمن الطبيعي جدا أن تنشأ علاقة متميزة مع كل عنصر من العناصر التي تتحرك في فلك الأسرة، و يكون لخصوصيات الأفراد حضور قوي في هذه العلاقة. و نتيجة لذلك يعيش تجاه أفراد عائلته في نفس هذا الوسط الاجتماعي الصغير حالات نفسية متنوعة و متقلبة، حيث يخضع أحيانا إلى الرغبة الشديدة في الإقبال على بعضهم و أحيانا أخرى تسكن نفسه و تطمئن في الابتعاد عن بعضهم الآخر.

و من الخطأ محاولة تقويم العلاقة الاجتماعية داخل الأسرة بالوقوف فقط على صور المعاملة المجسدة على سطح الواقع. إننا بذلك نختزل الواقع و نشوهه، وقد يفوتنا إدراك جوهر التفاعل و تموجاته القوية و الرئيسية، و يصعب علينا بالتالي تقدير أوجه الخلل و تمييزها عن الأحوال الطبيعية.

وبما أننا نريد هنا إبراز أهمية دعم الأسرة للفرد المعوق في رفع التحديات وتحقيق العيش الكريم الذي يحافظ على إنسانيته بكل مقوماتها، فلا بأس أن نستهل ذلك ببعض الملاحظات التي نراها ممهدة للدور الخطير الذي يجب على الأسرة أن تضطلع به:

1- ضرورة محافظة الأسرة على تقديم الدعم المادي و المعنوي للمعوق حتى لا يفشل هذا الأخير في محاولاته لشق الطريق في هذه الحياة فيستسلم لواقع الإعاقة قبل أن يحقق الهدف المنشود. و قد يكون هذا الهدف في المتناول لو استمر في تلك المحاولة لبعض الوقت فقط. و هذا يستدعي حضور العائلة بجانبه خاصة في هذه اللحظات التي يميل فيها إلى الاستسلام أو ينجر إلى مثل هذه الاختيارات السلبية القاتلة.

2-إن إخفاق الفرد المعوق في تسيير و تحريك حياة إيجابية داخل فلك الأسرة هو مؤشر قوي على احتمال إخفاقه في ضمانها خارج هذا الكيان. ففي ظل الأسرة العادية يكون التعايش مطلوبا بين الإخوة و الأخوات و باقي أفراد الأسرة

فـي ظـل إشراف واعـي و هادف مـن قبـل الأم و الأب. لكـن عندما يوجد بهـا فرد أو أكثـر يتميـز بمظهر أو أكثر مـن مظاهر العجز تصبـح الحاجة إلى هـذا التعايش الداخلـي ماسـة بدرجـة أكبـر. فالأب و الأم و الإخـوة و الأخـوات هم أقرب الناس إلى هـذا الـفرد المعـوق. و لعلهـم بسبب عامـل القرابة يكونـون أكثرهـم استعـدادا للتحمـل منـه و الصبـر عليـه و التضحيـة من أجله. و إذا كان الإنسان العادي يتوقع ذلك منهم و يتأثر حين يخيبون ظنه فيهـم، فكيف بمـن يعيش حالة حرمان نفسية بسبب وجود إعاقة تلازم حياته؟

إن الفشل في كسب الرهان داخل مؤسسة بهذه المواصفات و هـذه الخصـائص مـع وجـود مثـل هـذه الامتيازات سيكـون لـه *تأثيـر* عنيف على الفـرد، و قـد تتجـاوز آثـاره السلبية حياته داخـل الأسـرة لتلاحقـه خارجهـا. هـذا الفشـل مـن المتوقـع أن يساهـم بدوره في إضعـاف كـل مبادراتـه كمـا قد يجعله أكثـر ترددا تجاههـا وأقل حماسـة في الإقبال عليها.

من هنـا يصبح أمام الأسرة الحاضنة للفرد المعـوق و التي تؤمن بحاجته إلى الاستقلاليـة و قدرتــه على تحقيـق ذلك، خيـار واحـد، هــو العمـل علـى توفيـر الظـروف التي مـن شأنهـا أن تعبـد طريـق النجـاح و أن تحاصـر فـي المقابـل كـل العوامـل التي تعمـل فـي الاتجـاه الآخـر. و بمـا أن هـذا التوجـه فـي الحيـاة الأسريـة استراتيجـي مـن حيث طبيعـة الأهـداف التي يرمـي إليهـا ينبغـي أن تتكاتـف الجهـود وتتضافـر لتوفير كل الأسباب لإنجاحه.

3- كـل تعثر في محاولة المعوق شق طريق الاكتفاء الذاتـي و فرض وجوده المتميـز تقابلـه زيـادة فـي متاعـب الأسرة الحاضنـة التـي تضطرهـا الظـروف في بعض الأحيـان إلى التخلـي عـن بعض الواجبات الأساسيـة التـي يستفيـد منهـا الكيان الأسـري عامـة، و إعطـاء الأولويـة فـي اهتماماتهـا إلى صاحـب الإعاقـة. مـن ناحيـة أخـرى يترتـب عــن كـل خطـوة يخطوهــا في الاتجـاه الصحيـح تخفيـف مـن أعبـاء

هذه المؤسسة تجاهه بما يسمح لها حينئذ بالقيام بالمهام الأخرى دون تفريط.

و حتى تعطي جهود الأسرة المسخرة بصدق و سخاء ثمارها ينبغي أن تُدرج ضمن تصور شامل تتناغم فيه الأدوار و تتكامل، يخضع للمنطق العقلي والأخلاقي و الإنساني معا، و لا تُقدم في صورة استجابات أو ردود أفعال تقف خلفها الأهواء و النزوات.

و ينبغي أن نتذكر دوما أن ما نقوله و نفعله في حضوره يرتبط به مصيره ككائن بشري يبتغي العزة و الكرامة، و كله أمل في أن يستفيد من الآخرين ما يعينه على إدراك هذا الهدف النبيل و الغالي. فلا بد أن نزن أقوالنا وأفعالنا ونقدم فيها و نؤخر حتى لا نؤذيه بها، و حتى لا تكون مع مرور الوقت سببا في إضعاف رغبته أو تثبيط عزيمته مما ينجم عنه انهيار مشروعه في الحياة.

و من الأخطاء الشائعة في الأوساط الأسرية التي يوجد بها معوقون والتي يجب الانتباه إليها من أجل تفاديها و تحرير المواقف و الممارسات اليومية من آثارهـــــا:

1- التجاوب الإيجابي مع واقع الفرد المعوق و تقديم الدعم المادي والمعنوي هو عمل ظرفي و تابع بالأساس إلى مزاج الأفراد و أهوائهم.

و من الآثار الناجمة عن ذلك عدم استقرار حياة هذا المعوق خاصة في علاقته مع أفراد أسرته. فهو لا يعرف بصورة مؤكدة ماذا يمكن أن يرى أو يسمع منهم، و ماذا ينتظر منهم. و يكون من الصعب عليه التنبؤ بذلك نظرا للتقلبات التي تميز سلوكهم و مظهر التناقض أو التضارب الذي يطغى عليه.

يجب ملاحظة أن كثافة الحضور المتقطع و تجسيد لأوقات طويلة مظهر التفاني الكبير الذي تتخلله أوقات الجفاء و الابتعاد، صور لا تساعد على تحقيق حالة الاستقرار في العلاقة بين أفراد الأسرة و خاصة تلك التي تربط بين

صاحب الإعاقة و باقي أفراد العائلة. في الوقت الذي يكون بالإمكان، و بسهولة أكبر، الوصول إلى نتائج أفضل و ذلك بالمداومة على الأعمال حتى و لو كانت أعمالا بسيطة ومتواضعة، لما يتولد عنه من استقرار في العلاقات، و هو في حد ذاته مكسب مساعد.

2- التمييز في المعاملة بين الذكر و الأنثى. و هذا يمكن ملاحظته خاصة في بعض الأسر التي ينتشر بين أفرادها مرض مزمن انتقل إليهم عن طريق الوراثة كالشلل. و الدوافع و الأسباب وراء هذا التمييز الجنسي تختلف من مجتمع إلى مجتمع، و من ثقافة إلى ثقافة أخرى، بل و من أسرة إلى أسرة أخرى. فالبعض يفضل الذكر و يميزه لأن مكانة الذكر في المجتمع مرموقة، أو لأنه يمثل الواسطة التي تتوسع من خلالها الأسرة و تنتشر و أن استمرارها مرهون بحياته، أو لأن البيئة العامة توفر مجالا لخدمته أكثر مما هو موجود بالنسبة للأنثى، أو لأن التجاوب مع حاجاته كذكر يكون أقل كلفة من التجاوب معها كأنثى. والبعض الآخر يفضل الأنثى و يميزها تجاوبا مع ما رسخ من طقوس وعادات و تقاليد، أو لأنها تُعرف بصفات و خصائص مثل اللطافة و الود التي قد لا نلمسها في الظاهر عند الذكر، أو لأنها البنت المنتظرة بعد عدد من الذكور، أو لأن ولادتها ارتبطت بأحداث أسرية خاصة.

تُترجم عملية التمييز الجنسي داخل البيت في صور شتى و مظاهر مختلفة، كتخصيص جنس دون جنس بالعطايا و الهدايا، أو ذكر اسمه، أو السؤال عنه، أو تلبية حاجاته، أو البقاء بجانبه وقتا أطول، أو تمكينه من فرص التنزه و الترفيه أو الترويح عن النفس، أو عدم العبوس في وجهه أو عدم الاستجابة لمطالبه باشمئزاز، أو عدم التعامل معه بانفعال و غضب، أو تقبل عذره، و تحمّل أخطاءه. وهي في مجموعها سلوكيات خاطئة غير أخلاقية حين يحظى بها جنس دون آخر. و لا يمكن أن تبررها مثل هذه الدوافع أو الأسباب.

و إذا كان التمييز بين الجنسين يخلف آثارا وخيمة و عنيفة على الأفراد العاديين، فإن تلك الآثار السلبية من غير شك ستتضاعف حين يتعلق الأمر بالمعوقين. فهؤلاء، حتى مع توفير لهم المطلوب بما يزيد عن الحد الأدنى، إذا أحسوا بأنهم يخضعون في المعاملة إلى نوع من الميز و أن غيرهم مفضلون عليهم، فإن ذلك من شأنه أن يدفع بهم إلى حالة الاضطراب النفسي، و ينمي لديهم الأحقاد و الضغائن التي هم في غنى عن الضغوط التي تنجم عنها.

و في ظروفهم التي لا تخفى على أحد هم أحوج ما يكونون إلى تلك المواقف التي تساعدهم على امتصاص الضغوط و التخفيف من معاناتهم، و على بعث الأمل بحيث يظل هؤلاء محافظين على انتعاشهم النفسي الذي يدفعهم نحو الإقبال على الحياة بكل طموح و مصداقية، و على توازنهم الفكري الذي يسمح لهم بتسجيل الاستجابة المناسبة و المتكيفة التي تنقلهم تدريجيا إلى مستويات متقدمة من الخبرة و التجربة بعد تطوير عدد من القدرات و اكتساب عدد من المهارات و استفادة عدد من الآليات. و هذا بالضرورة يوسع أمامهم إطار الحركة و مساحة المبادرة و لا يضيق من مجالها. إن التمييز داخل الأسرة بين الجنسين هو سلوك غير تربوي يتعارض مع فطرة الأبوة و الأمومة و الأخوة، و لا يتولد عنه سوى الضرر حتى بالنسبة لمن يكون في الظاهر مستفيدا منه. علما بأن الدين الإسلامي منح الأطفال حق الرعاية و التربية و النفقة من قبل الأبوين لا يجوز التهاون أو التفريط فيه، و قد ثبت عن الرسول ﷺ قوله " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت"[74] و قوله ﷺ "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"[75]. كما نهى المسلمين عامة عن التمييز في المعاملة بين أطفالهم. فقد روي عن النبيﷺ قوله " اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم"[76]. و الأمر لا شك يتأكد مع من

74 - حديث نبوي شريف رواه أبو داود و النسائي و الحاكم
75 - حديث نبوي شريف رواه ابن حبان في صحيحه
76 - حديث نبوي شريف رواه أحمد و النسائي و أبو داود

هـم أشـد حاجـة إلى الشفقـة و الرحمـة. و التوجيـه النبـوي الشريف " ارحموا مـن فـي الأرض يرحمكـم من فـي السمـاء"[77]، إذا لـم يشمـل وضـع المعوقيـن فمـن هـو المقصـود قبلهم[78].

3- بمـا أن إمكانـات الأسـرة تكـون أحيانــا محــدودة، فقد تتأثـر أوضاعهـا وتضطرب أحوالهـا بسبب عجزهـا، و أمـام حاجـات المعـوق الملحـة قد لا يسـع هـذه الأسـرة المعـوزة سـوى أن تتحسر عليـه. فالعيـن بصيـرة و اليـد قصيـرة كمـا يقولـون. وهنـا يتدخـل المجتمـع فـي الشـأن الأسـري بدعـم هـذه المؤسسـة و ضمـان استمـرار تقديـم الخدمـات الضروريـة لصاحب الإعاقـة. و هـو موقـف ينـدرج ضمـن السياسـة الوقائيـة التـي يعتمدهـا المجتمـع بـدلا مـن الانتظـار السلبـي حتـى لحظـة معاينـة الوضـع المتـأزم الذي يستدعـي علاجـا شامـلا. و معـروف أن الوقايـة دائمـا تكلـف أقـل ممـا يكلفـه العـلاج. إن عـدم التأخـر في دعـم الأسـرة في عمليـة الإشـراف على المعـوق هـو توجـه سليـم و نتائجـه الواعـدة مؤكـدة ذلك أن المجتمـع حيـن يـزود العائلـة بالمساعـدة التـي تتناسـب مـع حاجاتهـا كمـا و نوعـا فإنـه بذلك يضمـن الاستقـرار فـي حيـاة الخليـة الأساسيـة فـي المجتمـع و التـي منهـا ينتعـش استقـرار المجتمـــع.

المؤسسة التربوية و المعوق

بعـد دخـول الطفـل فـي سن السادسة غالبا ينتقل إلى المدرسة التي يقضـي فيهـا عـددا لا بـأس بـه مـن ساعـات اليقظـة. و تصبـح هـذه المؤسسـة مـن يومهـا أحـد الأطــراف المؤثــرة علــى هـذا الكائـن الصغيــر، تشــارك أسرتــه فــي صياغــة شخصيتـه و تحديد معالمها و أبعادها خاصـة و أنـه مضطـر للمكـوث بداخلهـا سنوات عديـدة. لذلـك يكـون مــن المفيــد و نحـن نناقـش علاقـة المجتمـع بالفــرد المعــوق

[77]- حديث نبوي شريف رواه أبو داود و الترمذي و الحاكم

[78]- تخصيص صاحب العاهة أو العائل أو المشتغل بطلب العلم بعطية و منعها عن المبتدع والفاسق والمستعين بها على معصية خالقه ، جوزه بعض الفقهاء منهم الإمام أحمد.

والخدمات التي يجب أن يقدمها له، أن نتابع أحوال هذا الأخير في المؤسسة التربوية التي نعول عليها كثيرا في تحرير طاقة هذا الفرد و تزويده بالثقافة العلمية المؤهلة، و لو أن الجدل حول هذه المسألة لم يحسم بعدُ العديد من أوجهها والتصورات النظرية المطروحة على النقاش في تباين و أحيانا في تعارض وتناقض[79].

و من المفيد في البداية، فيما يخص العملية التربوية، أن نذكر بأن فئات المعوقين يمكن بسهولة توزيعها إلى ثلاث مجموعات:

1- مجموعة أولى لا تمنع الإعاقة أفرادها من الالتحاق بالمؤسسة التربوية ومتابعة الدراسة مع الأفراد العاديين و في أقسام عادية.

2- مجموعة ثانية ليس في وسع أفرادها بسبب طبيعة إعاقتهم أن يتابعوا دراستهم في الأقسام العادية.

3- ومجموعة ثالثة، نظرا لدرجة الإعاقة الشديدة، يتعذر على الكثير من أفرادها الالتحاق بالمدرسة أصلا.

و انطلاقا من آليات تقويم إضافية و اعتماد أدوات مكملة يمكن، بغرض تقديم المزيد من الخدمات، التوصل إلى توزيع كل مجموعة من المجموعات الثلاثة إلى مجموعات صغيرة أخرى متجانسة بالاستناد إلى حاجاتها و متطلبات التعامل معها. نحاول متابعة أحوال كل مجموعة، مع تسليط بعض الضوء على أولويات يجب الانطلاق منها في تعامل المؤسسة التربوية مع الفرد المعوق وعلى نوع العلاقة التي ينبغي أن تنشأ بينهما حتى تساعده على تجاوز آثار إعاقته، و الاستفادة القصوى و بشكل طبيعي من برامجها التربوية بما يشجعه على المضي قدما نحو تحقيق ذاته و تجسيد طموحاته.

---

[79] - Catherine Clark, Alan Dyson,Alan Millward (1998)"Theorising special education"

1- المعوق في مدرسة الأسوياء

من الطبيعي جدا أن يلتحق المعوق بالمدرسة العادية حين يستطيع متابعة الدراسة بها و مواكبة سير دروسها بحيث لا تحول الإعاقة بينه و بين القيام بذلك. بل إن هذا الاختيار حين تجتمع العوامل المساعدة لإنجاحه يكون مفضلا، و أقل هدرا للطاقة، و أكثر استغلالا لها لما يترتب عنه من احتكاك أوسع و بالتالي تسهيل لعملية الاندماج في المجتمع الكبير و عدم طغيان مظهر الإعاقة على سطح واقع الفرد بالصورة التي تستلفت النظر. و المشهد العام، من الناحية الواقعية و العملية، يروي قصة تلميذ أو تلميذة يباشر أو تباشر عملية الاكتساب والتعلم وسط حشد من التلاميذ يكاد الواحد منهم لا يشبه الآخر في شيء. و لا تكون الإعاقة التي يعاني منها البعض سوى مظهر اختلاف واحد من بين مظاهر الاختلاف التي يتعذر تعدادها وحصرها، و التي لا نشعر بوجودها في الظروف الاعتيادية داخل المؤسسة التربوية إلى درجة الاهتمام الخاص بها. ويحصل التركيز المكثف عليها فقط عند ظهور أسباب موضوعية و مبررات تستدعي متابعة نوعية من هذا القبيل. و بناء على هذه المقدمات، يفترض أن يصبح الفرد المعوق داخل المدرسة عنصرا دائبا في جماعته، يعيش في غبارهم و لا يستلفت الكثير من النظر. و هو وضع يساعده على التفرغ لمهمة الدراسة و طلب العلم و عدم التفكير في الإعاقة أو الانشغال بأمرها وقتا أطول، علما بأن ملاحقته بالعيون و تسليط الضوء على شخصه هو سلاح ذو حدين، والأضرار التي يمكن أن تنجم عنه حين يزيد عن حده المطلوب، مهما كانت الدوافع، قد تؤدي إلى محو الآثار الطيبة و طمس معالمها و القضاء على الكثير من المكاسب التي تحققت.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه علينا، في ظل التعقيب السالف، هل يبقى بعد ذلك للمؤسسة التربوية دور متميز تؤديه في حق هذا المعوق و حاجته لتطوير علاقة لها بعض المواصفات و الخصوصيات. و الجواب دون تردد يكون " نعم "

حيث يُنتظر منها أن تقيم علاقة تتجاوب فيها مع الأمر الواقع لأن التنبيه من خطر تسليط الضوء على صاحب الإعاقة ليس المقصود منه إهماله و تركه وحيدا يتخبط في هذا الوسط الاجتماعي المتنافس، و أن يواجه بمفرده كل الصعوبات و كل ما يعترض طريقه من الحواجز و العقبات، دون الوقوف بجانبه و مده بما يكون في أمس الحاجة إليه. فالنتيجة المحتومة لهذه الطريقة في التعامل معه هو الفشل في إخراجه من دائرة الحرج و الفشل في تحقيق معه نقلة نوعية واعدة. و عملية إلحاقه بمؤسسة تربوية من هذا النوع لا تعني أنه أصبح مستغنيا عن الدعم و المساعدة. فالقناعة الراسخة و التي أكدت عليها نتائج البحث العلمي أن مؤسسة تربوية عادية بوسعها أن تعطيه أكثر مما تعطيه مؤسسات خاصة أخرى[80]،[81]. و هذا مع ذلك يتوقف على طبيعة الإعاقة و نوع القدرات التي يمتلكها المعوق من جهة، و كذلك على نوع البرامج و الأنشطة التي تقدمها المدارس العادية من جهة ثانية. فالقرار جاء مراعيا بالدرجة الأولى فائدة المعوق و لم يُتخذ من أجل الإضرار بحاجاته و مصالحه أو لإدخاله في مغامرة غير محسوبة العواقب.

فما هي هذه المهام التي يتعين على المؤسسة التربوية أن تتحملها و التي تدخل بصورة طبيعية ضمن اختصاصها دون إخراجها عن مسار أداءها لوظيفتها الأساسية في المجتمع؟

1- تنسيق جهود الإشراف على الفرد المعوق مع أسرته و الأطراف الفاعلة والمؤثرة في حياته، بحيث يكون الطرف الذي يتعامل معه دائما على اطلاع مباشر بآخر المستجدات المتعلقة به و كل التطورات الإيجابية و السلبية التي طرأت على شخصيته، ضمانا لعدم حدوث مفاجآت مفزعة و مؤلمة، و تجنبا

[80]-Reynolds,M.C and Davis , M.D (1971)(Eds)" Exceptional children in regular classrooms " pp.51-63

[81]-Martin ,E.W(1976) "Integration of the handicapped child Into regular schools , In Mainstreaming Origin and implications" pp.5-7

للوقـوع في أخطاء جسيمة كان من السهل تفاديها.

هـذا التعاون بين المدرسة و الأسرة ليس خاصا بالمعوق وحده، و إنما يشمل كـل عنصر التحق بالمؤسسة التربوية، غير أن وجه التركيز هنا يكون في دقة المتابعـة لأحوال المعـوق و موضوعيـة التقويم لمـا يطفـو على سطـح واقعــه التعليمي و التربوي ذلك أن المصادر التي تهدد استقرار حياة المعوق المدرسية متعددة، نفسية ذاتية و اجتماعية خارجية، و أن التدخـل المناسب فـي الوقت المناسب من قبل المشرفين عليه، لانقاد الموقف و الحيلولـة دون وقـوع حالـة السقــوط أو الفشل من قبله، لا يتحقق إلا مع توفر كامل المعطيات حول هذا التلميـذ و سلوكه و ردود أفعالـه و طبيعـة تفاعـل شخصيته داخل المدرسة و خارجها. و هـذا لا يبـرر عملية تنسيق الجهود بيـن المدرسـة و الأسرة فحسب بـل يؤكـد عليهـا، كما يجعل اعتماد المتابعة المستمـرة و الشاملـة ضـرورة. و لـو أننـا، في الوقـت نفسه، نحذر من احتمال إحراجه بالمتابعة المباشرة و المكشوفة في الوسـط المدرســي و التي تجعلـه يشعر بأنـه مختلف عن الآخرين، كما أنه قد لا يستطيـع فـي ظلها أن يوفر وقتا أو حيزا يترجم فيه بصورة عفوية، لا تصنع فيها و لا تكلـف، عن قناعته الخاصة و وجهة نظره التي يؤمـن بها و يعتقـد في صوابهــا، وأن يعبر بكل تلقائية عن الأحاسيس و المشاعر التي يجدهـا و يفصـح عـن مطالبـه و حاجاتـه، بعيدا عن الأنظار المسلطة عليه التي تلازمه. و كأننا بتسليط الضـوء عليه ندفعه إلى أن يعيش بشخصية مصطنعة، لا فائدة مـن تقويم أبعادهـا أو الوقوف على مظاهرها نظرا لأنها، في الصورة المعروضة، لا تترجم الأعمـاق المعبرة. و الاحتمال كبير أن تؤدي النتائج المنبثقة عن تقدير من هذا النوع إلى إخفاء المعالم الحقيقية للشخصية و إلى الابتعاد عن صورتها الواقعية و الانتهاء معهـا إلــى انطباعـات خاطئة و أوصاف مضللة غير مساعدة.

2- عدم التأخر فــي إمداده بالمساعدة الضرورية التي لا غنى له عنها في وقتهـا المناسب لأنـه، تجاهها، يعيش تبعيـة مؤقتـة أو دائمـة مرتبطـة بنـوع الإعاقــة

أو نـوع الصعوبة التي يعاني منها.

فلا يمكن الانشغال عنه في مثل هذه الأوقات، لما لذلك من آثار خطيرة على مستقبل تطور شخصيته و استقرارها. فالمبادرة من قبل المعوق، و التي طالمـا ركزنـا عليها كوسيلة عملية لإخراجه مـن العالم المنغلق الذي يعيش بداخلـه، تكـون هذه المرة مرهونـة بمدى توفر الدعـم لـه إمـا للسماح لـه بتطوير قدراتـه الذاتيـة الي تجعله لاحقا أقل تبعية للآخرين، أو مـن أجل مـده باستمرار بمـا لا يملك أن يحصل عليه بنفسه نتيجة معاناته الخاصة. و في كل الأحوال لا تستطيع المؤسسة التربوية تحقيق أهدافها مـع هذا الصنف من المتعلمين إذا غـاب سندهـا فـي وقت الحاجة إليه. إذ يندرج هذا الأخير ضمن الوسائل الضرورية التي لا بـد من توفيرها من أجل تحريك العملية التربوية في الاتجاه الصحيح و بالمستوى المطلوب و بالمردود المتوقع. أما ترك المعوق يتخبط في حلقة مفرغة، فذلك مـن شأنه أن يولد عنده حالة من الإحباط و اليأس و فقدان الأمل التي قد تأتي على كل المكاسب التي استفادها داخل المؤسسة من يوم التحاقه بهـا. و أخطـر مـا فـي الأمـر، أن يحدث انهيار نفسي للشخصية يولـد عنده قناعة بعدم جدوى مواصلـة بـذل الجهود، أو الاستمرار في تحمل المزيد من المتاعب، كما قد يتوقف عن الانشغال بالمستقبل أو التفكير فيـه أو الطموح بإدراك مستويات أفضل، و يصبح مـن الناحية النفسية مهيئا و على استعداد للقبول بخيار الاستسلام للواقع.

مـن ناحية أخرى لا ينبغي إخضاع حياة المعوق المدرسية إلى نظام إشراطـي بواسطة عوامل الدعـم و المساعدة فتتحول حياتـه المدرسيـة و كافـة أنشطتـه بداخلهـا إلى مجرد ردود أفعال لا سلطان لـه عليها يسجلها آليا و بدون تفكير أو تخطيـط مسبق و خـارج دائرة القناعـة الشخصيـة و الأهـداف ذات الأولويـة التي يرغب في تحقيقها.

و الأصـل تركـه يتحـرك بمفـرده، و يتعلم بنفسـه، و يشق طريقه معتمـدا على

إمكاناته الذاتية، و لا يتدخل المربون في مساراته المختلفة داخل المدرسة إلا عند الضرورة من أجل توفير مساندة تُنتج أملا و حياة و تدفع نحو المزيد من الاستفادة و التعلم، لا مساندة تعمل على إجهاض مشروع الاستقلالية الذي نصبو إليه، أو تكرس معاني التبعية، أو تنمي روح التواكل. بل يتعين تنظيم الخدمات المقدمة على أساس النتائج التي يمكن توقعها في الاتجاه الذي أشرنا إليه. و قد نلجأ معه إلى تخفيف في المطالب أو إلى إعفاء من واجبات أو إلى إسناده ببعض الوسائل أو إلى تغيير وضع ...إلخ. كل ذلك نلجأ إليه أحيانا من أجل أن ندفعه نحو الاستغلال الأحسن و الأمثل لقدراته و بالتالي الاستفادة منها بصورة أكبر.

و على هذا الأساس يتم تنظيم العمل مع فئة المعوقين بكيفية متوازنة ننطلق فيها من الواقع، فنأخذ بعين الاعتبار ما في مقدورهم القيام به دون حصول على سند من الغير فنشجعهم على مباشرته بأنفسهم، و ما هو في مقدورهم القيام به بوجود سند أو دعم فنوفر لهم هذا الدعم لإسعافهم، و ما هو خارج عن قدرتهم فلا نطالبهم به و لا نقومهم على أساسه. و من باب مساندتهم و مد يد العون لهم بأسلوب إيجابي على النحو الذي أسلفنا، العمل على رفع كل الحواجز التي تعترض طريقهم و تعيق عملية التعلم عندهم داخل المؤسسة التربوية.

3- تكييف الممارسات التربوية حسب واقع الأفراد داخل الأقسام والوحدات التربوية، و توجيهها وجهة تراعي استعدادات هؤلاء و خبرتهم، وعدم اعتماد أسلوب واحد، أو طريقة واحدة مع جميع العناصر[82]. إن تعميم المعاملة على هذا النحو يتسبب في تهميش كثير من التلاميذ الذين لا يستفيدون من جهود المربين أو الذين يشعرون بالإحباط حيال ما يُعرض عليهم إما لكونه فوق مستواهم أو لأنه لا يسمن و لا يغني من جوعهم.

---

[82]-Gordon, E.E, Morgan, R.R. and Ponticell, J.A(1995) . The individualized training alternative . pp.52-60

4– ضمـان حصول تقدم كل معوق في العملية التربوية و لو بخطوات متواضعة لاستجلاب حافز ذاتي يرفع من معنوياته و يدفعه إلى المواصلـة. ويكـون ذلك ممكنا من خلال هيكلة المادة التعليمية و حسن تنظيم بنودها وعناصرها و عرضها بما يوافق إمكانيات الفرد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ما يتعلمـه واحد من المجموعة في درس واحد قد يحتاج فيه آخر إلى أكثر من حصـة. و بتوفير الفرص كاملة لكل فرد حسب طاقته و قدرته يستطيع أن يضمن التعلم و الاستيعاب للجميع.

5– تشجيع أفراد المجموعة على التعاون و مد الجسور نحو بعضهم عاديين ومعوقيـن، دون تمييز، مـا دام يجمعهم الفصل الواحد و ربما البرنامج الواحـد. وهـذه الممارسة تساعد على:

أ– فك العزلة عن المعوق و إدماجه داخل المجموعة مما يخفف عنه بعض آثار الإعاقة و يفتح المجال أمامه للتعامل مع الآخرين أخذا وعطاء.

ب– تغيير نظرة الأفراد إلى المعوق بكيفية عملية كنتيجة طبيعية لطول مدة الاحتكاك المباشر معه و ما يسمح به من معاشرة لـه و الاقتراب منـه و التعـرف عليـه وبالتالي الاستئناس.

ج– في ظل دينامية الجماعة تنشأ العلاقات الطبيعية و البريئة بين التلاميذ، تذوب فيها كثير من الفوارق الاجتماعية، و كثير من المظاهر المادية التي يتميـز بهـا الأفراد بما في ذلك و إلى حد ما الإعاقة البدنية.

6– توجيه الرأي العام المدرسي و توعيته و تجنيده لتعميم داخل المدرسة سلوكيات إيجابية تجاه فئة المعوقين، تحررهم من العقد النفسية التي تتسبب فيها نظـرة الآخرين لهم، كما تمكنهم من التفرغ لعملية التعلم و تحقيق التقدم المطلوب فيها، بدلا من تركيز تفكيرهم و جهودهم في إعاقتهم و انشغالهم الزائد بها.

7- مراعاة في تنظيم الحياة المدرسية في كافة صورها احتياجات فئة المعوقين الخاصة و الأخذ بعين الاعتبار طبيعة إعاقتهم عند توزيعهم على الأقسام و ترتيبهم داخلها، و تخصيص لهم بأولوية استعمال بعض المرافق من أجل تسهيل حركتهم و انتقالهم داخل المؤسسة، وكذلك التخفيف عليهم و حمايتهم. ويُفضل إذا أمكن عدم اللجوء إلى اللوائح و الإشارات الرسمية التي تشهر هذه الحقوق و تعلنها لما يترتب عنه من إيحاءات سلبية لدى المعوق الذي نسعى لتسهيل عملية اندماجه داخل المجتمع المدرسي.

8- تقديم الدروس و تكييفها بما يتوافق مع بعض خصائص المعوقين سواء من حيث السرعة المعتمدة أو نوعية الأدوات المستعملة أو من حيث المدة المخصصة للإنجاز أو طريقة تسجيل الاستجابة. فعلى المربي أن يتذكر أن في الحجرة الدراسية يوجد فرد أو أكثر لا يستفيد من دروسه بالطريقة العامة. وأن التعامل التربوي معه لا يمر أحيانا من القناة المألوفة مع بقية عناصر المجموعة. و ما أسهل على المربين في هذه الظروف، و في خضم الانشغال العام بغالبية التلاميذ العاديين، أن يغفلوا عن هذه الفئة و عن متابعتها، وأن يهملوا حاجاتها.

و خلاصة القول إن إدماج المعوق في المدرسة العادية إذا كان يملك المؤهلات التي تسمح له بالاستفادة منها مع توفر المدرسة على ظروف مساعدة على الأقل بالحد الأدنى، يعتبر الاختيار الأفضل، نظرا لما يسمح به من تطوير شخصية المعوق في أكثر من بعد و على أكثر من صعيد، خاصة في الناحية الاجتماعية. و ما يمكن أن يحققه في ظل هذه المؤسسة، انطلاقا من نتائج التقويم الشامل و ليس فقط الجزئي، سيكون أفضل بكثير مما هو متاح له في غيرها.

2- المعوق في قسم خاص داخل مدرسة الأسوياء

بالنظر إلى مستوى تأثير الإعاقة و حدتها فقد يكون من المتعذر على الفرد

متابعة دراسته مع الأسوياء في أقسامهم، ذلك أنه، بسبب إعاقته، يكون أقل قـدرة وأقـل تأهيلا لذلك بحيث لا يتمكـن مـن مواكبـة السير ضمـن هـذه الوحـدات التربويـة و التجاوب مع متطلباتها و الاستفادة الحقيقية من أنشطتها و كل ما يُقدم خلالهـا.

يصبح أمام المشرفين خياران لا ثالث لهما:

1- إما تكييف قسم الأسوياء في كل مـا يجري بداخله من أعمال و أنشطة مع إمكانـات هذه الفئـة مـن المعوقيـن(حتى وهـي تشكـل الأقليـة بهـا) بحيث يتمكن هـؤلاء من المتابعة المثمرة التي تجعل من اندماجهم هذا أمرا إيجابيا، له مـردود مشجـع. و عندها نضطر لمحاصرة العملية التربوية بالنسبة لغالبية أفراد هذه الوحـدات، حيث نحتاج في كل مرة إلى إلزامهم بالتوقف و الانتظار حتى يتمكن المعوقون من اللحاق بهم. هذا الانتظار قد تطول مدته، و يُحرم العدد الأكبر من المتعلميـن بسببـه من مواصلـة العمليـة التربويـة بصـورة طبيعيـة و دون انقطــاع، ومــن المضــي قدمـا نحـو اكتسـاب معـارف جديـدة و تطويـر قـدرات و اكتسـاب مهـارات أخـرى.

و إذا كان هذا الاختيار يجعل فئة المعوقين تستأثر باهتمام و متابعة المربين، فضلا عن إمكانية شحن أوقاتهم بالواجبات و الأعمال التي يُفترض أنها تدعم مكاسبهم و تساهم في تطوير شخصيتهم، فإنه في المقابل يتسبب في إهمال باقـي التلاميـذ العاديين و يخلف في حياتهم المدرسيـة فراغا كبيرا قد تنجم عنـه، في غياب الإشراف المباشر و المتابعة الفعلية، انحرافات سلوكية و حتى اضطرابات نفسيـة، كما قد يترتب عنـه وضع يعزز مـع الوقت ظهـور اتجـاه سلبي نحـو الدراسـة أو حالة من عدم الارتياح داخل المؤسسة التربوية.

2- أما الخيار الثاني وهو أن نُبقي المعوق داخل مدرسة العاديين بما يضمـن له تحركا أوسع في أوساطهـم و احتكاكـا مباشـرا معهـم و مجـالا رحبا لبناء العلاقـات

معهم، و هي عوامل كلها تساعد على التخفيف من الضغوط المباشرة للإعاقـة، وفـي تسهيل عملية الاندماج الاجتماعي بصورة عامة. لكنه بداخل هذه المؤسسـة نوفـر له فرصة متابعة دروسه في قسم خاص، تنضم إليـه العناصـر التـي تشتـرك معـه في مظهر أو أكثر من مظاهر العجز، حتى نسمح لهم مجتمعين أن يستفيـدوا مـن الحصص التي يتابعون، و التي يُنتظر من المربين تقديمها على نحـو يأخـذ بعيـن الاعتبار إمكانات هؤلاء المعوقين بما يضمن تقدمهم في العملية التربوية وتحقيـق أهدافها في المدة الملائمة لظروفهم و بالسرعة الممكنة في أوضاعهم.

و في ظل مجموعة متجانسة من التلاميذ يسهل تقويم الفعل التربوي و تقدير المكتسبات التي ترتبت عنه، و سهولة العمل على تحسين الأداء و رفـع مستـواه بكـل موضوعية بالاستناد إلى حقائق الواقع و التعدية الراجعة التي يقدمها. إن فئة المعوقين هذه المرة تستفيد مـن البرامـج التربويـة المقدمـة لها بالقـدر الذي تسمـح بـه مؤهلاتها لكن دون أن يؤثر ذلك فـي المسار الذي يتحرك فيه غيرهم أو يتأثر بـه. فحقهم في التعليم المؤهل مكفول و كذلك حقهم في التعايش مع النـاس والاندمـاج في وسطهم، و لكـن بطريقـة تحفظ الفائـدة للجميـع و لا تتحـول إلى مصـدر تتضـرر منه أطراف أخرى كما يحصل مع الاختيار الأول.

و الاختيار الثاني يبدو أكثر واقعية من حيث أنه يعالج مشكلة قائمة دون أن يتسبب في إيجاد أخرى. و فيه مراعاة لمسألة علاقة فئة المعوقيـن بالأسويـاء وفرصـة تطوير العلاقات الاجتماعية بينهم و مد الجسور نحو بعضهم، و تحقيق التقـارب بما يؤسس لبناء مجتمع قـوي و متماسك، تنتعش فيـه معاني التعاون والتضامـن والتكافل.

3- المعوق في مدرسة خاصة

إن ضمان قسم خاص داخل المؤسسة العادية قد يتعذر توفره هو بدوره. و قد نضطر إلى مزيد مـن عزل هذه الفئـة، و دائمـا انطلاقـا مـن حقائـق تتعلـق بالمعوقيـن

أنفسهم و حاجاتهم الخاصة و مراعاة لأحسن الطرق في رعاية مصالحهم مع إتاحة أفضل الفرص أمامهم. فقد نحتاج لجمع المعوقين في مدرسة خاصة بهم، وتوزيعهم في وحدات تربوية تتجانس خاصة من حيث التقارب في طبيعة احتياجات الأفراد الذين تضمهم هذه الوحدات. و يجب أن نذكر أن مسألة إبقاء الفرد في مؤسسة تربوية عادية أو نقله إلى مدرسة خاصة يرتبط بالفرد المعوق وإمكاناته و لا ينبغي أن ندرج فيه اعتبارات أخرى خارجة عن هذا النطاق. والطرف الذي يملك أن يحسم هذا الإشكال و يحدد أي الاختيارات تكون أفضل بالنسبة لهذا الفرد المعوق أو ذاك يتمثل أساسا في أصحاب الخبرة و أهل الاختصاص. حتى عند عدم توفر البديل الأنسب، فالخبراء و الأخصائيون هم الذين يقدرون و يختارون له من بين البدائل المتوفرة أنفعها. فكما أسلفنا، فإن القرار المتخذ مبني على الفائدة المرجوة و المكاسب التي يمكن أن يحققها الفرد. ولعل من أهم الأسباب التي تدفع إلى هيكلة النشاط التربوي لدى عدد من الأفراد من مختلف شرائح المعوقين داخل مؤسسات خاصة:

1- عدم وجود القدرة للاستفادة من النشاط التربوي داخل المدرسة العادية سواء من خلال متابعة الدروس مع الأسوياء أو حين يتابعها في قسم خاص مع أصحاب الإعاقات. فعندما نستيقن من عدم جدوى اللجوء إلى هذه الوسيلة بسبب الإعاقة و مستوى العجز الذي تتسبب فيه، فلا بد من البحث عن وسيلة أخرى نضمن بها تعليم أطفالنا من هذه الشريحة حتى لا نحرمهم من فوائد المدرسة.

2- عدم التمكن من تقديم الخدمات المطلوبة من قبل المعوقين في ظل النظام التربوي السائد و بالهياكل و المرافق التي تتوفر عليها المؤسسات التربوية العادية، إما من حيث النقص فيها، أو لأنها بسبب طبيعتها المتميزة تشكل عقبة أو أنها عموما غير قابلة للتكييف مع خصوصيات الأفراد المعوقين. فتكون المدارس الخاصة بمرافقها و هياكلها و برامجها المكيفة و نوعية المشرفين والمربين البديل الأنسب لاحتضانهم و الإشراف على تربيتهم و تعليمهم.

3- ترجيح عدم الاستفادة من عملية الاندماج المدرسي في وسط الأسوياء. فإذا ظهر ما يؤكد على فشل التجربة داخل المؤسسة التربوية العادية، فإما أن نسرع في تحويل الأطفال إلى المدرسة الخاصة، التي توفر بعض الظروف المساعدة لهم خاصة حين تنطلق من حاجاتهم، و تمكينهم من متابعة دروسهم بها، و هذا هو الحل المطلوب اجتماعيا و أخلاقيا، و إما أن نُبقي الأطفال في المدرسة العادية وهذا يعني حتما التقهقر و توقف عملية النمو فضلا عن هدر الطاقة و تبديد عمر الإنسان، وإما أن يترك المدرسة نهائيا و لا يلتحق بها.

إن توجيه المعوقين إلى المدرسة الخاصة هو اختيار تدفع إليه الضرورة حيث يصبح البديل الواقعي أمام التحديات التي تواجه هذه الفئة من أفراد المجتمع. لكن ترجمة المفهوم " تربية خاصة" ليس أمرا بديهيا و في كثير من الأحيان لا يعني في الواقع العملي سوى عملية عزل الأطفال في بناية عادية، مع معلمين عاديين و برامج تربوية عادية[83]. فعزل هؤلاء الأفراد بهذه الطريقة هو أخطر في آثاره السلبية و مخلفاته من إبقائهم في الأقسام العادية. من هنا وحتى لا تفقد التجربة مصداقيتها ينبغي تأطيرها بموضوعية و واقعية و بتوفير البرامج المناسبة و المشرفين التربويين الأكفاء و المعينات و الوسائل، فضلا عن إيجاد المرافق الضرورية داخل هذه المؤسسة بما يسمح للفرد فيها بسهولة الحركة و التنقل و يضمن له إمكانية متابعة الدراسة و الاستفادة من برامجها على النحو الأفضل.

4- المعوق خارج المدرسة

إن طبيعة الإعاقة و مستوى العجز المنبثق عنها و نوع المعاناة التي تصاحبها قد لا تسمح للفرد أن يلتحق أصلا بالمدرسة، نظرا لتعذر أو استحالة حصول ذلك واقعيا، أو لانعدام الفائدة من التواجد بها. هؤلاء الأفراد الذين لا يستفيدون من برامج المؤسسات التربوية العادية و الخاصة بسبب إعاقتهم، يتوزعون على

[83]-Sara Burnett (2004) .Special education scores still too low.

أكثـر من فئة، و يتفاوتون في الاستفادة من البدائل التي يمكن الاهتداء إليها.

و من العوامل التي يتعذر بسببها الالتحاق بالمدارس، ظهـور المـرض العضـوي أو النفسي المزمن الذي يبقي صاحبه طريـح الفراش فـي المستشفى أو فـي البيت يتابع العـلاج المركز بصـورة متواصلـة و بدون انقطـاع. أو وجـود ضعف عقلي حاد لا يسمح لصاحبه أن يخدم نفسه بنفسه فضـلا عـن متابعـة مناهـج تربوية عامة أو خاصة و الاستفادة منها أو حدوث اضطراب عام في شخصيـة الفرد تغيب فيه حالة الشعور و تطول مدة فقدان الوعي. و لا شك أن هذه أحـوال متباينة، و التعامل معها سوف يختلف باختلافهـا. فبالنسبة للذين يعانـون مـن المرض المزمن أو حتى من المرض الذي تستغرق عملية علاجـه مـدة طويلـة، فإنهم يضطرون إلى ترك المدرسة لأنهـم ببساطـة لا يستطيعـون المواظبـة على الحضور. و لعل الحل العملي بالنسبة لهؤلاء حتى لا ينقطعوا عـن الدراسـة يكون بتوفير لهم فرص متابعة الدراسة فـي البيت أو داخل المستشفى بالمـوازاة مع خضوعهم لعمليات العلاج. و هو بديل جُرب في نطاق واسع و مع عينات من هذه الحالات، و حقق نتائج مشجعة مع عدد كبير منها[84]،[85]. و من الممكـن اليوم أن يحقق مزيدا مـن هذه النتائـج المطمئنـة و المحفزة، بل و ربمـا نتائج أفضل منها خاصـة مـع وجود الوسائـل التكنولوجيـة المساعـدة التي تجعـل مـن السهل تكييف العديد من الخدمات الضرورية، منها التربوية التعليميـة، والسمـاح للمرضى الذين يتعـذر عليهم الذهـاب إلى المدرسة متابعـة الدراسـة والاستفـادة من برامجها. فالحاجة في مثل هذه الظروف تدعو إلى إيجاد مخـرج مـن هذا النوع. إذ من غير المعقول أن نحرم الفرد من التعلم و نكتفي فقـط بالتركيـز على العملية العلاجية، ذلك أن إنسانيته تتطلب كذلك غداء فكريـا وروحيـا و تأهيـلا اجتماعيـا. كمـا أن واقـع هـذه الفئـة مـن المجتمـع يستدعـي

[84] -Voisin, H(1997) . L'Action pédagogique auprès des enfants hospitalisés.
[85] -Rosent ,L (1979) . L'Hospitalisation des enfants.

باستعجال توفير هذه الخدمات قصد الارتقاء بمستوى أفرادها التربوي و الثقافي وتحسين أحوالهم و رفع معنوياتهم حتى لا يفقدوا الأمل في الحياة بسبب وضعهم الصحي الذي استعصى على العلاج و طالت مدة معاناتهم.

إن تأجيل عملية الالتحاق بالمؤسسة التربوية إلى ما بعد تحقق المريض بالشفاء الكامل من شأنه أن يفوت على الفرد فرصا كثيرة من أهمها إمكانية استغلال وقت الفراغ الطويل بل و حالة التفرغ التي فرضها عليه وضعه الصحي. وعلى هذا الأساس يتعين على المربين المشرفين بالتنسيق مع الأطباء المعالجين متابعة أحوال المريض، و تحديد معه أنسب الأوقات لمتابعة برامج تربوية، و تنظيم حصصها بمرونة كبيرة تُراعى فيها جاهزية المريض و توفر كل الظروف المساعدة.

و حتى لا يحصل التردد في تحديد وقت الشروع في هذا العمل الحساس و ربط ذلك بطبيعة تطور الحالة الصحية للفرد التي تعطي أحيانا إشارات متناقضة في اتجاه تأويلها فضلا عن التحولات الفجائية المؤقتة التي قد تطرأ، من الممكن ضبط العملية بصورة موضوعية كأن يشرع مع المريض- الذي قرر الأطباء الاحتفاظ به للعلاج لمدة شهر على الأقل- في تطبيق البرنامج التربوي المناسب مباشرة بعد دخوله إلى المستشفى حتى لا يحصل توقف طويل من شأنه أن يؤثر سلبا على تحصيله السابق. هذا البرنامج بطبيعة الحال يختلف من حالة إلى حالة أخرى. و كلما سنحت الظروف لتطبيق مع المريض برامج عادية يتابعها أقرانه في المدرسة ينبغي ألا نتردد في القيام بذلك. من ناحية أخرى، كلما ظهر في واقع المريض ما يمنع من تطبيقها جزئيا أو كليا، لا بد أن تُكيف هذه البرامج مع هذه الحقائق و تلك المعطيات. و قد يضطر المربون إلى الاستغناء عنها أيضا جزئيا أو كليا و البحث عن برامج بديلة لها تتماشى و احتياجات المرضى الملحة و تحقق معهم مردودا أفضل. المهم أن مرحلة العلاج و النقاهة التي تطول مدتها لا تتحول إلى فترة فراغ في حياة صاحبها. علما بأن الإنسان الذي

لا يستفيد من وقته و باستمرار لا يضيف إلى رصيده و لا يثري تجربته و لا يعزز مكاسبه و لا يوسع دائرة معارفه فإن أحواله حتما ستتراجع و مستواه لا بد أن ينزل و يتقهقر. و هذا بالتأكيد سوف يؤثر سلبا على عملية اندماجه في المجتمع لأنه أصبح بافتقاده المؤهلات عاجزا عن احتلال موقع و تسجيل بواسطته حضور متكيف قوي و فعال.

أما بالنسبة للفئة التي تُعرف بخلل عقلي يحول بينها و بين بلوغ مرحلة التفكير المجرد، فقد يضطر المربون معها إلى اللجوء إلى برامج بسيطة في محتواها ومتواضعة في أهدافها، و يسعون من خلالها إلى مد هؤلاء الأفراد بعناصر ثقافية و معرفية مفيدة تشحذ بعض ملكاتهم و تساعد على تنمية بعض قدراتهم وتطوير بعض المهارات لديهم، بما يسمح لهم أن يباشروا بنجاح بعض المهام أو الوظائف في حياتهم العملية المستقبلية. و بالتأكيد سيضطرون معهم إلى الخفض من مستوى التعامل و التخفيف من مضمون البرامج كلما دعت الحاجة إلى ذلك. و قد ينحصر العمل التربوي مع بعض الأفراد في محاولة تعليمهم بعض أساسيات الحياة خاصة ما يتعلق بطعامهم و نظافتهم و حمايتهم و أمنهم. وإذا كان هو المستوى الذي يستطيع المربون بلوغه معهم فلا ينبغي حرمانهم من إدراكه لما فيه من مظهر التكريم و تحقيق الاستقلالية حتى في صورها البسيطة. و هنا أيضا يكون السعي في تسخير العملية التربوية من أجل الارتقاء بالكائن البشري إلى مستوى الكمال البشري الذي تسمح به إمكاناته والظروف المحيطة به و ليس أقل من ذلك.

و خلاصة القول إذا تم تكييف العملية التربوية مع حاجات المستهلكين لبرامجها بموضوعية و واقعية، فحينئذ لا مبرر لوجود عناصر بشرية لا تنفع معها التربية.

الحاجة إلى تغيير نظرة المجتمع تجاه الإعاقة

إن الجهـود التي يُطلب من المعوق أن يبذلها للمساهمة في عملية تحسين أوضاعـه هي كما مر بنا مبررة بالآثار الطيبة الواعدة التي تخلفها في الواقـع الإنسانـي. هذه الخطوة المصيرية في حياته قد تعترضها مع ذلك عقبات فـي الواقـع الاجتماعي يكون أمر تغييرها أو إزاحتها خارجا عن نطاقه. و تمثل نظرة المجتمـع إلى فئة المعوقين و طريقة التعامل معها إحدى أعنف العوامل التـي تحـول دون تمكنهم من شق طريق المبادرة الحرة التي تحقق الاستقلالية. وقـد تأرجحـت هذه النظرة بين إهمال تام لهذه الفئة و حاجاتها و عدم إعطاء أي وزن يُذكـر لوجودها كشريحة ضمن باقي شرائح المجتمع. وضع تولد عنـه بصـورة طبيعيـة شعور بالدونية لدى المعوقين فضـلا عن الشعـور بالحرمـان و الإحباط جراء ما يصيبهم من استهانة و احتقار. أو مبالغة في احتضانهم و رعايتهم فوق الحاجـة المطلوبـة. وضع بدوره كرس المزيـد مـن التبعيـة نحـو الآخريـن و حال دون إمكانيتهم توفير العيش الكريم، كما رهن مستقبلهم و حرمهم من تحقيق أي تطـور نحو الاستقلالية المنشودة.

ولعـل أبرز ما يميز علاقة أفراد المجتمع بفئة المعوقين أنها علاقة غير مستقـرة. فهؤلاء، إزاء المواقف المتقلبة، ينتابهم القلق و الخـوف و يعيشون دومـا فـي حالة شك و تردد. و مما يمكن ملاحظته حين نتابع صور المعاملة التي يحظى بهـا المعوقون:

1- تستنـد المعاملة إلى قراءة فردية و تقويم خاص بالطرف الذي يمارسها. وهـذا يعني عمليا أنهـا ستكون بالضـرورة متنوعـة و مظاهرهـا مختلفـة حسـب الأفـراد و الهيئات. هذا التنوع للأسف لا يضاعـف الفرص الجالبـة للفائـدة و النفـع، و لا يعـزز مكانة، و لا يثبت موقعا. بل يقوي الشكوك و يولد هواجس أخرى.

2- تخضـع بالأساس لمزاج الأفراد و أحوالهم النفسية، و بالتالي لا يمكن التنبؤ

بهـا أو تسييرها ضمن توقعات محسوبة و مقدرة.

3– غالبـا ما تأتي كردود أفعال مشحونة بعواطف من الصعب تحديد لها السيـاق الواضح كتجربة مرت بالإنسان يمكن الاستفادة منها.

4– كثيرا ما تكون الآثار المترتبة عنها تسير في اتجاهات متعارضة يصعب علـى من يستهلكها الاستثمار فيها و الاعتماد عليها في التخطيط للمستقبل.

5– يحدث أن تتجاوب الصور الإيجابية منها، في الأحوال الجيدة، مع الظـرف الذي يواجهُه الفرد المعوق و لا تضمن مـا يوفر استمرارية تقديم الخدمة خارج معطيات ما يُعاين فعلا في الوقت الراهن.

6– يغلب على التدخلات روح الإشفاق، و ناذرا ما تحمل عناصر تشجع الفرد المعـوق على الاعتماد على الذات و على عدم الاتكال على الآخرين. و قد يعزز ذلك فهما قاصرا أو مشوها للواجب تجاه ذوي الحاجات من منظور الديـن الإسلامـي، كما أن إدراج حاجات الغد و ما بعد الغد أو التفكير فيها غيـر وارد عمـدا، على اعتبار أن ذلك غيب لا ينبغي أن نشغل أنفسنا به اليوم.

فـي ظل هذه الأجواء يمكن أن نتصور كيف تصبح حياة الفرد المعوق و ما هـي التحديات التي تواجهه، و ما هي أنـواع الأسئلـة التي تغزو فكره و تشغـل بالــه، و في أي اتجاه يغذي طموحاته و آماله، و على أي أسـاس يرتب أولويات حياتـه، و ما هي الأرضية التي يرتكز عليها في تنظيم مختلف استجاباته و هيكلة مواقفـه لمواجهة حقائق الواقع و المحافظة على وجود له معنى؟.

إن الطرق السائدة في معاملة فئة المعوقين داخل المجتمع في العموم لا تقـدم لهـا سندا كبيرا و لا تسمح لها بتطوير و ببلورة القناعات الناضجة و التصورات العميقـة و الموضوعية و الواقعية في آن واحد، و التي طالما حُرمت منها في زخم الأوضـــاع الاجتماعية الجارفة التـي حشرتهـــا فـــي جبهـــات الموت الإنسانـــــي

والحضـاري البطيء. و مثل هذه القناعات الغائبـة و المفقودة يمكن، في تقديـري، أن تتحـول إلى قوى دافعة نحـو الانتفاضـة على الذات التي يكـون هـؤلاء الأفـراد فـي حاجة ماسة إليها، و نحو سلوك طريق المحاولة الجادة لامتلاك الوسائل والآليـات التي تكفل لهم تحقيق ما يساهم في تحسين أوضاعهم و ما يزيدهم قدرة على التحكم في مصيرهم.

كل هذا يجعل تغيير نظرة المجتمع نحو المعوقين بمختلف فئاتهم و بصورة جذريـة ضرورة ملحة، و ليس فقط مطلبا يتجاوب مع ملابسات ظرفية. لأن على ضوئـه يتحدد الاتجاه الذي يريده المجتمـع لأفراده. إمـا حيـاة كريمـة ينعمـون بهـا مـن خلال تسجيل حضور فيه مشاركة و إسهام إيجابيين. و إما حياة العزلة والانطـواء، و الذل والهـوان فـي ظـل الحاجـة و العـوز و علـى هامـش الواقع الاجتماعـي الذي يخضع تطوره لمساهمة كـل فرد ينتمي إليه.

و من المظاهر التي تؤشر على حدوث هذا التغيير المنشود في نظرة المجتمع تجـاه أصحاب الإعاقات، و الذي نأمل أن يقوي مواقـع هـؤلاء الأفـراد داخـل الجماعـة ويمنحهم فرصا أكبر للتغلب على الآثار الناجمة عن الإعاقة، و يمكّنهم بالتالـي من شق الطريق نحو مستقبل حافل بالمعاني الإنسانية الاجتماعية الراقية والكريمة، يشعرون في ظلها بوجودهم الحقيقي كباقي أفراد المجتمع:

1- إدماج حاجات هذه الفئة وكل متطلبات عيشها الطبيعي ضمن مخططات ومشاريـع المجتمـع بصـورة تلقائيـة طبيعيـة، سـواء تعلـق الأمـر بالعمـران أو التربيــة أو التأهيل و التمهين أو غيرها. و هي البداية الواعدة التي تجعل الفرد المعـوق يزداد ثقة و إيمانا بوجوده، و تدفعه أكثر فأكثر للتأهب و الاستعداد لأداء دوره الذي يتناسب مع إمكاناتـه و قدراته بكـل جدارة و اقتدار كأي فـرد آخر في المجتمـع.

2- عـدم حشـر هذه الفئة معنويا فيما يشبـه مخيمـات اللاجئين بالاعتمـاد كليـا

وبانتظـام على سياسة تقديم المساعدة لها لسد حاجاتها الضرورية. هذا الاختيار يحاصـر هذه الفئة و لا يساعد على تغيير أوضاعها نحو حياة أفضل، كما يجعل سقـف الآمال و الطموحات متواضعـا جدا و محدودا.

3- إن تغيير النظرة نحو المعوقين لا نتوقع أن تعطي ثمارهـا إلا عندمـا تشمـل كافة شرائح المجتمع و أفراده و مؤسساته و هيئاته الخاصة و العمومية، بحيث تنشأ على أرض الواقع ثقافة عامة بهذا الخصوص ينصهر في بوتقتها المجتمـع بل أطيافه و بكل فئاته من مختلف الأعمار. هذه الثقافة من شأنها أن تكـرس سلوك الاحترام و التكريم و التقدير للعنصر البشري عامة، و مد جسور التكامـل و التعاون معه، و مشاركته الأفراح و الأحزان بغض النظر عن الحقائق الشخصيـة المتعلقة به من مستوى اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي أو فكري. فالمجتمـع المتوازن و المستقر يشبه الجسم الواحد الذي لا يوجد فه عضو يمكن الاستغنـاء عنه أو إهمال رعايته و عدم الاهتمام به.

و من المتوقع في ظل هذه الثقافة السائدة ألا يشعر صاحب الإعاقة بالمضايقات و ألا يواجه مظاهر الإحراج بسبب إعاقته. بل إن المواقف الصادقة والعفويــة التي تصـدر من الأفـراد و الجماعـات تنسيه إعاقتـه، و يـزداد بذلـك قناعــة بأن له داخل المجتمع مكانة لا أحد ينازعه فيها، و أن انتمائه إلى وطنه وأمتــه بكامل العضوية هو إحساس حي ينبعث من أعماق نفسه فضلا عن أنه حقيقـة ترسمها صور حياته اليومية في كل تقاطعاتها مـع كل الأطـراف عبـر المكـان المفتوح وعبر الزمن الممتد.

لكـن، كما أكدنا سابقا، لا يكفي أن تكون هذه النظرة نظرة إشفاق تترجم رغبـة أو استعـدادا لتقديم الإسعافات و المساعدات الظرفيـة أو حتى الدائمـة لأفـراد مغلـوب على أمرهم. بل نريدها أن تصبح نظرة إيجابية و بنـاءة تساعـد الفـرد المعـوق على محاورة نفسه بمنطق تفاؤلي يجعلـه يغلب في حياتـه الآمـال علـى الآلام، كمــا تشجعـه و باستمـرار على مضاعفــة بــذل الجهــد و استفــراغ مــا فــي

الوسـع، و استغلال كل إمكاناته، و الاستفادة من كل الفرص المتاحة له. لما لذلك كلـه من آثار مباشرة و قوية في رفع مستوى استقلاليه على الأقل إلى الحد الذي تسمـح به تلك الإعاقة و ما تحيط بها من ظروف مادية و معنوية[86].

مـن ناحية أخرى لا بد مـن ملاحظة أن هذا التغيير الضروري و الملحّ في نظـرة المجتمع إلى أصحاب الإعاقات، الذي نأمل أن يفتح آفاقا واسعة أمام هذه الشريحـة، لا نتوقع أن تستقر آثاره و تظهر ثماره، بقوتها المحركة، إذا لم يشمل مراجعـة الاتجاهات و التصورات التي يحملها الأفراد بالإضافة إلى تهذيب بعض العـادات و الأعراف الراسخة و كافة مظاهر السلوك العام المترجمة لذلك كله. فالمقصـود ليس فقط التظاهر أمام الفـرد المعـوق و الإفصاح لـه بواسطـة الإشـارة أو العبارة بأننا نُكنّ له الحب، و نفرح عند لقائه، و نستمتع بالجلوس معـه، و نعتـز أو نتشرف بمعرفته، و نحترم آراءه و اختياراته، و نقدّر مواقفه ... لكن يجب ألا نستعـرض ذلك تصنُّعا إما بدافع الترويح عليه، أو من أجل طمأنتـه، أو حتـى لا يشعـر بأنه وحيد و أن الناس من حوله لا يعبئون به و لا يهتمون به، فيفقد بالتالي قيمتـه كإنسان في هذا المجتمع. إن هذه المواقف، من دون شك، قد تخفـف مـن حالـة التوتر التي تكاد تلازم الفرد المعوق و قد تمتص بعضا من مخاوفه و ربمـا تفتـح بصيصا من الأمل في حياته. لكن هذه الآثار الطيبـة تتلاشـى بعـد وقـت قصيـر من اللقاء، لأنها لا تؤسس لعلاقة دائمة في الاتجاه الذي رسمته مؤقتا تلك المسرحيات. مع التذكير بأن الحقيقة التي تنطوي عليها النفوس البشرية لا يمكن إخفاؤهـا مهما كانت طبيعة و نوع الاجتهاد و المحاولة. و سيكون من السهل، خاصـة على صاحب الإعاقة، الذي يُعرف بالحساسيـة الكبيـرة و الزائدة تجاه كـل مـا يسمع و ما يرى، أن يكتشفها. و حينئذ تنعكس على نفسيته إلى نتائج سلبية للغايـة تزيده تحفظا و احتياطا فيستعيد خوفـه و قلقـه، و لا يستطيع تجـاوز صعوباتـه

[86]-Collins, C(2001). Developing critical consciousness: a personal reflection.pp.88-103

اليومية و معاناتـه مما يؤثر سلبا على عملية اندماجه داخل المجتمع.

إن هؤلاء الأفراد يحتاجون إلى صدق في المعاملة و إلى سند معنوي حقيقي. وإذا تحقق ذلك فعلا فهو بالنسبة إليهم مكسب ليس لـه ثمن، نظرا لأنـه سيتحـول إلـى قاعـدة يستندون إليهـا و يؤسسـون عليهـا مشاريعهم. فالطبيعـة الاجتماعيـة للإنسـان لا تـدرك حالـة الاستقرار و الطمأنينـة إلا فـي محضـن العلاقـات الإنسانيـة الصادقــة.

إن تغييـرا بهـذا الحجـم و بهـذا العمـق لا نتوقـع أن يحـدث خــلال فتـرة زمنيــة وجيـزة. فالمعاني و الأفكار التي تم التركيز عليهـا لا نتوقع أن تتحول في لحظـة إلـى لـون طبيعي يصبغ حياة المجتمع، و لكن لا بد من مساهمة المؤسسـات التربويـة و الاجتماعية و الإعلامية ببرامجها الهادفة في إعداد الإنسان الاجتماعي الذي يحملها كمبادئ و قناعات ثابتة و راسخة تستطيع أن تُوجّه أفكاره و سلوكه بصورة تتسم بالاستقرار و التوازن. و هـذا يتحقق على مراحل مـع التخطيـط لـه وتجنيد كل الإمكانات و الوسائل و الأدوات، بما فـي ذلك المنظومات القانونية الوقائيـة، و كافة الإجراءات الأخرى المساعدة على توفير ما يحمي هذا التّوجُّه الإنساني في الواقع الاجتماعي، و يسمح له بالتنامي الطبيعي و التجذّر الأصيل، ليتحوّل إلى أحد أبعاد ثقافة المجتمع يكـون حاضرا في واقـع النـاس عامــة مــن كـل الفئات والطبقات.

وهو استثمار مكلف للغاية، و لكنه استثمار لا غنى عنه بالنسبة لمجتمع ينشد البقاء، و يحرص على الانفتاح على كل طاقاته من أجل تسخيرها لتحقيق التطور والرفاهيـة التي تتجـدد بهـا حياتـه و يضمـن بهـا استمـراره بيـن المجتمعـات قويـا ومتماسكـا.

مخطط الاستيعاب التربوي والصحي و الاجتماعي

انطلاقا من الحقيقة الثابتة التي تشير إلى وجود نسبة من ذوي الإعاقات، من مختلف الأنــواع، و التي تزيــد و تنقــص ضمــن تعاقب الأجيـال، يتعيــن علــى

المجتمع، بواسطة المؤسسات الوصية العليا التي ترعى شؤونه و على رأسها نظام الحكم، إدراج ما يتناسب و حجم هذه الشريحة و مدى انتشارها في الواقع من مشاريع و مخططات لاستيعابها تربويا و صحيا و اجتماعيا و مهنيا، وتمكينها من الدخول إلى الواقع الاجتماعي من بابه الواسع و أداء دور فعال فيه.

ولعل من بين المجالات الحيوية التي يجب أن تشملها عملية التخطيط فيما له علاقة بالإشراف على فئة المعوقين و رعاية مصالحهم:

1- إعادة التأهيل

توفير لكل فرد معوق من خدمات إعادة التأهيل ما يسمح له ببلوغ المستوى الأقصى من الاستقلالية و تكييف ذلك مع احتياجاته الخاصة المحددة من قبل الخبراء المختصين بطريقة دقيقة و بواسطة وسائل تقويم موضوعية. و الهدف من اعتماد البرامج التأهيلية هو تمكين الفرد المعوق من تجاوز الآثار السلبية الناجمة عن وجود الإعاقة بالتخفيف من وجودها عن طريق برامج تدريبية ترمي إلى تحسين بعض الوظائف المتضررة، أو من خلال توفير ما يساعد عمليا على تعويض ما افتقده من أجل إعادة تنشيط الوظيفة، أو بواسطة أنشطة تتيح له فرص تطوير المبادرة الشخصية و تنويعها، و تشجيعه على تعاطيها ودفعه خطوة خطوة نحو الاعتماد على الذات.

أما بالنسبة للأطراف الفاعلة التي تستطيع أن تشارك في البرنامج التأهيلي وتساهم في تنشيطه و تتابع نتائجه بشكل مباشر فتحددها طبيعة الإعاقة و نوع الصعوبات و المشاكل المترتبة عن وجودها. و غالبا ما تشكل هذه الأطراف فريقا متعدد التخصصات من أطباء و جراحين و مختصين في تنشيط حركة الجسم و في إعادة التربية. و نظرا لما للإعاقة من آثار نفسية على حياة المعوق فإن الأخصائي النفسي يجد دوما، ضمن الفريق المتدخل في العملية التأهيلية، ما يقدمه و ما يساهم به، علما بأن جهود باقي المختصين قد لا تعطي ثمارها

المرجوة بسبب تردي معنويات الفرد موضوع تدخلاتهم أو لامتناعه من التجاوب معهم على النحو المساعد. و لذلك قد يكون من المفيد لهم الاستعانة بالأخصائي الخبير من أجل تهيئة نفسية المعوق قبل القيام بتدخلاتهم الضرورية معه.

إن توفير خدمات إعادة التأهيل لا يستفيد منها الكثير من المعوقين بسب قلة عدد المراكز التي تقدمها و بُعدها عن أماكن سكناهم. فالبرنامج التأهيلي عادة ما يستغرق تنفيذه وقتا طويلا، و يضطر الفرد المعوق للحضور إلى هذه المراكز بانتظام من أجل المتابعة المتخصصة و إجراء الفحوص الضرورية و القيام بالنشاطات و التدريبات التي تتناسب مع نوع الصعوبات التي يعاني منها، و التي تكون في بعض الأحيان مبرمجة يوميا و تحت الإشراف المباشر للخبير أو المختص.

من هنا كان لا بد من توفير أكبر عدد ممكن من هذه المراكز المتخصصة والمتعددة الخدمات، و كذلك تقريبها من أماكن إقامة هؤلاء المعوقين، تسهيلا لهم لعملية الاستفادة منها و توفيرا لهم الوقت و الجهد و المال، خاصة إذا تذكرنا أن أسر المعوقين دوما تصرف مبالغ من المال تفوق إمكاناتها بسبب وجود الإعاقة مع أحد أفرادها أو أكثر.

و إذا تعذر توفير هذا النوع من المراكز الثابتة في جميع ربوع الأوطان، خاصة في المناطق الوعرة و المعزولة و البعيدة و النائية، فيمكن توفير الخدمة بواسطة مراكز متنقلة تتحرك نحو هؤلاء الأفراد من أجل إسعافهم و مساعدتهم.

و يكون مهما و مفيدا دخول الفرد المعوق في برنامج إعادة التأهيل في مرحلة مبكرة من عمره. إذ أن مثل هذا الإجراء يسمح بتحديد منذ البداية مدى إمكانية محاصرة الإعاقة و تجاوز العقبات الناجمة عنها.

و من الآثار الإيجابية الأخرى التي يخلفها الشروع المبكر في هذه العملية

الأساسيـة، و التي قد يتقرر على ضوء نتائجها مصير الفرد:

1– سهولـة تدارك ما يكون عمليا بالإمكان تداركه، أو تصحيح ما يكون قابلا لعمليـة التصحيح، و ذلك قبل استفحال وضع المعوق أو تطور حالته نحو الأسـوأ أو حتى قبل فوات الأوان.

2– إمكانية الانتقال بالفرد إلى وضع يسمح له أن يعيش حياة أقرب إلى الحياة الطبيعيـة التي يعيشها بقية أفراد المجتمع، وبالتالي يستفيد من كافة الخدمات التي يوفرها المجتمع خاصة الالتحاق بالمدرسة في الوقت المناسب دون الحاجة إلـى تأخيــر.

3– تحريـر الفرد من قبضة الإعاقة بإزاحة العوائق المادية و المعنوية التي تحـول دون ذلك أو بمساعدته على تنميـة كـل آليات التي تساهم بصـورة مباشـرة فـي إخراجه من القوقعة و حالة الانطواء التي تفرضها إعاقته. و الانفتاح على الآخرين أساسي في حياة المعوقين حتى مع ارتفاع تكاليفه من حيث الجهـد المطلـوب بذله و التعب المترتب عنه، على اعتبار أن الانكفاء على الذات يزيد الأمـر تعقيدا، و يترك هؤلاء الأفراد فريسة سهلة لموجة اليأس التي تطغى على الحـوار مع الذات و حديث النفس. ففي هذه الظروف يصبح مـن السهـل على صاحـب الإعاقة أن يقتنع بأن شيئا لن يتغير في حياته و بالتالي لا فائدة من القيام بالمحاولـة. و لعل هذه المسألة نالت حظا أوفر متن المناقشة في الفصل الأول من الكتـاب حيث بينا فيها حاجة المعوق في الإقبال على الناس و الولوج في الحياة لاجتماعيـة من شتى الأبواب المفتوحة، خاصـة و أن استعداد أفـراد المجتمـع للتعـاون معه قابل لأن يُستغل في الاتجاه الإيجابي أو فـي الاتجاه السلبي. فإذا فضـل أن يعيش على هامش المجتمع فإن هؤلاء الأفـراد بكيفيـة أو أخـرى يمدونـه بمـا يحتاج إليه لكن في ذات الوقت يكرسون أمر الواقع و بالأساس استمرار حالة التبعيـة التي ترهن حياته و تحاصر إرادته و دائرة طموحه.

مـن المتوقـع أن تختـار بعض الأسـر مسارات أخرى في التعامـل مــع حالــة

الإعاقـة، و تقف خلف هذه الاختيارات قناعات تدفع الرأي العـام داخـل الأسـرة إليهـا بقصد حماية المعوق أو مساعدته على نحو يتصور الجميع أنه الطريق الأفضـل و الأنجع و أنه يـؤدي إلى النتيجة المرجوة بسرعة أكبر. يجب أن نضيـف أن المصـادر التي ساهمت في صياغة مثل هذه القناعـات ليست دائمـا موثوقـة وذات مصداقية. بل غالبا ما تتمثل في الحديث الشائع بين عامة النـاس الذي يتغـذى من القصص الخرافية و الروايات الخيالية، و في أحسن الأحوال بالاستناد إلـى حالة استثنائية (أو حالتين) اشتهر على لسان الناس و شاع أنها حدثت فعلا كتحسـن مفاجئ، أو شفاء حصل نتيجة القيام ببعض النشاطات و الأعمال المحـددة، أو تدهـور سريـع فـي الصحـة تسبب فيه تدخـل الخبـراء والمختصون...إلخ.

كل هذا يحصل و أكثر منه لأن الأسرة تعيش ضغط الواقع الداخلي فتكون نتيجـة لذلك في عجلة من أمرها كي تمتص آثار تلك الظروف الضاغطـة، كمـا أنهـا تعيش تحت تسلط الإعلام غير الرسمي يوميا من خلال احتكاكها بالأسر الأخـرى، خاصة تلك التي تربطها بها صلة قرابـة، و التي من المتوقع في ثقافتنـا أن يكون لها حضور مكثف يؤثر باستمرار في واقعها، بالإضافة إلى مختلف العلاقـات التي تربط أعضاءها بأفراد المجتمع العام و التي تنتقل بواسطتها أفكار وتصـورات و مشاريع إلى داخل الأسرة، و بالتالي التأثير على هذه الأخيـرة وبصـورة مباشرة أو غير مباشرة توجيه قراراتها و الكثير من الإجراءات التي تتخذهـا. و قد تستغل بعض الأوساط المتخصصة ظروف الأسر التي يوجد بها أفـراد معوقون(مثـل عيـادات طبيـة بالقطـاع الخـاص) فتقوم بتشجيعهـا علـى الالتحـاق ببعض مصالحها كي تُقدم للمعوق خدمات خاصة(عملية جراحيـة، برنامـج إعادة تأهيل متميز...) بدافع قوي للحصول على الربح المادي أكثر منه إسعـاف صاحب الإعاقة. و يكون التشخيص في بعض الأحيان مبالغا فيه عمـدا حتـى تتأثر الأسرة و تسارع للتجاوب مع هذا الخيار.

و هكذا و على ضوء ذلك يتحدد مصير المعوق دون الأخذ بعين الاعتبار الحقائـق المتعلقة بالفرد نفسه، و التي لا تكون بالضرورة متشابهة في أوساط هذه الفئـة. و الأصل أن يتم التعامل مع كل حالة باعتبارها متميزة و فريدة مـا لـم يوجـد ما يؤكـد على وجود أوجـه شبه أو التقاء مـع حالات أخرى، و اعتمـاد الطريقـة التي تتناسب مع المعطيات المستخلصـة من واقعها المباشر بواسطـــة أهــل الخبرة و الاختصاص، و تحديد، ضمن البدائل الواردة، و أصلح برنامج وأنفعهـــا.

من هنا أصبح لزاما على الهيئات المسئولة، و التي يشرف عليها العلماء المختصـون و الخبراء الأكفاء، أن تأخذ على عاتقها كذلك مهمة تنوير هذه الأسر بالأفكـار الصالحة و الآراء السديدة، و تقديم لها المشورة الكاملة فيما له علاقة بالإعاقـة و كيفية احتضانها، و الإجابة على كل الانشغالات و الأسئلة التي تواجها، مـع التركيز على الأولويات و ما يجب بالضرورة القيام به، و التحذير من سلـوك كـل طريق لا ينصح به من هم في مقام تقديم مثل هذه النصيحة. و لا حرج في أن نذكـر نماذج من الأخطاء التي ترتكب في حق المعوقين مع استعراض بالصـور والحقائق المثبتة إن أمكن الآثار التي ترتبت عـن ارتكابها. كـل ذلك من أجـل حمايـة هذه الأسر من كل ابتزاز أو استغلال، و تجنيبها الوقـوع في اختيـارات خاطئـة تكون آثارها وخيمة على المعوق.

كذلك ينبغي أن تقوم الجهات المعنية بحملات توعية من أجل تشجيع المعوقيـن و أسرهم على المشاركة في برامج إعادة التأهيل. و توضيح لهم الكيفية التـي يمكنهم الاستفادة منها، مع تقديم كل التسهيلات فيما له علاقة بالترتيبات الإداريـة وشروط الالتحاق.

و من الممكـن السماح لبعـض الوسائـط الأخـرى، كالجمعيـات الخيريـــة والمنظمــات الإنسانيـة، للمساهمـة بتقديـم خدمات مكملـة تخفف من الأعبــاء والتكاليف و توفر الظروف المريحـة للمعوقيـن و من يصاحبونهم مـن أفـراد أسرهــم

أثناء هذه العملية، مثل التكفل بنقلهم من بيوتهم إلى مراكز إعادة التأهيل، أو ضمان لهم الإيواء المناسب لظروفهم و كل المستلزمات الأخرى التي تكون معهم أثناء متابعتهم برنامج عملية التأهيل...

2- توفير وسائل الدعم

للتخفيف من آثار الإعاقة في حياة الأفراد الذين يعانون منها يتم عادة الاستعانة ببعض الوسائل و الأدوات التي صُممت خصيصا لتتجاوب مع حاجة المعوق حسب طبيعة و نوع الإعاقة. و إن استعمال هذه الوسائل المعينة يساعد على رفع إلى حدود معينة سقف استقلالية المعوق و ذلك بتحسين بعض الوظائف الأساسية كالحركة أو السمع أو البصر... والتي تسهل عليه القيام في حياته اليومية بمهام كثيرة، و المشاركة في أنشطة عديدة داخل الأسرة و خارجها دون الاعتماد الكلي على الآخرين.

و هذا، مما لا شك فيه، يترك آثارا إيجابية في نفسه خاصة عندما يتمكن من الخروج من العزلة التي تفرضها الإعاقة و يفك بعض القيود التي ظلت تكبله كما يستطيع أن ينجز بكفاءة أكبر بعض الأعمال. هذه الوسائل الضرورية التي يساعد استعمالها في إحداث التغيير العميق في حياة الكثيرين من أولئك الذين ألقت بهم إعاقتهم خارج المجتمع النابض بالحيوية و العطاء أو كادت، و تدريجيا سهلت لهم عملية الاندماج من جديد و المشاركة مع باقي أفراد المجتمع في رفع التحديات التي يفرضها الواقع و تحريك عجلة الحياة نحو أوضاع أفضل.. ينبغي توفيرها لكل فرد يحتاج إليها من فئات المعوقين بمختلف درجة معاناتهم. و بما أننا نتحدث عن المواقف الداعمة، فيكون من المفيد أن يتمكن المجتمع من توفير هذه الوسائل بالنوعية و العدد تغطية للحاجة الملحة.

و من السياسات التي يمكن اللجوء إليها لامتصاص هذا الطلب، إنشاء وحدات صناعية تختص في إنتاج هذه المعدات بما يتلاءم مع جنس المعوق و عمره وطبيعة إعاقته و نوعها، مع توفير إمكانية صيانتها و إصلاحها. لا بد أيضا من

تشجيع الكفاءات المبدعة في هذا الميدان الحيوي و الحساس و حفزها للعمل على تطوير هذه الأدوات و إيجاد منها بدائل أنجع، و ربما بكلفة أقل حتى يمكن تقديمها لمن يستعملها بأسعار زهيدة أو ربما مجانيا، و حتى لا نرهن مصير المعوقين، و نتركهم عرضة للاستغلال من قبل الشركات المتعددة الجنسيات وكل الوسائط الأخرى التي لا يهمها سوى الحصول على المزيد من الربح، كما حصل و يحصل بالنسبة للذين يعانون من الأمراض المزمنة، والذين يضطرون أحيانا لشراء بعض الأدوية التي لا يستغنون عنها في سائر أيامهم بأثمان خيالية تُثقل كاهل الأسر، و ربما تضطرها إلى حرمان نفسها و أفرادها من أساسيات ومن أشياء أخرى لا تقل حيوية و أهمية، مثل الأدوات و الكتب المدرسية. لكن عند ترتيب الأولويات يتم إسقاطها لأن دخل هذه الأسر، في ظل غلاء المعيشة الفاحش و زيادة تكاليف الخدمات في كل شؤون الحياة، لا يسمح بأكثر من ذلك.

3- تهيئة المرافق و المسالك للاختراق

إن معاني الاستقلالية لا تكتمل بدون أن يصبح في مقدور الفرد المعوق أن يتحرك داخل المجتمع بحرية أكبر، مستفيدا من كل الفرص المتاحة. و من المساعدات التي يتعيّن على المجتمع تقديمها حتى يصبح ذلك واقعا ملموسا وليس فقط شعارا:

أ- تسهيل الاحتكاك بالبيئة المادية

إن تهيئة البيئة بما يتناسب مع متطلبات حياة أصحاب الإعاقات و العمل على إزالة كل الحواجز و الموانع التي تقف حجر عثرة في وجوههم يجعلها في متناولهم، فيسهل عليهم التحرك خلالها و مباشرة استكشافها و الاستفادة منها. ومن المجالات الحساسة التي يجب أن تشملها مثل هذه التدخلات:

- *توفير وسائل النقل القابلة للاستغلال من قبل هذه الفئة* سواء من حيث وجودها قريبة من مكان سكناهم و كذلك من حيث تجاوبها مع طبيعة مشاكلهم وصعوباتهم. و لتوضيح أبعاد هذا المطلب و نوع الآثار الناجمة عنه، نأخذ مثال

الفرد المعاق حركيا الذي يملك دراجة نارية ذات ثلاث عجلات. فقد ينتقل من بيته إلى مكان الحافلة أو القطار على متن مركبته الخاصة يقودها بنفسه، و يعتبر ذلك من المكاسب النوعية في طريق تحقيق الاستقلالية. لكن حين يصل إلى موقف الحافلة التي يريد أن يستقلها لسفر معين تصادفه عقبة أخرى. فالحافلة التي يريد أن يكمل بها مشواره صُممت بطريقة لا تعطيه فرصة الصعود إليها بنفسه و على متن مركبته. و اللجوء الاضطراري إلى مساعدة الآخرين في هذا الشأن يتسبب له في الإحراج، و قد يُضعف رغبته في القيام مجددا بمثل هذه المحاولات. و لا شك أن إدخال تعديلات بسيطة في طريقة تصميم تلك الحافلات خاصة في الجانب المتعلق بالصعود إليها والنزول منها قد يفتح نوافذ أمل أخرى وآفاقا أوسع أمام هذه الشريحة من المجتمع و يشجعها على مواصلة رفع المزيد من التحديات التي تواجهها حتى تتمكن من الاضطلاع بأدوار مهمة داخل المجتمع و المشاركة الفعلية في إدارة شؤونه.

و توجد اليوم مؤسسات صناعية مختصة في إنتاج، و بتنافسية كبيرة و جودة عالية، وسائل نقل متكيفة مع ذوي الحاجات الخاصة و مختلف فئات المعوقين. واقتناء هذا النوع من الوسائل(المركبات و الحافلات و القطارات) التي تقدم خدمات النقل في آن واحد للأسوياء وأصحاب الإعاقات، هو حل و لو بصفة مؤقتة لهذه المشكلة العويصة.

– ما يقال عن وسائل النقل و ضرورة تصميمها بما يتجاوب مع حاجة المعوق، ينسحب بنفس الحدة على المخطط العمراني بصورة عامة و طريقة بناء المنازل و العمارات السكنية و المدارس و الملاعب و دور الشباب و المراكز الصحية و المستشفيات و المصانع و مختلف المؤسسات الخدماتية و لإدارية ...الخ

و يحتاج المعوق بصورة طبيعية و باستمرار، كباقي أفراد المجتمع، إلى

الاقتراب من هذه المرافق ومن غيرها و زيارتها بانتظام، ذلك أن وجودها اقترن أصلا بحاجات الناس عامة و الفرد المعاق من ضمنهم. و إذا أريد لهذا الأخير فعلا أن يخرج من عزلته، لا بد من تسهيل الانتقال إليها و الاستفادة من خدماتها بأقل التكاليف المادية و المعنوية. لكن يبدو أن مصممي هذه البنايات لم يأخذوا بعين الاعتبار احتياجات فئة المعوقين، و بالتالي لم يكيفوها بما يسهل على هؤلاء الدخول إليها و الخروج منها. فالمعوق الحركي الذي يحاول أن يؤدي واجب العزاء لعائلة فقدت أحد أفرادها، و التي تسكن في الطابق الخامس من عمارة لا تتوفر على مصعد، لا يسعه عمليا القيام بهذا الواجب و المحاولة بصراحة تفوق طاقته. و من السهل تبرير عدم قيامه بهذا الواجب و" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها". لكن السؤال الذي يجب أن يُطرح" هل الفرد المعوق هو الذي اختار العزلة أم أن هذه الأخيرة مفروضة عليه بحكم الواقع، و أنه لا يجد بديلا أفضل منها ؟!! و في مثالنا لو أن العمارة صُممت على نحو يراعي احتياجات هذا الصنف من الناس، و يأخذ في الحسبان نوع الصعوبات التي يجدونها لكان الأمر مختلفا تماما.

إن عملية تيسير الوصول إلى الأماكن و سهولة الولوج إليها و الخروج الآمن منها ظل يعتمد فيه على معايير تتناسب أكثر مع الأفراد الأسوياء و العاديين، وأهملت فيها فئات المعوقين. و كأن هذا يؤشر على وجود تصور مسبق عن الموقع المتواضع الذي يمكن أن يحتله هؤلاء. و بالرجوع إلى ما يجري على أرض الواقع، و متابعة المشاريع المنجزة فيه و التصاميم المعتمدة، يتضح بالفعل أن القناعة الراسخة تحرك نشاط المجتمع العام في اتجاه لا يمنح فرصا كثيرة للمعوقين. و يبقى كل ما يقال في حق هذه الفئة مجرد شعارات جوفاء لا تسمن و لا تغني من جوع.

ب – توفير المعلومات و الاتصال و التواصل

إن العوامل الشخصية للفرد المعوق من وعي و طموح و إرادة و عزيمة

ورغبة، و حرص، هي التي نتوقع، إذا توفرت الظروف المساعدة، أن تساهم في إحداث التغيير الإيجابي في حياته. و بمعنى آخر فإن الظروف البيئية الإيجابية وحدها لا تُحدث التغيير المنشود بدون وجود استعداد الفرد النفسي و الحرص منه على أن يحصل هذا التغيير. فإذا لم يشارك بالقسط الأوفر في مشروع التغيير، فإن النتيجة ستكون متواضعة. لهذا السبب يتعين على المجتمع أن يساعد بواسطة الأسرة و المدرسة و الإعلام في بناء الشخصية القوية التي تحمل مفهوما إيجابيا عن الذات و تزويدها بالمهارات الأساسية التي تمكنها من الغوص في أعماق الحياة الاجتماعية و مد الجسور نحوها دون خوف أو تردد.

هذا النوع من الأفراد تبنيه الفكرة الناضجة و المعلومة الدقيقة و المعرفة العلمية الصحيحة و التجربة الصادقة و الاحتكاك بما يجري على الأرض والتعامل مع الأحداث بكل واقعية و موضوعية، و تحت رعاية إنسانية و إشراف مؤهل يستظل بمشروع مجتمع و بُعد نظر. فلا ينبغي أن نحرمها، بسبب إعاقتها، من المصادر التي تقدم هذه الخبرة. و في حالة تعذر الحصول عليها بطريقة اعتيادية (فقدان حاسة البصر، أو حاسة السمع...) فيكون دور المجتمع العمل على ضمان تقديمها بالطريقة البديلة التي تتناسب مع حالة الفرد و عدم حرمانه من هذا الغذاء الذي لا مستقبل واعد يرتقب بدونه.

وحتى يظل المعوق مرتبطا بالعلم و اكتشافاته، و بمصادر الخبرة و ما صنعته من تطور و ابتكرته من منتجات، و بالمجتمع و أحداثه و كيف يتعايش الناس بعضهم مع بعض محليا و دوليا، لا بد من التأكيد على الخدمات التالية:

– ضرورة توفير إعلام سمعي و مرئي متنوع تستفيد منه فئات المعوقين المختلفة. و أن يتم تقديمه بانتظام، و ألا يقتصر فيه فقط على حصة عرض الأخبار كما يحصل مع فئة الصم و البكم. و ربما حان الوقت أن نبدأ التفكير في إيجاد القنوات الإعلامية المتخصصة في التعامل مع فئة المعوقين. و هذا يؤكد أمرا خطيرا أشرت إليه في الفصول الأولى من الكتاب و هو حاجة المجتمع

الملحة إلى أن يتولى الأفراد من هذه الفئة أنفسهم زمام المبادرة. في هذه الحالة يكون الدافع موجودا و الحاجة معبرا عنها أحسن و أصدق تعبير.

– تنويع من وسائل الاتصال و التواصل و تعميم حسن استخدامها بين أفراد المجتمع عامة. وهذا سوف يسمح لفئة المعوقين بالاندماج في الحياة الاجتماعية بصورة أكبر و الدخول فيها بعمق، كما يعطيهم فرصا أكثر للتعبير عن احتياجاتهم و مشاعرهم و عرض آرائهم و أفكارهم بالطريقة المباشرة و دونما حاجة إلى وساطة. فمحاولة تعميم استعمال لغة الإشارة لتشمل شرائح من الأسوياء أو العاديين، مثلا، من شأنها أن تفتح آفاقا واسعة أمام فئة الصم و تفك عزلتهم داخل المجتمع فضلا عن امتصاصها لشحنات الضغط النفسي و القلق والإحباط التي ظلت حاضرة و تلاحقهم في حياتهم اليومية و تتجدد في كل لحظة وفي كل حين بسبب الانقطاع في التواصل مع الآخرين.

وهذا، في تقديري، لا يصعب تحقيقه على أرض الواقع إذا توفرت القناعة الاجتماعية و الإرادة السياسة. فكما تمكنا من إدخال في مناهجنا التربوية دراسة اللغات الأجنبية و خصصنا لها ساعة أو ساعتين في الأسبوع و التي كان لها تأثير كبير في توجيه العمل التربوي و خط مساراته بحيث أن الإقبال على التخصص في دراسة اللغات الأجنبية تجاوز كل الحدود إلى درجة أن شروطا تنافسية إضافية وُضعت للتمكن من امتصاص الأعداد الهائلة من الطلبة الذين يرغبون في تطوير كفاءتهم في مختلف اللغات خاصة ذات الاستعمال الواسع في العالم المعاصر. يمكننا كذلك إدماج تعلم لغة الإشارة في المدارس وتخصيص ساعة واحدة فقط كل أسبوعين، إلى أن تصبح وسيلة متحكم في استعمالها من قبل عدد متزايد من أفراد المجتمع. إذا حصل هذا على أرض الواقع فإنه في تقديري سيُحدث ثورة في حياة الصم و البكم و في طريقة التعامل معهم و نظرة أفراد المجتمع إليهم، بل و في نظرتهم إلى أنفسهم. إذ يصبح هؤلاء، بسبب التواصل الواسع مع المجتمع أقرب من الجميع و تتضاعف بذلك

إمكانية تعرفهم على المجتمع و تعرف المجتمع عليهم.

-توسيع استخدام طرق الكتابة الخاصة ببعض فئات المعوقين في مجال النشر و الطباعة (طريقة برايل، الطباعة بالحروف الكبيرة...) و توفير لهؤلاء كذلك الصحيفة و المجلة و الكتاب و أن تكون كلها منشورة بالطريقة التي تتجاوب مع إعاقتهم.

و مرة أخرى يمكن في المرحلة الأولى تنشيط بعض الجمعيات الخيرية ذات الطابع الاجتماعي للقيام بمهام تغطية هذا النوع من الخدمات و الإشراف عليها وتحمل تبعاتها و خاصة ما يتعلق منها بأنواع الدعم المعنوي و المادي. و لا شك أن مع الوقت سوف تخضع مثل هذه الخدمات الحساسة لسوق العرض و الطلب وتأخذ بالتالي مكانتها الطبيعية ضمن نشاط مؤسسات النشر و الطباعة المعروفة والتي سوف تتولى ضمن نشاطها الاعتيادي توفيرها بالقدر المطلوب. و ربما سترتبط مصلحتها التجارية الاقتصادية بتنويع المنشورات و المطبوعات بحيث تشمل أصنافا أخرى تجد في الواقع الاجتماعي من يطلبها.

كذلك الحال بالنسبة للتسجيلات الصوتية للأغراض المختلفة و التي يمكن أن تخدم بصفة خاصة ضعاف البصر و المكفوفين، و التي تمكنهم من الحصول على الغذاء الفكري و التربوي الأساسي أو المكمل، و حتى الترفيهي، بواسطة استغلال حاسة السمع.

و لا يكفي توفير هذه الوسائل و هذه المادة على النحو الذي وصفنا بحيث أنها تتجاوب مع الاحتياجات الخاصة، و لكن من المهم كذلك و الضروري وضع كل ذلك، بالكم و النوع، في متناول الأشخاص الذين يحتاجون إليه من دوي العاهات البصرية أو العاهات السمعية أو من الذين يعانون صعوبات و إعاقات حركية، أو من ضعاف العقول و غيرهم، مع تقديم كل التسهيلات التي توفر لهم الجهد والوقت و المال، قصد تشجيعهم على المضي في شق طريق بناء الشخصية المستقلة .. طريق، يجب أن نعترف، محفوف بالأشواك و بكثير من الحواجز

والعقبات، مما يؤكد الحاجة إلى تقديم كل أنواع الدعم حتى يستمر الأفراد المعوقون في الأخذ القوي بزمام المبادرة و عدم الاستسلام للتحديات العنيفة التي تواجههم.

و الآن مع تطور الإعلام الآلي و التكنولوجيا المرافقة أصبح من السهل إيجاد بنك معلومات بطريقة تجعله في متناول المعوقين، و إنتاج برامج مفيدة وموجهة لكل مجموعة حسب إعاقتها[87].

4- توفير التعليم المؤهل: إن مبدأ المساواة في فرص التعليم بين أفراد المجتمع لا يأخذ معناه الحقيقي إلا في ظل فرص متكافئة في الاستفادة منه. ويبدو في الوقت الراهن أن نسبة المستفيدين من خدمات التربية الخاصة تتمركز في أفراد يأتون من أسر غنية أو متيسرة الحال[88]. و لعل هناك خطوات عملية يجب القيام بها لجعل هذا المبدأ بصورة عملية يشمل أيضا فئة المعوقين، ومن أبرزها:

أ- أن يكون تعليم دوي الحاجات الخاصة مشمولا في المخطط العام للنظام التربوي و التعليمي المعتمد في المجتمع و مُندمجا فيه بصورة طبيعية وألا نُخرجه عن هذا السياق مهما كانت المبررات و الحجج، حتى في الحالات الخاصة جدا مثل التي تتقلص معها قدرة إسهام قطاع التربية إلى مستواه الأدنى.

و يعتبر هذا الإجراء حماية لعملية التوفير المستمر لهذه الخدمة الخطيرة في حياة الناس و التي ينبغي أن تخضع لوصاية المؤسسات المؤهلة و للإشراف المباشر للخبراء و المختصين، و ألا تتدخل أطراف أخرى لا تملك هذه المؤهلات في تقرير المصير التربوي لأي عنصر. كما يساعدنا في الوقت ذاته على تفادي كل أشكال التعدد في الوصاية الذي كثيرا ما تسبب في تعطيل الخدمات أو تأخير عملية تقديمها، خاصة في فترة انتقال الفرد من وصاية إلى أخرى.

---

[87]-Charles, R Greenwood and Herbert, J. Rieth (1994).Current dimensions of technology–based assessment in special education.

[88]-Martin Morse Wooster(2001) .Special education needs narrowing.

نعم تدعو الحاجة في بعض الأحيان إلى الاستعانة بإشراف تشارك فيه اختصاصات عدة. و هنا، و حتى نتجنب التعارض و التناقض بين هذه المصالح في تعاملها مع الفرد، يجب تحديد مجال تدخل كل جهة بكل شفافية و دقة لرفع أي التباس في تعيين المسؤوليات و وصف المهام و الواجبات، انطلاقا بطبيعة الحال من الحاجة أو المصلحة التي استدعت مثل هذا التدخل من هذه الجهة أو تلك و تحت إشراف أهل الاختصاص.

عندما يصبح تعليم المعوقين جزءا لا يتجزأ من المنظومة التربوية العامة، فإن التخطيط التربوي الشامل، المبني على معطيات من واقع المجتمع بكافة شرائحه و ما تصبو إليه من تطلعات نحو المستقبل، يتم في وقته الاعتيادي. وبهذه الكيفية نضع حدا للممارسات التي ظلت ترهن حياة مجموعات كبيرة من أفراد المجتمع لسياسة الطوارئ أو العمل الظرفي و المؤقت أو البرامج التطوعية المتقطعة.

ب- أن تعطى للذكور و الإناث نفس الفرص للاستفادة من برامج التربية والتعليم دون أي تمييز جنسي. و هذا يقتضي توفير كل الأسباب و تهيئة كل الظروف المساعدة التي تقطع الطريق على تلك العادات و التقاليد السيئة التي عمّرت طويلا و سادت في العديد من المجتمعات العربية و الإسلامية، و التي بموجبها كانت الأسر و العائلات من مختلف الطبقات تمنع الأنثى من الالتحاق بالمدرسة خوفا من أن يصيبها الأذى أو يدنس شرفها... و لا تسمح بالتعلم خارج البيت إلا للذكر.

و رغم أن هذه الممارسات اختفت بنسبة معتبرة و الذكور و الإناث يتوجهون اليوم إلى المؤسسات التربوية بانتظام و بأعداد متزايدة، إلا أن هذا ينسحب في الوقت الحاضر على الأطفال الأسوياء و لا يشمل فئة المعوقين إلا قليلا. والمنطق البسيط الذي تحتكم إليه العائلة في عدم السماح للفتاة المعوقة

بالتمدرس هو أنها أنثى و أنها معوقة بمستوى من العجز. و كأن عامل الإعاقة هو مبرر ظهر مساعدا للأسرة في استرجاع "حق" منع الأنثى من الذهاب إلى المدرسة. فلا بد من مزيد من التوعية و إبراز فوائد التعلم و كيف يمكن تسخير آثاره لتحسين وضع المعوقين ذكورا و إناثا، مع تعميم إلزامية التعليم لتشمل الجنسين.

ج- أن تنفتح المؤسسات التربوية على كل أنواع الإعاقات و على مختلف درجات العجز التي تنجم عنها ما وجدت إلى ذلك سبيلا. فالملاحظ عادة هو الاهتمام النسبي بالأفراد الذين يعانون من عجز خفيف انطلاقا من سهولة التعامل معهم و عدم وجود عقبات و موانع و إهمال ذوي الإعاقات الشديدة الذين يتطلب إدماجهم في العملية التربوية إجراءات إضافية و جهدا مضاعفا. و ربما تخضع هذه التوجهات إلى انطباعات و أحكام سطحية غير مبنية على تحريات موضوعية.

د- في حالة اللجوء إلى البرامج المكيفة مع خصائص بعض الفئات عند الحاجة ينبغي أن تعكس المستوى المعياري المتداول و النوعية المطلوبة في الخدمة المقدمة، بحيث لا تقل عن تلك التي يستفيد منها العاديون خاصة في طبيعة نواتجها و الأهداف التي تسعى لتحقيقها، حتى مع وجود الاختلاف في محتوى هذه البرامج و في طريقة تقديمها[89].

هـ- عقلانية استغلال الوقت: إن تربية الأفراد الذين يعرفون بعجز معين عادة تتطلب وقتا أطول نسبيا مما تستغرقه تربية الفئة العادية. و حتى تتحقق الأهداف المرجوة بدون تأخر كبير لا بد من استعمال الوقت المتاح للتربية أحسن استعمال. و بما أن الفترة المدرسية تأخذ وقتا طويلا فقد نضطر مع هذه الفئة تمديد المدة أكثر. لهذا السبب فإن شحن السنوات المبكرة للطفولة التي تظل غير

---

[89]-Chester , E.Finn (1996) .Corrupting Intentions : reforming special education.

مستغلة بالأنشطة الهادفة يفضل على تمديد الفترة التكوينية فيما بعد، لأن التمديد في الفترة التكوينية يتسبب في تأخير دخول الفرد في الحياة الاجتماعية بالمشاركة الإيجابية و المساهمة الفعلية التي من المتوقع أن تكون في مستوى أعلى حين يكون في عنفوان شبابه وأوج قوته.

و على صعيد تقني فإن السنوات لا تعادل بعضها و لا تشبه بعضها. فالسنوات الأولى مثلا تتميز فيها الشخصية الإنسانية عامة بالمرونة على أكثر من وجه بحيث يكون سهلا و ميسرا أثناءها الدخول في عملية الاكتساب و التعلم الواسعة، وتحقيق من النتائج ذات الآثار المصيرية على حياة الفرد المستقبلية بالكثافة والنوعية ما يتعذر إنجازه بعدها.

هناك ناحية أخرى لا تقل أهمية تستفيد من تدخل الإشراف الهادف في مرحلة مبكرة من عمر الفرد المعوق و تتمثل في الحيلولة دون تكوين العادات و الأنماط من الاستجابة غير المناسبة و التي يصعب فيما بعد مواجهتها و القضاء عليها سواء من خلال تقديم النماذج المناسبة بهدف محاكاتها و الاقتداء بها أو بالتشجيع المباشر على بناء عادات طيبة مقبولة اجتماعيا أو بالتصحيح المستمر للأخطاء التي تظهر(حركات خاطئة، طريقة إخراج الأصوات غير الطبيعية، عادات سلوكية تتعثر بسببها العملية الاتصالية التواصلية...إلخ).

و مع ذلك من الضروري التنبيه على أن عامل النضج مهم جدا كأساس تستند عليه عملية التعلم. بعبارة أخرى لا يمكن التبكير بهذه العملية قبل أن يتحقق الفرد بمستوى من النضج. و قد باءت محاولات تعليم الأطفال الصم القراءة على الشفاه بالفشل في سن لا يملك الطفل العادي النطق الصحيح بالكلمات.

بالعودة إلى الإشكال المطروح أيّ المدرسة تكون أنفع للمعوقين ينبغي ملاحظة أن التأكيد على ضرورة إلحاقهم بالمدارس العادية كلما كان ذلك ممكنا هي مسألة عامة في أوساط المربين و قناعة ثابتة لدى الجميع و لو أنها في الواقع لا تقدم و لا تؤخر بسبب طبيعتها المطاطية التي تعترف لكل موقف

يُسجل، مهما كان نوعه، بشرعيته و مصداقيته و تعتبر أن معطيات الواقع وحقائقه تبرره.

و ما يجب التنبيه عليه هو أن اللجوء إلى خدمات المدرسة الخاصة يصبح أمرا بديهيا وخيارا لا بديل عنه عندما تكون هناك حاجة إلى معالجة خاصة أو حاجة إلى تجهيزات وهياكل وبناءات خاصة أو حاجة إلى طرق تدريس وأساليب تعامل خاصة (لغة الإشارة، برايل، طرق مكيفة مع المعوقين ذهنيا...) أو حاجة إلى إيجاد بيئة تعلم خاصة نتجاوب بها مع خصائص الأفراد الذين نتعامل معهم.

و من حسنات المدرسة الخاصة أنها تسمح بتجميع الأجهزة الضرورية والوسائل المساعدة و المصادر التي يمكن الاستعانة بها على صعيد واحد وهيكلة و تنظيم الاستفادة منها. في الوقت نفسه تسهل استغلال خبرة الأطباء والأخصائيين النفسيين و غيرهم من الخبراء الذين من الممكن أن ترتب لهم الزيارات الدورية لمتابعة أحوال الأفراد موضوع الرعاية و الإشراف التربوي الذين يتجمعون في مؤسسة تربوية خاصة. كما أن هذا الإجراء يعفي الأطفال من الزيارات المكثفة للعيادات و يرفع من مستوى التعاون و التفهم المتبادل بين فريق المعلمين و فريق الخبراء.

بالإضافة إلى ما ذكرنا توجد مظاهر أخرى لها علاقة بالمدرسة الخاصة هي أكثر أهمية و التي قد نحرم من استفادتها عندما نعتمد البديل الآخر المتمثل في متابعة المعوق دراسته في المؤسسة التربوية العادية.

1- ظروف المؤسسة التربوية الخاصة تسمح بضمان استمرارية التربية وتعميق معرفتنا بالطفل و فهمنا لسلوكه. و قد لا يكون صعبا التبكير بها والانطلاق فيها قبل سن التمدرس المعتاد.

2- يسهل تحديد بدقة و شفافية الأهداف التي تخدم المعوقين و تخطيط تلك العملية التربوية المناسبة في صورتها المستمرة و المتدرجة مع إدخال تلك الأبعاد و العناصر التي يكون من المفيد الاهتمام بها و التركيز عليها، خاصة ما يساعد منها على إعداد هؤلاء الأفراد للحياة المهنية إعدادا جيدا.

3- إمكانية اكتساب الفريق المشرف في ظروف المدرسة الخاصة معرفة متميزة و خبرة دقيقة حول المشاكل و الصعوبات التي يواجهها المعوقون و كذلك الطرق الأكثر تأثيرا عليهم.

4- إتاحة فرص للمشرفين الاحتكاك المكثف و المباشر و القريب بالتلميذ المعوق و أفراد أسرته و ما يمكن أن يعود به من فوائد على عملية الإشراف خاصة فيما له علاقة بتنسيق الجهود و تحقيق التكامل بين الأطراف الأساسية المعنية بمصير صاحب الإعاقة.

5- التخفيف من الضغوط التي تؤدي إليها المحاولة المستمرة للالتحاق بالركب و التحقق بمستويات الآخرين في منافسة غير متكافئة بين التلاميذ العاديين و التلاميذ المعوقين.

6- التحرر من الشعور بالدونية الذي يستثيره الاحتكاك المباشر بالتلاميذ العاديين.

من ناحية أخرى لا بد أن نشير كذلك إلى أن في استطاعتنا الاحتفاظ بكثير من هذه الإيجابيات و جني هذه الفوائد داخل مدارس عادية باللجوء إلى الأقسام الخاصة و وحدات تربوية تضم تلاميذ معوقين موزعين في مجموعات متجانسة. و إذا توفرت الظروف المساعدة على ذلك، فإننا نتجاوز بعض الآثار السلبية التي تخلفها عملية عزل الأطفال المعوقين الكامل عن باقي المجتمع حين نوجههم اضطرارا إلى المدارس الخاصة. الاختيار الذي قد يبعدهم عن مصادر الاستثارة الدافعة، كما يفوت عليهم فرص تطوير الاهتمامات و تعميق التربية الاجتماعية، خاصة عندما يكلفهم الانتقال بعيدا عن أحياء السكن التي تقطن بها

عائلاتهم و يحرمهم من بناء علاقات صداقة محلية بحيث لا يسعهم أن يستمتعوا بمثل هكذا علاقات إلا حين يكونون داخل المؤسسة. و بمجرد ما يترك المعوق هذه الأخيرة و يعود إلى بيته تنقطع هذه الصلة و تنقطع معها كل المظاهر الإيجابية التي تنشأ عادة من التفاعل الطبيعي للأفراد داخل الجماعة. و يمكن بسهولة تحسس الآثار النفسية التي تتركها يوميا تجربة الالتحاق بالجماعة التي يعرف أفرادها و يألفهم و يأنس بالبقاء معهم ثم بعد ساعات قليلة ينفصل عنهم دون رغبة منه ليعود إلى مكان لا وجود فيه لآثار الجماعة بهذا المعنى.

ينبغي أن نتذكر كذلك بأن هذا التحرك اليومي نحو المؤسسة من أجل متابعة الدراسة الذي فرضه الواقع الاجتماعي يكلف صاحب الإعاقة جهدا إضافيا خاصا و وقتا معتبرا يُقتطع من حياته و لا يستثمر بطريقة مباشرة فيما يمكن أن يعود عليه بالنفع. و هو في وضع غير مريح إذا ما قارناه بظروف التلميذ الذي يتواجد بالمدرسة العادية.

إن السلبيات التي ترافق العمل بهذا الاختيار يمكن تعويض ما ينجم عنها من آثار عكسية و امتصاصها أو التخفيف منها لو أن المؤسسة الخاصة تقدم لهؤلاء الأطفال المساعدة الخاصة التي يحتاجون إليها و التي لا تتحقق لهم خارج هذا الإطار.

بالرغم من أننا نتحدث عادة عن فئات من المعوقين انطلاقا من مظهر الإعاقة العام الذي يميزها(فئة المكفوفين، فئة الصم و البكم، فئة ضعاف العقول، فئة الاضطراب اللغوي،...)، إلا أننا عند متابعة أحوال كل فئة و التأمل في خصائص الأفراد الذين ينضوون تحتها فإننا نلاحظ أن كل عنصر منهم يشكل حالة قائمة بذاتها يتطلب التعامل معها طريقة خاصة و أسلوبا متميزا.

و في كل الأحوال عندما تُصوّبُ الجهود و تتجه نحو تمكين المعوق من الاستقلالية بالحد الذي يتوافق مع ما يملك من قدرات، فإن المكان الذي يتواجد

بـه مـن أجل ذلك لا يؤثر بالمظاهر الخاصة أو العامة التي يتميز بها. بل إن هذه الأخيـرة تصبح بالنسبـة لصاحـب الإعاقة كأنهـا غيـر موجودة أمـام مـا يجنيـه فـي هـذا المكان من فوائد عملية يشعر كل يوم بأنه في تقدم و تحسن و تطور.

و من العوامل داخل المؤسسة التربوية التي تدفع بطبيعتها في اتجاه نمو الاستقلالية من حيث الآثار التي تخلفها:

1- نمو المعارف: حيث أن بزيادة حجم المعارف كما و نوعا فإن الطفل ينمـي مصـادر المبـادرة و يعددهـا. و يكفـي أن نقـارن بيـن مـن يستطيـع القـراءة ويستفيد مما يقرأ و من لا يعرف القراءة مطلقا لنرى حجم التبعيـة الذي يسقط باكتسـاب هذه المهارة و مدى ما يحدثه وجودها في حياة الفرد و ماذا ينجم عن غيابهـا. و في الإطـار الاجتماعي لا يفيد التقليد صاحبه إذا لم يؤدي في النهايـة إلى اكتساب قواعد و مبادئ تساعده على حل مشاكلـه و مواجهـة مـا قد يعترض طريقـه مـن صعوبات و عقبات.

2- تنميـة الاهتمامـات و تطويرهـا: على اعتبـار أن الاهتمامات و الحاجات والميـول هـي مصـادر قويـة تدفـع نحـو المبـادرة. و المبـادرة كيف ما كانت تعتبـر البـاب الطبيعي الذي يـؤدي فتحـه و الولـوج منـه إلى الاستقـلال و الحريـة. و غيـاب هذه العناصـر في المشهد التربـوي الذي يكـون المعـوق أحد أطرافـه يساعد على الانسحـاب و الانطـواء و تبنـي الموقف السلبي.

3- أهميـة النشـاط داخـل القسم تظهـر أكثـر بالنسبـة للأطفـال المعوقيـن، لأن الأطفـال العاديين لهـم فـرص أخـرى كثيـرة خـارج المدرسـة تنتظرهـم ليمارسـوا فيهـا أنشطـة حرة متنوعـة. و بالتالي إذا افتقرت الأقسـام إلى بعض هذه الأنشطـة فـلا يمثـل ذلك حرمانـا بالنسبة إليهم مـا دام يستطيعون التعويض عنـه لاحقا. الأمـر بالنسبـة للمعوقيـن يختلف. فهـم حيـن يخرجـون مـن المدرسـة يعـودون إلى بيوتهم التي لا تتوفـر على الظـروف المساعدة على النشـاط، لا مـن حيث الأفراد الذيـن يمكنهـم الدخـول معهم في مثـل هذه الأنشطة و لا من حيث الجو العـام السائد داخل

الأسرة و لا من حيث الظروف المادية. و في الغالب يعيشون حياة العزلة والانطواء إلى حين يعودون إلى المدرسة.

5- توفير فرص الالتحاق بالعمل

تجنيد المجتمع لكل الإمكانات، من أجل الوصول إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من المعوقين في عالم الشغل، لا يقل أهمية عن كل ما سبق التأكيد عليه من واجباته نحو هذه الفئة.

إن صاحب الإعاقة لا تتحقق استقلاليته فقط بتنوير عقله و تطوير قدراته وتزويده بالمهارات. و لا تكتمل معاني الاستقلالية الفعلية قبل أن يجد المجال الذي يستطيع عن طريقه تسخير بعض ما أصبح في مقدوره تقديمه للآخرين. وهذا يعني الحاجة إلى القيام بوظيفة يملك مقومات مزاولتها، أو ممارسة عمل منتج و مربح يعود عليه و على أسرته و مجتمعه بالفائدة.

و من التدابير التي يمكن للمجتمع اتخاذها بهدف التوسيع من دائرة حصول المعوقين على مناصب عمل:

1- توفير الغطاء القانوني الذي يحمي المعوقين من التمييز في ميدان التوظيف و التشغيل و الذي يجب كذلك أن يساهم في رفع الحواجز و العراقيل التي تقف في وجه تشغيلهم.

2- تنمية قدرات الأفراد المعاقين و تطوير مهاراتهم بواسطة البرامج التدريبية المهنية بما يسمح لهم بالتحقق بالكفاءة المنافسة التي تمكنهم من اقتحام سوق عمل لا ترحم.

3- تجنيد كل الطاقات بالتعاون مع المؤسسات الاجتماعية و التربوية والإعلامية في توعية أفراد المجتمع و توجيه الرأي العام فيه من أجل التعاون جميعا، كل في موقعه، و كل حسب مسؤوليته و ما يستطيع فعله، على فك الحصار المضروب على هؤلاء المواطنين ذوي الاحتياجات الخاصة – الذين لم يختاروا هذا المصير و إنما هو قدرهم – بفتح الأبواب أمامهم و تشجيعهم على

تطوير مشاريعهم و مواصلة تجسيد اختياراتهم على أرض الواقع، مع التركيز في حملات التوعية بشكل خاص على كيفية تنظيم المساعدات التي تُقدم بكل سخاء لهذه الفئات من عامة الناس و خاصتهم، و توجيهها الوجهة الصحيحة التي تُعبّد الطريق و تهيئ الأرضية و المناخ و الظروف لمستقبل ينعم فيه المعوقون بحياة كريمة، يشعرون فيها بسعادة أكبر خاصة بعد خروجهم من سجن الخيار الوحيد الذي حشروا فيه و المتمثل في تبعيتهم الكاملة لما يتفضل به الآخرون من معونات و مساعدات.

4- ضرورة الإبقاء على سياسة رعاية بعض الامتيازات الموجهة خصيصا للمعوقين. القصد منها تقليص الهوة بينهم و بين الأفراد العاديين و ضمان عمليا التكافؤ في الفرص المتاحة. و يمكن أن يندرج ذلك ضمن عملية تعويض مرتبطة أصلا بطبيعة إعاقتهم، لا غنى لهم عنها، أو دعم يوفرون به الحد الأدنى الذي يسمح لمبادرات الأفراد بعد ذلك أن تؤتي أكلها. وهناك بدائل عديدة يمكن اللجوء إليها حسب أحوال المعوقين و ظروفهم، نذكر من بينها:

أ-حجز بعض الوظائف و جعل التنافس للحصول عليها بين المعوقين أنفسهم دون مشاركة الأسوياء. و لا شك أن نوع هذه الوظائف المحجوزة لهذه الفئة هو الذي سوف يحدد من من المعوقين يكون مؤهلا للدخول في هذه المنافسة.

إن اعتماد هذه الطريقة في دمج نسبة من المعوقين في عالم الشغل حقق نتائج إيجابية و أعطى فرصة تسجيل حضور ميداني له قيمته الاجتماعية و سمح لكثير من الأفراد أن يغيروا مجرى حياتهم و بناء أسر و تأسيس لحياة أكثر استقرارا. لكن هذه المكاسب جاءت في كثير من الأحيان على حساب المنطق الاقتصادي وقواعده. بدليل أن هذا الاختيار ظل مرتبطا ارتباطا كليا بوظائف و مناصب عمل توفرها المؤسسات العمومية التي تشرف عليها الدولة. و نتيجة التحولات الاقتصادية الشاملة و الانفتاح على الأسواق الخارجية، و تخلي الدولة عن الإشراف المباشر على القطاع الاقتصادي، اضطرت مثل هذه المؤسسات

المخصصة لذوي الحاجات أن تغلق أبوابها لعدم قدرتها على المنافسة.

ب- تخصيص نسبة من الوظائف و مناصب العمل المتوفرة و منحها للمعوقين مع تقديم حوافز مشجعة لكل الذين يقبلون بتشغيلهم، مثل التخفيض في الضرائب و المستحقات الجبائية الأخرى، أو إذا اقتضى الحال تقاسم معهم الأعباء المترتبة عن هذا التشغيل.

ج- منحهم قروض مالية ينجزون بها مشاريع اقتصادية تخرجهم من دائرة الحرج الاجتماعي وتعود عليهم وعلى أسرهم بالخير.

د- و تبقى المنحة المقدمة مباشرة للفرد المعوق بسبب وجود الإعاقة هي وسيلة أخرى لها أهميتها في التخفيف من بعض معاناته لا ينبغي حرمانه منها حتى في حالة استفادته من منصب عمل إذا لم يقرر بنفسه عدم أخذها لشعوره بإمكانية الاستغناء عنها. و المبررات للإبقاء عليها كثيرة، من أهمها التكاليف الإضافية المرهقة التي تتحملها هذه الفئة و عائلاتها بسبب وجود الإعاقة.

6- دمج المعوق عمليا

إن انتقال فئة المعوقين من حياة العزلة التي فرضتها الإعاقة إلى حياة اجتماعية مندمجة بالكامل قدر الإمكان لا يتحقق دون تضافر جهود المؤسسة التربوية و الأسرة و المجتمع.

تعرضنا في الفقرة السابقة إلى ما يمكن أن يقوم به المجتمع من أجل دفع هذه الفئة إلى التحرر من قبضة إعاقتها و الدخول إلى الحياة الاجتماعية بمشاركة إيجابية. أما المؤسسة التربوية فتكون مساهمتها متمثلة في:

1- إعداد و تدريب مربين مهرة يحسنون التعامل مع مفهوم الحاجات التعليمية الخاصة، و يتجاوبون بسلاسة مع مظاهر الفروق الفردية التي هي أوسع و أدق مما هي عليه في صفوف التلاميذ العاديين، و المترجمة في قدرتهم على انتقاء أحسن و أفضل الوسائل الممكنة للتعامل مع كل حالة حسب ظروفها

وانطلاقا من حاجاتها[90].

2- عدم التركيز على حاضر هؤلاء فقط بل و محاولة إعدادهم لمرحلة ما بعد تخرجهم من هذه المؤسسات خاصة من حيث تعايشهم مع العجز و العاهة التي تلازمهم و القدرة على رفع التحديات التي سوف تواجههم بسببها، و من حيث توافقهم العام مع المجتمع، و كذلك و باهتمام خاص إعدادهم لدخول عالم الشغل والامتهان.

أما على صعيد الأسرة، فإن ما يساعد المعوقين أكثر على الاندماج في المجتمع الواسع هو معاينتهم عملية الاندماج داخل أسرهم بداية. يتحقق ذلك حين يشعرون بقبول الآباء غير المشروط لهم، و بانتمائهم الطبيعي للكيان الأسري الذي يُعبر عنه بمظاهر شتى من إبداء الرأي عند الضرورة، و تقديم الاستشارة حين تُطلب منهم، و التجنّد مع باقي الأعضاء في حالة وجود صعوبات أو تحديات، و تسجيل القلق و الخوف عند قيام أسباب داخلية أو خارجية تهدد مصير الأسرة...الخ.

و لعل ما يطمئنهم أكثر التوافق الأسري العام الذي يستفيد جميع الأفراد في ظله بالحياة المستقرة التي تساعد كل واحد منهم على القيام بالمهام المنوطة به في تناغم تام مع ما يقوم به الآخرون، علما بأن صاحب الإعاقة يتميز بحساسية كبيرة تجاه كل شيء يظهر غير طبيعي في المحيط الذي يتحرك فيه، و خاصة الخلافات الزوجية المعلنة، و التي يميل في الغالب، نظرا لظروفه النفسية والاجتماعية، إلى تأويلها تأويلا سلبيا يولد عنده مزيدا من القلق و التوتر.

[90] - اليونسكو : استعراض الحالة الراهنة للتربية الخاصة ، 1988

خلاصة

عندما أكدنا على حاجة الأفراد المعوقين إلى التحكم في مصيرهم و مباشرة إدارة شؤون حياتهم بأنفسهم بالقدر الذي يملكونه من وسائل و إمكانات و قدرات، وضرورة الحرص على تنمية و تطوير هذه الأخيرة إلى حدودها القصوى، فالمقصود بالدرجة الأولى هو تفعيل العملية الاندماجية الايجابية لهذه الفئة من أفراد المجتمع لتصبح مصدر قوة تعود بالفائدة على صاحب الإعاقة و على المجتمع. و بذلك نتجاوز سياسة رفع الشعارات بالتركيز على الأهداف و إهمال أدوات و طرق تحقيقها في مسألة إنسانية حساسة كهذه التي تأبى هذا النوع من الهروب إلى الأمام. لكن في الوقت ذاته لم نسعى لتهميش دور المجتمع الأساسي و الخطير تجاه أفراده، ذلك أن قوة الفرد المعوق التي نريد أن يستمد المجتمع بعض قوته منها، هي بذاتها ثمرة جهود متواصلة و متضافرة لعدد من المؤسسات داخل المجتمع. و ما كان ممكنا أن تصبح واقعا ملموسا لو تخلّفت هذه الأطراف في أداء ما عليها من واجبات تجاه هذا الفرد. كل ما في الأمر أن عملية تقديم هذه الخدمة الضرورية تحتاج إلى هيكلة و إلى توجيه حتى نتمكن جميعا من الخروج من الحلقة المفرغة و من تصويب الجهود المبذولة بما يساعد على إيجاد واقع اجتماعي يحفظ كرامة جميع أفراده بمنحهم نفس الفرص للإسهام و المشاركة دون أي تمييز أو إقصاء.

الخاتمة

إن الغرض من هذه الجولة مع فئة المعوقين لم يكن في حقيقة الأمر يهدف إلى عرض بالتفصيل مشاكل خاصة بهؤلاء أو محاولة اقتراح حلول لها أو تقييم طرق لمعالجتها، أو حتى إلى طرح أسئلة محددة تحمل بعض الانشغالات الواقعية و تقديم إجابة شافية لها. إنما كان الهدف منها تسليط الضوء على هذه الشريحة بالتركيز أساسا على علاقتها مع نفسها و تلك التي تربطها بالمجتمع والمجسدة في الاتجاه والقناعة والسلوك والموقف.

أما جوهر الرسالة التي احتضنتها فصول الكتاب و فقراته فتمثل في محاولة إبراز أهمية دخول صاحب الإعاقة معترك الحياة من أوسع أبوابه التي يمكنه الولوج منها، و الأخذ بزمام المبادرة فيما يتصل بتقرير مصيره ما وجد إلى ذلك سبيلا، و التركيز على حاجته إلى المشاركة و الإسهام الإيجابيين في إيجاد بيئة اجتماعية بالشروط و المواصفات التي تضمن إمكانية توفير الفرص للعيش الكريم الذي يكون فيه طرفا فاعلا و عنوانا بارزا غير قابل للتهميش.

و حتى يتحقق هذا المشروع الواعد على أرض الواقع، و هو في ظاهره أقرب إلى حلم، لا بد من وجود العنصر البشري الذي يؤمن بإمكانية تجسيده. و هذا في حد ذاته يتطلب تغييرا على مستوى شخصية الفرد المعوق نفسه، التغيير الذي يشمل نظرته إلى الحياة برمتها و طريقة تفكيره فيها و اتجاهاته و استعداداته النفسية و كل ما يحمله من أفكار و قناعات مما يمكن أن يعرقل أو يعطل السير في هذا الاتجاه الجديد. و أن ينطلق في بناء علاقات مع أفراد المجتمع و مدّ جسور نحوهم و تكثيف الاحتكاك بهم، بالاستناد و الرجوع إلى ما تبلور من تصورات و رؤى خاصة تستوعب مظاهر اليأس و القنوط و تحاصرها، و تحمل للمستقبل معاني الأمل، و ذلك من أجل تحديد موقع بينهم يكفل له وجودا قويا يستقل فيه بدوره المتميز الذي سوف يضطره إلى الخروج من سجن الإعاقة

الذي وضـع نفسه فيه، و إلى التحرر من ذل تبعيـة البشر للبشر الذي خضـع لـه نتيجـة افتقاره إلى قناعـة يقينيـة بأن عجزه يمكـن تجـاوزه، كمـا أن ضـعفـه لا يمنـع مـن تسجيل حضـوره بمشاركتـه و تقديـم مساهمتـه إذا أراد ذلك سـواء باستخـدام قدرات يتوفر عليهـا أصـلا أو بالعمل علـى اكتسابهـا عن طريق التعلم و التمرس. فمظهـر الإعاقـة يطغـى علـى حياتـه فقط عندمـا "يلغـي" المظاهر الإيجابيـة التي تتميز بهـا شخصيتـه و كـل الرصيد الذي في حوزتـه و لا يحـاول التركيز عليهـا مـن أجـل استغلالهـا. هذا الإقبـال القوي و الهـادف علـى المجتمـع يمثـل بالنسبـة لفئـة المعوقين منعطفا جديـدا لا يملك المجتمع سوى أن يتجـاوب مـع متطلباتـه و يخضـع لشروطـه، و لـو أن دعمـا ماديـا و معنويـا مـن قبلـه سيسهـل لا شـك هـذا الانتقال النوعـي فـي حيـاة هؤلاء الأفراد الذين عاشـوا على هامـش الوجـود البشري و في عـداد المفقودين.

مصادر و مراجع الكتاب

المصادر

1- القرآن الكريم

2- الحديث النبوي الشريف

المراجع

أ- المراجع باللغة العربية

1- سيد قطب "**في ظلال القرآن**" المجلد الخامس، دار الشروق، الطبعة العاشرة 1402هـ -1982م.

2- محمد أمين المصري " **لمحات في وسائل التربية الإسلامية و غاياتها**"، دار الفكر، بدون تاريخ الطبع.

3- محمد الغزالي "**جدد حياتك**" دار البعث بقسنطينة، الطبعة الثالثة، 1406هـ - 1986 م.

4- محمد الغزالي " **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**" دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ،1403هـ-1983م.

5- يوسف القرضاوي " **الحلال و الحرام في الإسلام** " المكتب الإسلامي ، الطبعة السابعة، 1.973

6- اليونسكو: **استعراض الحالة الراهنة للتربية الخاصة.** 1988.

7- فتحي السيد عبد الرحيم و حليم السعيد بشاي" **سيكولوجية الأطفال غير العاديين: استراتيجيات التربية الخاصة**" الجزء الأول، دار القلم، الكويت، 1982، ط. 2، ص. 16.

8- فتحي السيد عبد الرحيم و حليم السعيد بشاي " **سيكولوجية الأطفال غير**

العاديين: استراتيجيات التربية الخاصة"، دار القلم ، الكويت، 1982، ط. 2، الجزء الثاني، ص.11.

ب- المراجع باللغة الأجنبية

1- Bazerman , M. H , Tenbruskel , A. E and Wade Benzoni, K.**(1998)** "**Negociating with yourself and losing: Making decisions with competing internal preferences**". Academy of Management Review, 23(2) pp.225-241.

2- Benn, R **(2000)** " **The genesis of active citizenship in the learning society** " Studies in the Education of adults , 32 (2) . pp.241-256.

3-Bonnett , M and Newsom , R **(1995)** " **Education and empowerment : confronting beliefs and attitudes to promote learning** ". Adult Learning 7 (1) pp.9-10, 27.

4-Borger, R and Seaborne, A. E. M **(1976)** " **the psychology of learning** " penguin books.

5-Bouchard, P **(1997)** " **Human capital as ideology** " In D.Plumb (Ed) " Proceedings of the 16th Annual Conference of the Canadian association of the study of Adult Education , pp.31-36. St John's , N.F. Memorial University.

6- Bower ,E . M **(1970)** " **Mental health** " In R. Ebel (Ed) " **Enyclopedia of educational research** " (4th edition) New York: Mac Millan , pp.811-28.

7- Bowlby , J **(1953)** " **Child care and the growth of love** " Penguin Books.

8- Burnett, S. (2004) " **Special education scores still too low** " Darly Herald , August 19.

9- Casey, M, Casey, P. (1997) " **Self esteem as an aid to acquiring conflict management skills**" Australian Journal of Adult and Community Education ,37(3)pp.160-166.

10- Catherine Clark , Alan Dyson, Alan Millward (1998) " **Theorising special education** " Routledge.

11-Greenwood, C.R. and Rieth, H.J. (1994) "**Current dimensions of technology–based assessment in special education** " Jr.Exceptional Education" Vol.61.

12-Clarizio, H.F.and Mc Coy, G.F. (1976) " **Behavior disorders in children** " . 2nd Edition, Thomas, Y. Crowell Company , New York.

13- Collins , C. (2001) " **Developing critical consciousness : a personal reflection** " Canadian Journal for the study of Adult Education, 15(1) pp.88-103.

14- Coopersmith , S. (1967) " **The antecedents of self-esteem** " San Francisco : Freeman.

15- Mc Cord, W. and Mc Cord, J. (1959) " **The Origins of crime: A New evaluation of the Cambridge–Somerville Youth study** " Columbia University Press.

16- Christoplos, F. and Renz, P.A. (1969) " **A Critical Examination of Special Education Programs** " Journal of Special Education , 3, pp.371-379

17- Diggory, J. C. (1966) " **Self-evaluation : concepts and studies** " New York: John Wiley and Sons.

18- Dolley, J. (1995) " **Developing self-esteem through building on skills** " Adults Learning, 6 (10) pp.293-294.

19- Felker,D.W. (1974) " **Building positive self-concepts** " Minneapolis, Minn : Burgess Publishing company.

20- Finn, C. E. (1996) " **Corrupting Intentions: reforming special education** " National Review, Vol 48, March 11.

21- Gallagher, J . J. (1971) " **The future Special education system** " In E. Meyen (Edition) "**The Missouri Conference on the Categorical-non Categorical Issue in Special Education** " Columbia, Mo, University of Missouri.

22- Ginsberg, E., Ginsburg, S. W., Axelrad, S., & Herma, J. L.(1951). " **Occupational choice : An approach to a general theory**".Columbia University Press : New York.

23- Gordon, E. E. Morgan , R.R. and Ponticell , J. A. (1995) "**The individualized training alternative**" Training and Development , 49(9) pp.52-60.

24- Gulliford, R. (1976) " **Special educational needs** " Routledge and Kegan Paul , London and Henley, pp.4-5.

25- Loughlin, K. (1996) " **Learning to change: New Dimensions** " Autralian Journal of Adult and community education, 36(1)54 61

26- Martin, E.W. (1976) " **Integration of the handicapped child Into regular schools", In "Mainstreaming Origin and implications** " Minnesota Education, 2(2), pp.5-7.

27- Maslow, A.H. (1954) " **Motivation and Personality** " N.Y. Harper.

28- Reuchlin, M. (1972) " **Traité de psychologie appliquée: diagnostic des handicaps et réducation** " Presses Universitaires de France, pp.20-30.

29-Reynolds, M. C. and Davis, M. D. (1971) Eds "**Exceptional children in regular classrooms** " Minneapolis, University of Minnesota.pp.51-63.

30- Rosenberg, M. (1965) " **Society and the adolescent self-image** " Princeton , N.J. : Princeton University Press.

31 - Rosent , L. (1979) " **L'Hospitalisation des enfant**s " , Presses Universitaires Françaises, Paris. Que Sais-je.

32- Rutter,M. (1972) " **Maternal deprivation reassessed** " Penguin Books.

33- Rutter, M. (1975) " **Helping troubled children** " Penguin Books.

34- Mac Connell, Scott.R.(2000) " **Assessment in early intervention and early childhood special education: building on the past to project into our future** " Topics In Early Childhood Special Education, *20*(1), 43-48.

35- Spitzer , D.R. (1996) " **Motivation : the neglected factor in instructional design** " Educational Technology, 36(3) pp.45-49

36- Survant, A. (1972) " **Building positive self-concepts** " Instructor, 81, pp .94-95

37- Voisin, H. (1997) " **L'Action pédagogique auprès des enfants hospitalisés** " Revue de la Recherche en Sciences Sociales , No 2.

38- White ,R .W (1959) " **Motivation reconsidered : the concept of competence** ", Psychol . Review , 66 pp.297-333.

39- Wolf , S. (1969) " **Children under stress** " Penguin Books.

40- Wooster, M. M. (2001) " **Special education needs narrowing** " The American Enterprise , Vol 12, October 2001.

محتويات الكتاب

الفصل الثالث : وقفة مع بعض المفاهيم

الفصل الرابع : كيف ينظر المجتمع إلى المعوق؟

